

دكتور عبد العزيز عبد الفتاح حجازي

روما وأفريقيا

من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الامبراطور أغسطس



مكتبة الأنجلو المصرية

روما وأفريقيا

دكتور

عبد العزيز عبد الفتاح حجازي

كلية التربية - جامعة عين شمس



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق
القومية ، إدارة الشئون الفنية .

عبد الفتاح ، عبد العزيز .

روما وأفريقيا / عبد العزيز عبد الفتاح . - ط ١ . -

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٧ .

٢٣٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

١ - الرومان - تاريخ

أ - العنوان

٢ - أفريقيا - تاريخ

رقم الإيداع : ٢٠٧٩٦

ردمك : ٥ - ٢٢٧٧ - ٠٥ - ٩٧٧ - تصنيف ديوي : ٩٣٧،٠٦

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

رقم الصفحة

٥	تقديم
٧	مقدمة
١٧	الفصل التمهيدي
١٩	- المقصود بأفريقيا وحدود الإقليم
٢١	- المظاهر الطبيعية لشمال أفريقيا
٣٣	- توزيع القبائل الليبية في شمال أفريقيا
٣٩	- الأقسام السياسية وعلاقاتها بقرطاجة حتى نهاية
	الحرب البونية الثانية
٤٩	الفصل الأول: القبائل الليبية وموقفها من الصراع بين روما وقرطاجة
	حتى نهاية الحرب البونية الثالثة.
٥١	- الموقف في أفريقيا بعد الحرب البونية الثانية
٥٥	- أحوال قرطاجة وعلاقتها بنوميديا حتى قيام الحرب
	البونية الثالثة
٦٦	- الحرب البونية الثالثة ١٤٩-١٤٦ ق.م
٧١	الفصل الثاني: التسوية التي تبعت سقوط قرطاجة
٧٣	- أحوال القرطاجيين بعد الحرب البونية الثالثة
٧٦	- الولاية الرومانية في أفريقيا
٨٢	- مملكة نوميديا بعد ماسينسا
٨٩	- حرب يوجورنا
٩٧	الفصل الثالث: الحرب الأهلية في روما وأثرها على الأوضاع في شمال أفريقيا...
٩٩	- شمال أفريقيا قبل نشوب الحرب الأهلية
١٠٦	- حملة قوريو على أفريقيا
١١٠	- حملة قيصر على أفريقيا

رقم الصفحة

الفصل الرابع: أفريقيا تحت حكم قيصر ١٢٣

- الحدود السياسية بعد حملة قيصر ١٢٥

- تنظيمات قيصر في أفريقيا ١٢٩

الفصل الخامس: أفريقيا تحت الحكم أغسطس ١٤٣

- أوضاع شمال أفريقيا بعد مقتل قيصر ١٤٥

- أفريقيا تحت حكم أغسطس ١٥٠

- الاستعمار الروماني في أفريقيا على عهد أغسطس ١٥٩

الخاتمة: ١٦٧

الملاحق: ١٧٣

المصادر: ٢٢٥

تقديم

كان هذا الكتاب أصلاً رسالة نال بها صاحبها درجة الماجستير من قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة وذلك في عام ١٩٨١ واعدتها صاحبها تحت إشرافى والأستاذ الدكتور شوقى عطا الله الجمل وبمشاركته وهذه الرسالة كما يتبين من عنوانها تتناول بالدراسة الجادة موضوعاً مهماً فى مجال التاريخ القديم بين روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية حتى عصر الإمبراطور اغسطس (٢٠٢ ق.م إلى ١٤ م).

وهذه فترة مهمة فى التاريخ القديم الفترة اليونانية والرومانية سيما وأنها تهتم بإبراز حقيقة الصراع بين مناطق الشرق القديم فى فترات معينة منه لها تأثيرها وهى مهمة فى تاريخ الشرق القديم شملت القارة الأفريقية أو على الأقل المنطقة الشمالية منها بحكم إطلالها على حوض البحر المتوسط شأنها فى ذلك شأن مصر وهذا يتمثل فى المواجهة بينها وبين الشاطئ الأفريقى فى مرحلة مهمة من مراحل التاريخ القديم من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى عام ١٤ م.

وكانت بلاد اليونان بحكم موقعها فى جنوب أوربا وإطلالها على حوض البحر المتوسط لا تكاد تتحكم إلا فى منطقة محدودة تكاد تشتمل فقط على جزر البحر المتوسط التى تقع إلى الجنوب من منطقة البلوبونيسوس والسواحل الموصلة إلى آسيا الصغرى وبحر الأدرياتى بجزره وأشباه جزره ولكن اتصالها الأكثر أهمية كان بسواحل شمال أفريقيا حيث المناطق المتسعة التى عرفت فى مصر والشمال الأفريقى وخاصة المنطقة الليبية التى تشمل الامتداد فى غرب البحر المتوسط الذى يلى ليبيا بقسميها برقة وطرابلس.

والفترة التى اختارها مؤلف هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية حيث أظهرت الصراعات المادية والحضارية بين مدن الإغريق ممثلة فى أثينا وآسيا الصغرى وحوض البحر المتوسط الشرقى الذى شمل سواحل آسيا الصغرى ومصر وما يليها غرباً حتى المحيط الأطلنطى.

وبعد فترة من الحضارة اليونانية ظهرت روما لتكون لها السيطرة على شرق البحر المتوسط بما فيها بلاد اليونان وآسيا الصغرى ومصر والشمال الأفريقى وظهرت فى مواجهة روما مدينة قرطاجة التى استطاعت بحضارتها الخاصة بها أو كل الحضارة الفينيقية أن تدخل حوض البحر المتوسط الغربى فى مرحلة جديدة وترث قرطاجة ما بقى من حضارات شرق البحر المتوسط وتقع فى صراع مع روما التى

الفت السيطرة على شرق البحر المتوسط الاوربي والافريقي، وهنا يبدأ العالم القديم في مرحلة عرفت بالحروب البونونية إذ تبعتها سيطرة كاملة للرومان على مصر وما يليها غربا حتى نهاية منطقة البحر المتوسط في الغرب بل امتد التأثير الفينيقي والروماني واضحا في لغة وحضارة على غرب أفريقيا.

وهذا المؤلف الذي أقدم على تحريره صاحبه في شكل رسالة للماجستير إنما فهم تماما كل هذه المراحل الحضارية التي مرت بحوض البحر المتوسط.

والمتصفح لفهرس محتويات هذه الرسالة أو بالاحرى هذا المؤلف ليقدر لصاحبها المجهود العلمي الواضح الذي بذله في وقت مبكر من حياته العلمية ونشاطه العلمي.

وأجد واجبا على أن اثنى كل الثناء على هذا العمل العلمي الناجح الذي سيصدر إن شاء الله قريبا والذي لا بد وان اثنى عليه ففي فترة من حياتي العلمية الباكرة قدر لي أنا أيضا ان اجتازها وقدر لي أن ادرس هذه المنطقة من شمال أفريقيا دراسة علمية متعمقة ابتداء من ليبيا ثم نوميديا ثم موريتانيا وان ادرس أثارها عن كثب واستمع الى شرح إخواننا أساتذة التاريخ القديم الذين افادوني بشروحهم في ضوء المصادر المتاحة، واتمنى أن يقدر الله لصاحب هذا الكتاب أن يقوم بهذه الرحلة ليشاهد بعينه ما شهدته بنفسى في الساحل المغربي والذي لا يزال يحتفظ بمواقعه الأثرية القائمة حتى الآن.

ولا أجد بدا من أن اشكر لصاحب هذا الكتاب الذي تكرم وطلب مني أن اكتب المقدمة القصيرة إذ أعاد الى ذاكرتي وصف ما شاهدته وأرجو أن يفعل مؤلفنا هذا أيضا فيشاهد بنفسه ما أداه وطننا العربي القديم نحو دراسة فترة مهمة من تاريخ بلادنا التي حفظت للعلماء والدارسين معالم لا تنسى ولا تضيع وتتهيا له الفرصة بإذن الله أن يوفق إلى دراسة اخرى خصبة وجديدة مفيدة لعلمائنا وطلابنا.

وأنى لأطمع في أن الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح حجازي سيدفع إلى ايدي الدارسين لهذه المنطقة بإضافة جديدة تفيد البحث التاريخي لوطننا العربي مثل هذه الدراسة الموفقة التي بين أيدينا.

مصطفى كمال عبد العليم

استاذ غير متفرغ بقسم التاريخ
كلية الآداب-جامعة عين شمس

مقدمة

عرف تاريخ شمال أفريقيا القديم فى المصادر اليونانية واللاتينية على أنه تاريخ ليبيا فى العصور القديمة، وهى عندهم إحدى قارات العالم القديم، وزادت معرفة الكتاب القدامى بتاريخ شمال أفريقيا منذ بداية إستقرار الفينيقيين فى المنطقة وإشتغالهم بالتجارة وإحتكاكهم بمدن حوض البحر المتوسط الغربى ، وأخيرا توافرت هذه المعلومات عن شمال أفريقيا منذ بدء الصراع بين روما وقرطاجة فيما عرف بالحروب البونية، والحقيقة أن تاريخ شمال أفريقيا خلال القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد قد ارتبط بتاريخ روما ومتداخلا مع أحداثها.

لذلك كان هدفى من دراسة تاريخ شمال أفريقيا هو إبراز شخصية هذه المنطقة خلال هذه الفترة ومحاولة إلقاء الضوء على العلاقات التى قامت بين روما وشمال أفريقيا ، خاصة فى المراحل الأخيرة من الصراع بين أعظم قوتين فى هذا الوقت مدينة قرطاجة الفينيقية ومدينة روما ، ذلك الصراع الذى كان له أثر كبير على تاريخ شمال أفريقيا والذى لم يقتصر على هاتين المدينتين بل شمل كل شمال أفريقيا إلى أن دخلت تحت السيطرة الرومانية .

قسمت موضوع البحث إلى خمسة فصول قدمت لها بفصل تمهيدى أوجزت فيه المقصود بكلمة أفريقيا وحدود الإقليم، ثم عرضت لطبيعته ، وتوزيع القبائل الليبية فى المنطقة . إنتقلت بعد ذلك لعلاقة القبائل الليبية فى أفريقيا بمدينة قرطاجة حتى قيام الحرب البونية الأولى، وأخيراً عرضت موقف هذه القبائل من قرطاجة بعد الحرب البونية الأولى وأثناء الحرب الثانية .

ويعالج الفصل الأول دور القبائل الليبية فى الصراع بين روما وقرطاجة حتى قيام الحرب البونية الثالثة وتدمير مدينة قرطاجة فى عام ١٤٦ ق.م . ويعالج هذا الفصل عدة نقاط منها: النتائج التى ترتبت على هزيمة قرطاجة فى الحرب البونية الثانية، وما وصلت إليه القبائل الليبية من قوة ونشاط تحت إسم نوميديا، وإنتقلت بعد ذلك إلى دراسة الدور الذى قام به الزعيم النوميدي ماسينسا فى الحد من نشاط قرطاجة ، حتى تسبب فى قيام الحرب البونية الثالثة التى أدت إلى تدمير قرطاجة وإنهاء نفوذها من شمال أفريقيا . وفى هذا الفصل بينت موقف روما من القبائل الليبية خلال هذا الصراع . وختمت الفصل الأول بما وصل إليه هذا الصراع من نتائج أثرت

من الناحية التاريخية على كل شمال أفريقيا .

وتناولت في الفصل الثاني التسوية التي تبعت سقوط قرطاجة، وتتبع مصير القرطاجيين بعد تهديم مدينتهم وضياع إمبراطوريتهم في شمال أفريقيا ، وكان من المهم توضيح حدود ولاية أفريقيا الرومانية التي أنشئت في أعقاب إنتصار روما في الحرب البونية الثالثة، والغرض من إنشاء هذه الولاية ونظام الحكم فيها ولما كان (ماسينسا) قد توفي في بداية الحرب البونية الثالثة فكان من الضروري بيان الأحوال التي كانت عليها مملكة ماسينسا بعد وفاته والمكاسب التي حققتها مملكة نوميديا في نهاية الحرب، وعرضت لمحاولة جايوس جراكوس في إنشاء مستعمرة رومانية في مكان قرطاجة وموقف مجلس الشيوخ الروماني من هذه المحاولة ، ثم تتبعت مراحل الصراع الداخلي في مملكة نوميديا وموقف روما من هذا الصراع الذي أدى بها في النهاية إلى خوض حرب جديدة في شمال أفريقيا ضد أحد الزعماء النوميديين المعروف بإسم يوجورتا، ذلك الزعيم الذي هز أركان مجلس الشيوخ بعنف خلال هذه الفترة. وإختتمت الفصل بالتسوية التي قامت بها روما في أفريقيا بعد إنتصارها في هذه الحرب.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لبيان أثر الحرب الأهلية في روما بين بومبي وقيصر على شمال أفريقيا ، ووضحت أن إنتقال الحرب الأهلية إلى ولاية أفريقيا يكفى وحده دليلا على ما تحملته منطقة شمال أفريقيا من أعباء، وخلال هذا الفصل بينت الأحوال في أفريقيا أثناء الحرب الأهلية ، وانتقلت بعد ذلك إلى بيان أهداف الحملة التي قادها قوريو أحد ضباط قيصر على شمال أفريقيا لإنتزاع ولاية أفريقيا من أنصار بومبي، ثم موقف القوى الوطنية من هذه الحملة ونتائجها، وأفردت جزءاً من هذا الفصل لحملة قيصر الأفريقية وإنتقام قيصر من مملكة نوميديا في شخص الملك يوبا الأول، وختمت الفصل بزوال مملكة نوميديا من على مسرح الأحداث في شمال أفريقيا وتأسيس ولاية أفريقيا الجديدة في عام ٤٦ ق. م.

وتناولت في الفصل الرابع شمال أفريقيا تحت حكم قيصر، ومهدت لذلك ببيان الحدود السياسية التي تبعت حملة قيصر، ثم إنتقلت بعد ذلك إلى أهم التنظيمات التي قام بها في ولايتي أفريقيا وأهمها إنشاء المستعمرات، وبينت في هذا الفصل أيضا وضع مملكة موريتانيا خلال هذه الفترة ودورها في الصراع بين بومبي وقيصر،

والمكاسب التي حققتها مملكة موريتانيا الشرقية من جراء إنضمامها إلى جانب قيصر، وختمت الفصل ببيان أن هذه الفترة من تاريخ أفريقيا هي بداية توطن الإستعمار الروماني في هذا المنطقة.

أما الفصل الخامس والأخير فقد خصصته لحالة أفريقيا تحت حكم الإمبراطور أغسطس وتناولت فيه أحوال شمال أفريقيا بعد مقتل قيصر وخاصة أثناء فترة حكم الحكومة الثلاثية الثانية، والحدود السياسية في هذه الفترة وبينت بعد ذلك أثر الصراع بين أنطونيوس وأكتافيوس على ولايتي أفريقيا ومملكة موريتانيا، حتى دخول هذه المنطقة تحت سيطرة أغسطس، وأفردت جزءاً من هذا الفصل لعلاقة الرومان بالقبائل الليبية الواقعة جنوب أفريقيا البروقنصلية وموريتانيا، ثم كان من المهم توضيح وضع موريتانيا في فترة خلو العرش من ٣٣ إلى ٢٥ ق.م والغرض من توليه يوبا الثاني ملكاً على موريتانيا، وانتقلت بعد ذلك إلى أهم أعمال أغسطس وهي إنشاء المستعمرات والغرض من إنشائها والتوسع في هجرة المستعمرين الرومان إلى شمال أفريقيا وأشارت في ختام هذا الفصل إلى ظروف ضم موريتانيا إلى الرومان ووقوع شمال أفريقيا بالكامل تحت السيطرة الرومانية.

وتنقسم المصادر التي رجعت إليها في دراستي لتاريخ شمال أفريقيا خلال هذه الفترة إلى نوعين: الأولى مصادر أدبية، والأخرى مجموعات النقوش والعملات الأفريقية الخاصة بالملوك والتي ضربت في هذه الفترة.

والمصادر الأدبية التي يرجع إليها الباحث في تاريخ هذه الفترة تنقسم بدورها إلى مجموعتين: الأولى وهي المصادر اللاتينية ويتصدرها كتابات المؤرخ سالوست Sallustius Crispus ولد عام ٨٦ ق.م وينتمي إلى أسرة من العامة وكان من أنصار الحزب الديمقراطي ومن مؤيدي قيصر، وقد شغل سالوست عدة مناصب فكان نقيباً للعامة ثم أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الروماني ولكنه طرد منه سنة ٥٠ قبل الميلاد وعينه قيصر في سنة ٤٩ وزيراً للمالية (Quaestor) وفي عام ٤٦ ق.م عين بروقنصل على ولاية أفريقيا الجديدة، كتب مؤلفاته في الفترة من ٤٣-٣٩ ق.م وتوفي عام ٣٤ ق.م، ومن بين مؤلفات سالوست كتاب حرب يوجورتا (Bellum Jugurthinum) ويشتمل على مقدمة فلسفية ثم ترجمة لشخصية الملك النوميدي يوجورتا واستيلائه على السلطة في مملكة نوميديا، ولقد استفاد سالوست

من فترة وجوده في أفريقيا إذ توافرت لديه مصادر أدبية ممتازة كان من بينها ترجمات عن اللغة البونية . وخلال عرض سالوست لهذا الموضوع ألقى الضوء على فساد الحزب الأرستقراطي وارتشائهم وندد بأخلاقهم وعدم كفايتهم، ومع أهمية هذا المصدر عن حرب يوجورتا إلا أنه يجب استخدامه بشيء من الحذر لأنه كان شديد الإنغماس في السياسة فلم يسلم من التحيز فضلا عن إفتقاره إلى التسلسل الزمني والمعلومات العسكرية والجغرافية .

ويأتى تيتيوس ليفيوس Titius Livius (٥٩ ق.م - ١٧ ميلادية) في مقدمة الكتاب الرومان الذين يميلون إلى كتابة الحوليات، وهذا المؤرخ كتب تاريخ روما منذ البداية حتى عام ٩ ميلادية، ويقع المؤلف في ١٤٢ كتابا وصل منهم ٣٥ كتابا فقط وهي الكتب من ١-١٠ والتي تروى تاريخ روما منذ البداية حتى عام ٢٩٣ ق.م والكتب من ٢١-٤٥ وتروى تاريخ روما من ٢١٨-١٦٧ ق.م ويعتبر كتاب ليفيوس المصدر الأساسي لفترة طويلة من تاريخ روما في عصر الجمهورية، ومن خلال عرض تاريخ روما وردت أخبار الحروب البونية، ويغلب على أسلوب ليفيوس النزعة الأدبية والميل إلى التفاصيل الدقيقة ، وهذا ما لاحظته أثناء رجوعى إلى الكتب التي ورد فيها ذكر الحروب البونية .

وثمة مصدر آخر يعزى تأليفه لجايوس يوليوس قيصر C.Iulius Caesar (١٠١-٤٤ ق.م) ، أشهر شخصية سياسية وعسكرية في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، كتب مذكراته عن الحرب الأفريقية Bellum Africum يصف فيه هزيمة أنصار بومبى في معركة ثابسوس، في ٤٦ ق.م، ويعتقد البعض أن مؤلف الحرب الأفريقية ليس قيصر نفسه ويحتمل أن يكون من تأليف أحد ضباطه، وقد وجدت في هذا الكتاب معلومات هامة وقيمة عن أحداث الحرب الأهلية بين قيصر وأنصار بومبى في أفريقيا، واستخلصت من خلالها أوضاع شمال أفريقيا خلال هذه الفترة .

أما شيشرون M.Tullius Cicero (١٠٦-٤٣ ق.م) فقد أحرز بمواهبه وثقافته مكانة هامة في المجتمع الرومانى وترقى في المناصب السياسية فهو ينتمى إلى طبقة الفرسان وكان كويستورا في عام ٧٥ ق.م وإرتقى منصب الإيديلة عام ٦٩ ق.م ثم البريتورية في سنة ٦٦ ق.م وفاز بالقسطنسية عام ٦٣ ق.م ، وتعد خطب شيشرون من أهم مصادر التاريخ الرومانى والتي تتناول فترة طويلة من ٨١ إلى ٤٣ ق.م وهي

زاخرة بمعلومات قيمة عن القانون الرومانى والنظام القضائى والتاريخ الدستورى والحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتأتى رسائل شيشرون التى بعث بها إلى أصدقائه والمقربين من أهم المصادر التى تلقى الضوء على الحياة الاجتماعية والمناورات الحزبية والصراع الطبقي وحقيقة فهو مصدر لاغنى عنه لباحث فى تاريخ روما وخصوصا فى فترة الحروب الأهلية، إلا أن كتاباته كان يغلب عليها طابع الإنفعال فهو محام وخطيب قبل أن يكون مؤرخا، وربما كانت خطبه التى سميت بالفيليبيات Philippicae أحسن خطبه السياسية والتى ألهاها ضد ماركوس أنطونيوس ، غير أنها كانت السبب فى أن يثار أنطونيوس لنفسه فقتله فى أواخر عام ٤٣ ق.م .

وثمة كاتب آخر هو بلينى الكبير Plinius Secundus (٢٣م - ٩٧م) فقد كان عالماً موسوعياً كتب فى كثير من الموضوعات لم تصل من مؤلفاته سوى موسوعة التاريخ الطبيعى Historia Naturalis التى تقع فى ٣٧ كتابا ويبحث فى علوم الجغرافيا والأجناس والسلالات البشرية، وإشتملت هذه الموسوعة على معلومات قيمة عن النظم السياسية والإقتصادية والاجتماعية عند الرومان تمكنت من إستخلاص ما ورد فى هذا الكتاب من مادة عظيمة تخص أفريقيا القديمة وعلى وجه الخصوص عصرى قيصر وأغسطس .

الطائفة الثانية هى ما كتبه مؤرخون وجغرافيون إغريق وهى عديدة أيضا ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤرخ الكبير هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) تناول فى أحاديثه فى كتابه الرابع الكثير من المعلومات القيمة عن القبائل الليبية فى شمال أفريقيا وتابع الحديث عن قارة أفريقيا حتى منابع النيل والعلاقات التى كانت بين الشمال والجنوب ، ويتخلل حديثه الكثير من الأوصاف الجغرافية والاجتماعية ووسائل المعيشة عند القبائل الليبية القديمة .

ثم يأتى تاريخ بوليبيوس Polybius (٢٠٠-١٢٠ ق.م) فى مقدمة المصادر الإغريقية التى كتبت جزءا كبيرا عن تاريخ الجمهورية الرومانية، ويقع مؤلف بوليبيوس فى أربعين كتابا غطت الفترة من ٢٢٠ إلى ١٤٤ ق.م ، والكتب الخمسة الأولى وصلت كاملة ، أما الكتب الباقية من ٦-٤٠ فقد وصلت فى شكل شذرات، وفى هذا الكتاب القيم وردت أخبار عن قرطاجة والقرطاجيين خلال الحروب البونية ويلقى الضوء على العلاقة بين روما وقرطاجة. وتضمن الكتاب الثالث وصفا جغرافيا عن شمال أفريقيا ومن الأمور

التي تزيد هذا الكتاب قيمة هو معاصرته لأحداث الحرب البونية الثالثة حيث كان صديقاً لسقبيو اميليا نوس الذي دمر مدينة قرطاجة في عام ١٤٦ ق.م. ويعتبر بوليبيوس من أهم مؤرخي هذه الفترة من تاريخ شمال أفريقيا ، حيث كان المؤرخ الوحيد الذي شاهد هذا الحدث بنفسه، وقد ساعده هذا على كتابة الحقائق التاريخية من واقع الأحداث. وعى الرغم من الدقة التي يتميز بها كتاب بوليبيوس إلا أنه يجب ألا يغيب عن الذهن تحيزه السياسي كصديق لسقبيو عدو قرطاجة ، كما لاحظت هذا فيما كتبه عن الزعيم النوميدى ماسينسا عدو قرطاجة وصديق روما.

وثمة مصدر يوناني آخر وهو ما كتبه ديودور الصقلي Diodorus Siculus (٨٠-٣٠ ق.م) عاش في النصف الثاني من القرن الأول ويسمى الصقلي لأنه ولد في أجريون أقدم المستعمرات اليونانية في وسط صقلية ولكنه عاش معظم حياته في روما، ألف مجلداً في التاريخ العام Koninai Historiai تحت عنوان المكتبة التاريخية Bibliotheke وعالج في هذا المؤلف تاريخ الفترة الماضية من البدء حتى زمانه ويقع في ٤٠ كتاباً لم يصل منها كاملاً سوى الكتب من ١ إلى ٥ ومن ١١ إلى ٢٠ أما بقية الكتب فلم يصل منها إلا شذرات، وقد استعنت بهذا المصدر فيما ذكره عن تاريخ شمال أفريقيا وبعض أحداث الحرب الأهلية في روما، ويؤخذ على كتاب ديودور الصقلي حشده في عام واحد كل الحوادث التي جرت في أكثر من منطقة جغرافية .

ويأتى كتاب الجغرافيا الذي كتبه العلامة استرابون Strabo (٦٣-٩ ق.م) ورد في هذا الكتاب فصل كامل عن جغرافية ليبيا وهو الفصل الثالث من الكتاب السابع عشر، وقد كان المصدر ذات أهمية كبيرة فقد أعطى تفاصيل وافية عن جغرافية ليبيا القديمة وشرح الظروف الجغرافية التي كانت سائدة في هذا الوقت ، ولاحظت أثناء رجوعي لهذا المصدر أنه إهتم بكل شئ في هذه المنطقة فلم يترك شيئاً عن جغرافية ليبيا إلا ذكره وأورد عنه بعض التفاصيل التاريخية التي توضح وتلقى الضوء على الظواهر الجغرافية في شمال أفريقيا .

ويعد كتاب بلوتارخوس Plutarchus (٤٦م-١٢٠م) في التراجم ذات أهمية كبيرة لأي باحث في التاريخ اليوناني الروماني فقد أورد ترجمة وافية عن كبار رجال السياسة والقواد الإغريق والرومان مشفوعة بدراسة مقارنة بين المشاهير من اليونانيين والرومان، ويلاحظ عليه البساطة وعدم التعمق في التفاصيل في بعض الأحيان .

أما المؤرخ أبيانوس Appianus (٥٩ م - ١٦٥ م) المولود في الإسكندرية فقد كتب مؤلفاً عن تاريخ الرومان يقع في ٢٤ كتاباً لم يصل منهم كاملاً إلا تسعة كتب فقط ٧، ٦، والكتب من ١١ إلى ١٧ أما الكتب من ١-٥ و ٨، ٩ فقد وصلت على شكل شذرات ، وقد أعطى هذا المؤلف أهمية خاصة لتاريخ روما زمن الحروب البونية فتناول في الكتاب السادس الحروب الأسبانية والكتاب السابع يتناول حروب هانيبعل في إيطاليا . وما تبقى من الكتاب الثامن فقد تناول الحروب البونية في أفريقيا حتى تدمير قرطاجة .

ثم الكتب من ١٣ إلى ١٧ التي يروى فيها أخبار الحروب الأهلية من ١٣٣-٣٥ ق.م . فهي غاية في الأهمية لأن من هذه الكتب استطعت أن أقف على معلومات أساسية عن مدى الصلة بين الحروب الأهلية والحروب في شمال أفريقيا، ويعاب على هذا المؤلف التعمق في المعارك والنواحي العسكرية لدرجة كبيرة جداً.

وثمة مصدر يوناني آخر كتبه ديون كاسيوس Dio Cassius (١٥٥-٢٣ م) هو كتاب التاريخ الروماني تناول فيه فترة طويلة من تاريخ روما منذ التأسيس حتى عصره ويقع هذا المؤلف في ٨٠ كتاباً لم يصل منها إلا الكتب من ٣٦ إلى ٥٤ وقد كرس جزءاً كبيراً من كتبه لتاريخ النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد فالكتب من ٣٦ إلى ٤٠ تناول أحداث عام (٦٩ إلى ٥٠ ق.م) والكتب من ٤١ إلى ٤٥ تناولت أحداث الفترة من (٤٩ إلى ٤٣ ق.م) وأما الكتب من ٤٦ إلى ٥٠ فهي خاصة بأحداث الأعوام من (٤٣ إلى ٣١ ق.م) فضلاً عن الكتب التي تناولت أحداث عصر الإمبراطورية ، ولقد قام زوناراس Zonaras البيزنطي بوضع ملخصات الكتب من ١ إلى ٢١ ، وامتاز مؤلف ديون كاسيوس بالكثير من المعلومات الهامة عن عصرى الجمهورية والإمبراطورية ويعاب عليه تركيزه الشديد على النواحي السياسية وتجنبه التفاصيل والمصطلحات الفنية فضلاً عن تحيزه الشديد للحكم الإمبراطورى .

ولقد وجدت صعوبة خلال رجوعى للمصادر اليونانية واللاتينية فى إستخلاص المعلومات الخاصة بشمال أفريقيا حيث أنه لم يرد الكثير من المادة العلمية بصورة مباشرة إلا فى القليل جداً من هذه المصادر، ولقد لاحظت بعض التضارب وعدم الإتفاق فى بعض الأحيان حول الحقائق التاريخية، ومن جانب آخر كان تحيز بعض المصادر إلى الجانب الرومانى من أهم المشاكل التى صادفتنى خلال هذه الدراسة،

وكان طبيعياً أن يلزمنا الشك في كل ما يخص الجانب الأفريقي وعلى وجه التحديد خلال دراستي لمرحلة الصراع بين روما وقرطاجة، وفوق هذا فقد لاحظت جفاف المادة التاريخية في هذه المصادر، فالبعض يركز على النواحي العسكرية والبعض الآخر يركز على النواحي السياسية، ثم أن معظم هذه المصادر تذكر تاريخ شمال أفريقيا من خلال تاريخ روما فكان من الضروري أن انتزع هذه المادة العلمية من المصادر مع المحافظة على روح الأحداث التاريخية التي ترتبط بفترة الدراسة.

ومما يزيد الأمر صعوبة عدم توافر المصادر القديمة الأفريقية الأصل فكل ما كتبه الأفريقيون والقرطاجيون عن بلادهم وتاريخهم ضاع أثناء التدمير الأخير لمدينة قرطاجة. وكان نقل مكتبة قرطاجة إلى أيدي النوميديين السبب في فقدان جزء كبير من هذه المكتبة، كما تسببت الحروب الداخلية في نوميديا إلى ضياع هذه المكتبة.

وهناك عدد آخر من الكتابات الأدبية الحديثة والتي تناولت تاريخ شمال أفريقيا من أهمها ما كتبه المؤرخ الفرنسي اكسيل. Stephane Gsell ويقع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء، المجموعة الثانية من المصادر هي مجموعة النقوش والعملات الخاصة بملوك أفريقيا، وبالنسبة للنقوش الخاصة بشمال أفريقيا والمكتوبة باللغة اللاتينية فقد جمعت وترجمت إلى اللغات الحديثة وصنفت إلى مجموعات اذكر منها:-

Grenier. A., Comptes rendus de l'Academie des inscriptions. (Paris 1947).

Leschi. L., Recherches Aerinnes sur le limes Roman de Numide (Paris 1937).

-----, Centenarius quod aqua viva appellatur. (Paris 1941).

Merlin. A., Divinites indigenes sur un Bas - relief Romain de la Tunisie (Paris 1947).

Picard. C., Notice sur la vie et les travaux de Stephane Gsell. (Paris 1947).

Picard. G., "A cholla" Comptes Rendus de l'Academie de inscription (Paris 1947).

Saumagne. C., Zama Regia (Paris 1941).

-----, la photographie Aerienne au service de l'Archeologie en Tunisie (Paris 1952).

ولقد أمدتني هذه النقوش بمعلومات قيمة عن تاريخ شمال أفريقيا القديم راعيت في إستخدامها الدقة والحذر.

أما العملات الخاصة بملوك أفريقيا فقد أمدتني بمعلومات ممتازة عن أحداث الفترة موضع الدراسة وتعطى تصورا كبيرا عن مدى تطور الحضارة الأفريقية وظهور القوميات المحلية في هذه المنطقة . ولقد زودت البحث بمجموعة من الخرائط التي توضح مواقع المدن الهامة والمعارك الحربية والسواحل الأفريقية حاولت ان أقدمها مترجمة مع الإحتفاظ بشكلها العام وكنت حريصا على معالجة هذا الموضوع بطريقة موضوعية راعيت فيها الدقة في كل مرحلة من مراحلها، وأننى بكل تواضع أقدم هذا البحث ولا أعتبره إلا خطوة على الطريق.

ولا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الخالص والتقدير العظيم لأستاذى الاستاذ الدكتور/ مصطفى كمال عبد العليم أستاذ التاريخ القديم ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس الذى يشرفنى أن يكون هذا البحث قد تم تحت إشرافه .. فقد كان لتوجيهاته السديدة وعلمه الغزير وسعة صدره الفضل الأول ان يخرج البحث على هذا النحو .

وأننى أقدر كل التقدير وأحترم كل الإحترام رغبته الصادقة والمخلصة فى إرشادى وتوجيهى وما بذله معى من الوقت والجهد فى أن يأخذ بيدي على طريق البحث وأن أتفادى الكثير من المشاكل التى يتعرض لها الباحث .

كما أتقدم بوافر الشكر والإحترام إلى أستاذى الاستاذ الدكتور/ شوقى عطا الله الجمل أستاذ التاريخ الحديث ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة على ما قدمه لى من عون صادق ومساعدة خلال فترة إعداد الرسالة ويشرفنى أن يكون هذا البحث تحت إشرافه .

ولا يفوتنى أن أقدم الشكر إلى الدكتور/ فوزى مكاوى الذى درست عليه تاريخ أفريقيا القديم فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية خلال السنوات التمهيديّة للماجستير وأشكره على كل مساعدة قدمها خلال إعداد الرسالة .

وأخيرا أرجوا أن أكون قد وفقت فى هذا البحث لدرجة أحظى بها على رضا أساتذتى وزملائى .

والله ولى التوفيق ،

فصل تمهيدى

- المقصود بأفريقيا وحدود الإقليم
- المظاهر الطبيعية لشمال أفريقيا
- توزيع القبائل الليبية فى شمال أفريقيا
- الأقسام السياسية وعلاقاتها بقرطاجة حتى نهاية الحرب
البونية الثانية



قبل أن أتناول موضوع البحث عن روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية حتى عصر الإمبراطور أغسطس Augustus وجدت أنه من المفيد أن أمهد للبحث بتحديد المكان الذى شهد الأحداث التى يتناولها البحث، وتعريف ببعض معالمه الجغرافية.

المقصود بأفريقيا وحدود الإقليم:-

كانت ليبيا إسم ثالث قارات العالم القديم عند الجغرافيين الإغريق، والمقصود بها قارة أفريقيا، أو بالأحرى شمال القارة الممتد من غرب مصر حتى رأس سوليس على المحيط الأطلس^(١). ويذكر استرابون أن ليبيا تمتد من غرب الإسكندرية فى الشرق وحتى إقليم قبيلة المورى Mauri فى أقصى الغرب والمواجهة لجزيرة ايبيريا Iberia^(٢) وهذه المنطقة على هذا الإمتداد يسكنها عدد كبير من القبائل الليبية^(٣).

وعندما جاء اليونانيون إلى شمال أفريقيا وأنشأوا مستعمرة قورنى Cyren (شحات الحالية) فى سنة ٦٣١ قبل الميلاد أطلقوا إسم ليبيا على كل المناطق التى تحيط بإقليم برقة ثم توسعوا فى إستخدام هذا الإسم وأطلقوه على كل المواقع التى عرفوها فى شمال أفريقيا ما بين نهر النيل فى الشرق والمحيط الأطلسى فى الغرب^(٤).

(١) راجع الخريطة رقم (١) بملحق الرسالة Herodotus. II. 16.; Pliny. N. H. V. I. I.

(٢) تقع جزيرة أيبيريا فى الجزء الجنوبى الغربى من قارة أوروبا وهى تقابل أسبانيا الآن، سيطر القرطاجيين على الساحل الجنوبى منها، وبعد ان هزمت قرطاجة فى الحرب البونية الأولى (٢٦٣-٢٤١ ق.م) عملت على تعويض خسائرها بإعادة بناء قوتها فى أسبانيا ابتداء من عام ٢٣٧ ق.م وكلف بهذه المهمة القائد القرطاجى هملقار برقة ثم تلاه فى القيادة بعد فترة ابنه هانيبعل، ومما يذكر ان قرطاجة كانت قد أسست عددا من المستعمرات فى اسبانيا منها قادس Gadis ومالقة Malaga وأدرا Adra ثم قرطاجة الجديدة Carthago Nova والنلى عرفت فيما بعد باسم قرطاجنة، ووقعت هذه المدن تحت السيطرة الرومانية خلال الحرب البونية الثانية (٢١٨-٢٠١ ق.م) إبراهيم نصحى، تاريخ الرومان، الجزء الاول، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٦٩؛

(٣) Julien CH.A., Histoire de l'Afrique du Nord. Paris 1931, P.86.; Livy. xxi. iii. 2-6. Strabo. Geography. xvii. iii. 1-2.

(٤) عبد العزيز مطريح شرف، جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية، الاسكندرية ١٩٧١ ص ٦-٧.

وبدا اسم أفريقيا في الظهور بعد تدمير الرومان لقرطاجة في عام ١٤٦ ق.م (١) بوصفه اسم الولاية الرومانية ، ويبدو أن هذه الكلمة مشتقة من اسم إحدى القبائل الليبية وهي قبيلة أفري Afri التي مازالت موجودة في تونس وإستخدم الرومان هذا الاسم بعد تحريفه إلى أفريقيا Africa للدلالة على كل المناطق التي عرفوها في شمال أفريقيا ، وتطور الأمر إلى أن أصبح الاسم يطلق على القارة بأسرها (٢).

ولقد قسم سالوست شمال أفريقيا إلى أربعة أقاليم (أقسام) : قورينائية وإقليم سرت (أى برقة الحديثة) وطرابلس وفزان في الداخل، وإقليم أو أراضى قرطاجة وهي ما تسمى اليوم تونس ثم نوميديا وهي الجزائر اليوم وأخيرا موريتانيا (المغرب الحديثة) (٣).

وعلى الرغم من إهتمام الجغرافيين والمؤرخين بالمجموعات السكانية في ليبيا إلا أن الحروب التي دارت على أرض شمال أفريقيا أدت إلى زيادة المعرفة عن هذه القبائل وخصوصا التي لعبت دورا واضحا في تاريخ العلاقات بين شمال أفريقيا وروما. فهناك قبائل المورى Mauri الذين يسكنون الجزء الغربى من ساحل ليبيا وأصبح اسمهم يطلق على المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم موريتانيا (المغرب الحالية)، أما قبائل البدو الرحل المعروفين باسم النوميديين Numidi فقد إستقروا (٤) في المسافة بين قبائل المورى

(١) تأسست قرطاجة في عام ٨١٤ قبل الميلاد على وجه التقريب بالقرب من موقع تونس الحالية على يد مستعمرين من مدينة صور الفينيقية وما لبثت ان قويت هذه المدينة واصبحت عاصمة للعديد من المراكز الفينيقية على ساحل أفريقيا ، ولقد اختلف الباحثون حول اسم هذه المدينة فالبعض يرجع هذه التسمية الى التحريف الذى اصاب الاسم اللاتينى للمدينة وهو Carthago والبعض الآخر يرجع انه تحريف للاسم الفينيقي كارت حدثت أو قرت حدثت quart Hadast بمعنى المدينة الجديدة . ويفضل البعض تسميتها قرطاج سيرا على عادة التونسيين الحاليين، بيد انه يجب عدم الخلط بين اسم هذه المدينة ومدينة قرطاجة الموجودة في اسبانيا. Strabo. xvii. 66. ; Julien. Ch. A . op. cit. p . 66. iii. 15. وراجع ايضا ج. كوننلو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة (القاهرة بدون) ص ٩٨ ؛ فوزى مكارى ، المعابدات والعبادات فى قرطاج (مجلة البحث العلمى الرباط ١٩٧٩) ص ١ .

(٢) عبد العزيز طريح شرف ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٣)

Sallust, Bellum Jugurthinum. xvii- xix.

(٤) يرجع توططين واستقرار النوميديين الى ماسينسا حاكم نوميديا (الفصل الاول من الرسالة) .

وقرطاجة وأصبح إسمهم يطلق على بلادهم التي عرفت بإسم نوميديا التي كانت موزعة بين المساسيليين Massaesylians في الغرب، والمساليين Massylians في الشرق، وكل هذه المناطق الشاسعة من أرض قورينائية وحتى الأطلسي والتي تمتد سواحلها ألفي ميلا كانت تحت سيطرة قرطاجة قدمت لها قوات كثيرة وأسهمت في الحفاظ عليها وعلى ممتلكاتها^(١) وإلى الجنوب من المنطقة الشمالية إنتشرت القبائل الليبية المتنقلة والتي عرفت بأكثر من تسمية مثل الجيتوليون Gaetulians والجرامنتيس Garamantes والموسولامي Musulamii والنسامونيس Nasamones^(٢).

وعلى الرغم من أن هذه المناطق الجنوبية لم تلق إهتمام الكتاب القدامى مثل الجزء الساحلى من ليبيا (شمال أفريقيا) إلا أن أهميتها ظهرت فيما بعد كمصدر هام من مصادر الحصول على الفيلة والخيول والحيوانات الأخرى وجلب أحجار البناء إلى جانب أنها كانت مأوى للهاربين والمتمردين ضد الرومان^(٣).

وسوف أتعرض بالدراسة إلى المنطقة الممتدة من مستعمرة قوريني وإقليمها قورينائية في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب والممتدة من شواطئ البحر المتوسط وحتى مشارف الصحراء في الجنوب.

الظواهر الطبيعية لشمال أفريقيا:

تعتبر جبال أطلس العمود الفقري لبلاد أفريقيا، وهذه الجبال تمتد موازية لساحل البحر المتوسط من أقصى غرب البلاد حتى تونس في الشرق^(٤) وترتفع هذه الجبال بدرجة كبيرة، وكانت صعبة التسلق ولكن الأودية قطعتها وتمكن السكان من عمل المدرجات وزراعة بعض المناطق التي تسقط عليها الأمطار^(٥) وهذا ما يؤكد قول

Strabo . xvii. iii. i.

(١)

(٢) راجع توزيع القبائل على الخريطة رقم (٣).

(٣)

Strabo . xvii. iii. 19.

(٤) راجع الخريطة رقم (٢) بملحق الرسالة .

(٥)

Gsell.S.Histoire Ancienne de l'Afrique de Nord. Tome . I (Paris 1972) P. 3.

وقرطاجة وأصبح إسمهم يطلق على بلادهم التي عرفت بإسم نوميديا التي كانت موزعة بين المساسيليين Massaesylians في الغرب، والمساليين Massylians في الشرق، وكل هذه المناطق الشاسعة من أرض قورينائية وحتى الأطلسي والتي تمتد سواحلها ألفي ميلا كانت تحت سيطرة قرطاجة قدمت لها قوات كثيرة وأسهمت في الحفاظ عليها وعلى ممتلكاتها^(١) وإلى الجنوب من المنطقة الشمالية إنتشرت القبائل الليبية المتنقلة والتي عرفت بأكثر من تسمية مثل الجيتوليون Gaetulians والجرامنتيس Garamantes والموسولامي Musulamii والنسامونيس Nasamones^(٢).

وعلى الرغم من أن هذه المناطق الجنوبية لم تلق إهتمام الكتاب القدامى مثل الجزء الساحلى من ليبيا (شمال أفريقيا) إلا أن أهميتها ظهرت فيما بعد كمصدر هام من مصادر الحصول على الفيلة والخيول والحيوانات الأخرى وجلب أحجار البناء إلى جانب أنها كانت مأوى للهاربين والمتمردين ضد الرومان^(٣).

وسوف أتعرض بالدراسة إلى المنطقة الممتدة من مستعمرة قوريني وإقليمها قورينائية في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب والممتدة من شواطئ البحر المتوسط وحتى مشارف الصحراء في الجنوب.

الظواهر الطبيعية لشمال أفريقيا:

تعتبر جبال أطلس العمود الفقري لبلاد أفريقيا، وهذه الجبال تمتد موازية لساحل البحر المتوسط من أقصى غرب البلاد حتى تونس في الشرق^(٤) وترتفع هذه الجبال بدرجة كبيرة، وكانت صعبة التسلق ولكن الأودية قطعتها وتمكن السكان من عمل المدرجات وزراعة بعض المناطق التي تسقط عليها الأمطار^(٥) وهذا ما يؤكد قول

Strabo . xvii. iii. i.

(١)

(٢) راجع توزيع القبائل على الخريطة رقم (٣).

(٣)

Strabo . xvii. iii. 19.

(٤) راجع الخريطة رقم (٢) بملحق الرسالة .

(٥)

Gsell.S.Histoire Ancienne de l'Afrique de Nord. Tome . I (Paris 1972) P. 3.

استرابون أن جبال ليبيا كانت أهلة بالسكان منذ فترة بعيدة^(١).

أدى إرتفاع الجبال إلى حجز الرياح المحملة ببخار الماء وسقوط الأمطار التي أستخدمت في الزراعة ورعى الحيوانات، وعرفت جبال أطلس بأكثر من تسمية فهناك أطلس الجنوبية وهي أكثر الجبال إرتفاعا وتعقيدا.

وتمتد هذه السلسلة مخترقة الجزائر وتعرف هناك بأطلس الصحراوية وعندما تصل إلى تونس تعرف بإسم جبال أطلس التل، أما أطلس العظمى فهي تسير موازية للساحل وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي حتى تصل إلى تونس، ولقد حاول كل من العالمين برنارد Bernard وفوشية Ficheur رسم ملامح المنطقة التي كانت تقع فيها مملكة نوميديا القديمة، وتبين لهما أن الساحل كان محفوا ببقايا مبعثرة من الأحراش والأدغال القديمة وكانت تغطي جزءاً من المساحة المستغلة اليوم، كما أثبتا أن التربة كانت تختلط بجزء كبير من الملح إلى جانب وجود المستنقعات^(٢).

وبالإضافة إلى سلسلة جبال أطلسي توجد سلسلة جبال زيجوتان Zeugitane والتي تتكون من صخور رمادية أو زرقاء ذات قمم مدببة وهذه القمم تبلغ من الإرتفاع ما يقرب من ١٣٠٠ متر وتتجه هذه السلسلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويقع الجزء الأكبر من هذه الجبال في تونس الحالية وتمتد حتى تصل بالقرب من خليج تونس^(٣).

وليست الجبال هي الصفة الغالبة على تضاريس شمال أفريقيا فهناك الهضاب والسهول التي تنتشر في كل البلاد محصورة بين سلاسل الجبال وحول مجارى الأنهار، ففي موريتانيا (المغرب الحالية) توجد هضبة كبيرة تعرف بإسم الميزيتا Mesata المغربية قطعتها الأنهار القصيرة، وهذا الجزء من بلاد المغرب ملائم جدا

(١)

Strabo . xvii. iii. 2.

(٢)

Gsell.S.op.cit.I.pp.5-6.

(٣)

Ibid. P .20.

استرابون أن جبال ليبيا كانت أهلة بالسكان منذ فترة بعيدة^(١).

أدى إرتفاع الجبال إلى حجز الرياح المحملة ببخار الماء وسقوط الأمطار التي أستخدمت في الزراعة ورعى الحيوانات، وعرفت جبال أطلس بأكثر من تسمية فهناك أطلس الجنوبية وهي أكثر الجبال إرتفاعا وتعقيدا.

وتمتد هذه السلسلة مخترقة الجزائر وتعرف هناك بأطلس الصحراوية وعندما تصل إلى تونس تعرف بإسم جبال أطلس التل، أما أطلس العظمى فهي تسير موازية للساحل وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي حتى تصل إلى تونس، ولقد حاول كل من العالمين برنارد Bernard وفوشية Ficheur رسم ملامح المنطقة التي كانت تقع فيها مملكة نوميديا القديمة، وتبين لهما أن الساحل كان محفوا ببقايا مبعثرة من الأحراش والأدغال القديمة وكانت تغطي جزءاً من المساحة المستغلة اليوم، كما أثبتا أن التربة كانت تختلط بجزء كبير من الملح إلى جانب وجود المستنقعات^(٢).

وبالإضافة إلى سلسلة جبال أطلسي توجد سلسلة جبال زيجوتان Zeugitane والتي تتكون من صخور رمادية أو زرقاء ذات قمم مدببة وهذه القمم تبلغ من الإرتفاع ما يقرب من ١٣٠٠ متر وتتجه هذه السلسلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويقع الجزء الأكبر من هذه الجبال في تونس الحالية وتمتد حتى تصل بالقرب من خليج تونس^(٣).

وليست الجبال هي الصفة الغالبة على تضاريس شمال أفريقيا فهناك الهضاب والسهول التي تنتشر في كل البلاد محصورة بين سلاسل الجبال وحول مجارى الأنهار، ففي موريتانيا (المغرب الحالية) توجد هضبة كبيرة تعرف بإسم الميزيتا Mesata المغربية قطعتها الأنهار القصيرة، وهذا الجزء من بلاد المغرب ملائم جدا

(١)

Strabo . xvii. iii. 2.

(٢)

Gsell.S.op.cit.I.pp.5-6.

(٣)

Ibid. P .20.

وفى منطقة ميدا Medea الواقعة فى جنوب سهل متيدجا Mitidja توجد الأرض الصالحة للزراعة وخاصة زراعة الحبوب ويساعد على ذلك وجود بعض الأنهار القصيرة العميقة، ويلاحظ فى هذه المنطقة أنه مع وجود السهول والهضاب إلا أن إنتشار التربة الصخرية المشتعلة على الحصى والأحجار جعل خصوبة التربة تختلف من مكان لآخر، لذلك فهناك بعض المساحات التى لا تصلح للزراعة مع توافر مياه الأمطار فيها^(١).

وتمتد السهول الواسعة من مدينة كيرتا Cirta (اليوم قسنطينة) Constantine^(٢) حتى غرب تونس وهذه السهول تتخللها بعض السلاسل الصخرية ولكن السهول قطعتها، ساعد ذلك على قيام الزراعة وخاصة أشجار الزيتون، كما ساعد وجود نهر مجردة Medjerda (Bagradas) وروافده العديدة إلى وجود السهول الفيضية مما شجع السكان على الإستقرار فى هذه السهول وحول مجارى الأنهار وإستغلالها أحسن إستغلال^(٣). وإلى جنوب تبسه Tebessa كانت بعض المناطق المرتفعة التى حولتها التآكلات إلى سهول، ولكن كمية الأمطار كانت غير كافية لزراعة الحبوب لذلك إنتشرت حرفة رعى الأغنام، أما فى العصر الرومانى فقد زرعت مساحات كبيرة من السهول بأشجار الزيتون وكانت هذه المنطقة من المناطق الآهلة بالسكان^(٤) أما فى وسط تونس توجد هضبة واسعة يبلغ إرتفاعها ما يقرب من ٨٠٠ مترا أثرت عليها

(١) Gsell.S.op.cit.I.p.10.

(٢) مدينة كيرتا Cirta تعرف اليوم باسم قسنطينة بالجزائر، كانت إحدى عواصم الملك سيفاقس Syphax ملك غرب نوميديا فقدما فى عام ٢٠٣ ق.م أثناء الحرب البونية الثانية، ودخلت ضمن أملاك ماسينسا ملك شرق نوميديا Polybius,xxxvi,16. كما كانت مقرا للجالية الإيطالية فى أفريقيا أثناء الحرب ضد يوغورتا. Sallust. Bell. Jug, xxvi. وكانت إحدى مدن الملك النوميدي يوبا الأول Caesar, Bell. Afri. 26 واحد المستعمرات التى أنشأها قيصر فى أفريقيا Pliny. V. 2. 22 راجع موقعها على الخريطة رقم (٣) بملحق الرسالة.

(٣) Gsell.S.op.cit.I.p.14.

(٤) Strabo . xvii. iii. 7.

الظروف المناخية وتحتوى تربتها على طبقة من فوسفات الجير مما جعلها صالحة لزراعة المحاصيل، وتتمتع هذه الهضبة بسقوط كمية كبيرة من الأمطار بسبب الارتفاع، ولذلك كانت أهلة بالسكان حتى قبل الغزو الرومانى لشمال أفريقيا (١).

وقام العالم بورد Bourde فى عام ١٨٩٩ بعمل أبحاث عن زراعة الفواكه، وخاصة زراعة الزيتون فى وسط تونس وتبين من تقاريره أن التكوين الطبيعى للتربة لديه استعداد جيد لزراعة الأشجار حيث أن القشرة العليا تمتص المياه بسرعة، وتظل الرطوبة تحت القشرة لفترة كافية لأن يضرب النبات فيها بجذوره، أما فى شرق تونس وعند مدينة قفصة Gafsa تسود الهضاب الواسعة والمراعى الفقيرة التى تنتشر فيها حرفة رعى الأغنام، والماعز، والإبل وفى أماكن عديدة توجد التربة الخصبة، ولكن كمية المياه غير كافية وقد تغلب السكان على هذه الصعوبة بزراعة الأشجار التى تقاوم الجفاف مثل النخيل (٢).

وعموما فالمناطق السهلية غير متمساوية القيمة فالبعض لا تسقط عليه الأمطار والبعض الآخر تسقط عليه الأمطار وأخرى تشتمل على المستنقعات وهناك من تختلط تربته بالملح بنسبة عالية، هذا فيما عدا مناطق ممتدة وسط تونس وغرب المغرب وهذه المساحات لا تشكل إلا جزراً صغيرة لا تتناسب مع عنف وفقر البلاد المجاورة.

ولقد ساعد إرتفاع الجبال فى شمال أفريقيا إلى صد الرياح الباردة المحملة ببخار الماء وكان ذلك من أسباب تكوين الأنهار فوق الجبال وإنحدارها إلى السهول المجاورة، فنهر ملوية الذى ينبع من أعالي جبال الأطلس يسير بين مملكة المورى ونوميديا ويصب فى البحر المتوسط وتكونت على ضفاف هذا النهر السهول الفيضية التى استخدمت فى الزراعة منذ فترة طويلة، وفى موريتانيا يجرى نهر سبو Sebo ويصب فى المحيط الأطلسى وهذا النهر صالح للملاحة (٣) إلى جانب بعض الأنهار

Gsell.S.op.cit.I.p.19.

Ibid I.p.p.21-22.

Pliny.v.I.5.

(١)

(٢)

(٣)

القصيرة التي سببتها الأمطار التي تسقط على الجبال وتصب جميعها في المحيط وتشبه في شكلها المروحة نظرا لقرب منابعها وسيرها في إتجاهات مختلفة (١).

ويتفق جريان الأنهار في بعض الأحيان مع وجود التربة الخصبة والذي ساعد على إشغال السكان بزراعة الحبوب ووجود المراعى الغنية للحيوانات وإلى جانب مجارى الأنهار قام السكان بحفر الآبار العميقة وإقامة الخزانات وأحواض المياه، كما تجرى عدة أنهار في غرب أفريقيا في المناطق المطلة على المحيط الأطلسي منها نهر سالى Sallee ونهر تنسفت Tensift وسوس Sous (٢) ولكسوس (٣) Lixus وغور Ger (٤) واليهيم يرجع الفضل في وجود واحة تافيلالت ووادي درعا الذي ساعد على قيام الزراعة ولكنها في جملتها فقيرة (٥).

ومن أشهر الأنهار التي تجرى في مملكة نوميديا القديمة هو نهر مجردة ذات الروافد العديدة والذي ينبع من الجبال المرتفعة عند مدينة كيرتا ويسير لمسافات طويلة حتى يصب في خليج تونس، وعلى روافده بنيت المدن القديمة، ويصادف جريان هذا النهر أراض خصبة صلصالية غنية بفوسفات الجير وتغطي مساحات واسعة (٦)، أما نهر الأمباساج Ampsaga الذي يفصل بين شرق نوميديا وغربها فله دور كبير أيضا في قيام الزراعة في هذه المنطقة، ولذلك كانت مثار نزاع بين ملوك نوميديا (٧).

ويتمتع شمال أفريقيا بسواحل طويلة تطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وكان لهذه السواحل أهمية كبيرة منذ العصور القديمة فبنيت على هذه السواحل وعلى مصبات الأنهار المدن القديمة، وعند بداية إستقرار الفينيقيين على

(١) Strabo . xvii. iii. 6; 9-10.

(٢) Pliny.v.I.10.

(٣) Ibid. V.I.4.

(٤) Ibid. V.I.15.

(٥) Gsell.S.op.cit.I.p.5. .

(٦) Strabo . xvii. iii. 19.

(٧) Pliny.v.I.19.

(٥) وراجع الخريطة رقم (٤)

(٦) وراجع الخريطة رقم (٥) بالملحق .

(٧) وراجع الخريطة رقم (٥)

ساحل أفريقيا ينبت عدة مدن مثل أوتيكا Utica وهي أقدم مستعمرة في أفريقيا الشمالية على وجه التقريب^(١) أسستها مدينة صور الفينيقية حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد وكانت تقع على مقربة من مصب نهر مجردة الحالى، أما مستعمرة هيبو ديرهوتس Hippo Diarrhytus (بيزرت) فكان لها مرفأ عظيم على بحيرة بزرت. أما لبكس الكبرى فكانت تقع على مصب نهر بالقرب من خليج سرت، ولقد إمتد نشاط الفينيقيين إلى سواحل المحيط الأطلسى وبنوا مدينة لكسوس Lixus^(٢) غير أن ساحل شمال أفريقيا كان يفقد أهميته فى بعض الأحيان أمام إمتداد رؤوس الجبال بالقرب من الساحل، وعموما فالموانئ على هذا الساحل قليلة بالقياس إلى دول العالم القديم. أما ساحل سرت فقد تميز دون غيره من السواحل بضحالة المياه فى أماكن عديدة وإرتفاع المد والجزر فى هذا الخليج وعلى هذا فالبحارة يضعون حسابا كبيرا لهذا ويظلون بعيدا عن الساحل خوفا من الإندفاع إلى هذا الخليج تحت تأثير الرياح^(٣).

أما عن مناخ أفريقيا وعلى وجه التحديد المنطقة الشمالية والتي تخص دراستنا فإن كل الكتابات القديمة أثبتت أن شمال أفريقيا يتمتع منذ فترة طويلة بمناخ معتدل، ولقد تأثر مناخ هذه المنطقة بقربها من البحر المتوسط وتنوع الإرتفاعات بالإضافة إلى إمتداد الساحل، كل هذا أدى إلى قلة الفروق بين درجة الحرارة العليا والدنيا ليلاً ونهاراً.

وأدى هبوب الرياح الجنوبية الغربية والشمالية على شمال أفريقيا والتي تمر على مسطحات بحرية واسعة وتتحمل ببخار الماء إلى سقوط الأمطار ويتفق سقوط

(١) ج. كوننثر، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٢) تقع -لكسوس على بعد ٤ كيلو متر من ساحل المحيط الأطلسى فى وادى متسع تصله فيضانات نهر لكسوس وكان هذا النهر صالحا للملاحة لمسافة كبيرة من جريانه، ويؤكد معظم الباحثين أن إقامتها بواسطة الفينيقيين كانت أسبق من إنشاء قرطاجة، ولقد عثر على قطع من العملة بكتابات بونية ولاتينية. مما يؤكد وقوعها تحت السيطرة القوطاجية ثم الرومانية. راجع روجية، رايموند المرجع السابق ص ٧١. Mazard. J.corpus Num-morum Numidiae Mauretaniaeque; (paris. 1958) p. 189, ; Strabo. xvii. iii. 2.

Strabo. xvii. iii. 20.

(٣) راجع خريطة رقم (٣) بالملحق.

الأمطار مع فصل الشتاء والنصف الثاني من الخريف وبداية الربيع ويقل تساقط الأمطار بين شهري مايو وأكتوبر وتكون بموجات قصيرة مصحوبة بالعواصف، وأدى ارتفاع الجبال إلى تكوين الثلوج على القمم المرتفعة التي تذوب في نهاية الربيع وهذه الظاهرة هي التي تسبب جريان أنهار أفريقيا الشمالية في فصل الصيف.

وتهب الرياح الجافة الجنوبية على شرق تونس وجنوبها حيث لا تقابل أي حواجز أو موانع طبيعية، وهذه الرياح ضارة بالنسبة لزراعة العنب ومحاصيل بداية الصيف، أما رياح فصل الشتاء فتهب على جنوب غرب وغرب المغرب وشمال غرب الجزائر وتونس وتأتي هذه الرياح من انشمال محملة ببخار الماء وتسبب سقوط الأمطار على هذه البلاد.

وتتميز أمطار الشمال الأفريقي بعدم الانتظام من حيث كميات المطر الساقطة على المدن الأفريقية فمعدل المطر السنوي في فليبفيل (Philippeville) روسكادي القديمة (Rusicade) ٧٦٦ ملليمتر وفي قسنطينة ٦٣٢ ملليمتر ويسكرة ١٧٠ ملليمتر وبانتا ٣٩٩ ملليمتر وتبسة ٣٤٤ ملليمتر والسبب في هذه المتوسطات غير المتسوية يرجع إلى البعد أو القرب من البحر واختلاف الارتفاعات من مكان إلى مكان (١).

ووصف بعض الكتاب والمؤرخين ليبيا القديمة إنها جافة وصحراء جدداء وليس فيها أية وسيلة لقيام الحياة، ولقد زعم البعض أن ليبيا كانت مجموعة رمال ومنهم بوليبيوس، ويرجع بوسيدونيوس Posidonius السبب في جفاف شمال أفريقيا إلى قلة الأمطار، وكذلك قال سالوست: *Caels Terraque Penuria Aquarum* ويقول فرونتين Frontin أن أفريقيا من المناطق الجدية *regio aridissima* وكذلك أيومين Eumenes يذكر أن ليبيا منطقة جافة *Libyae arva sitientia* (٢).

وإذا كانت بعض المصادر تصف أفريقيا بالجذب إلا أن الجذب ظاهرة إستثنائية ونادرا ما يسود منطقة ساحلية مثل شمال أفريقيا، وإذا كانت منطقة شمال أفريقيا قد

(١)

Gsell.S.op.cit.I.p.47.

(٢)

Ibid. I.P. 83; Bovill.E.W.The Sahara (Gloucester 1929) p.416.

وصفت عند طائفة من المؤرخين القدماء على هذا النحو فما هو سبب ذلك؟ هل يكون السبب فى ذلك قلة الأمطار على عهدهم؟

والمعروف أن الرومان كانوا يعتمدون على قمح شمال أفريقيا (بالإضافة إلى قمح مصر) الذى كان يعتمد على كميات مناسبة من المطر (١) وهناك دليل آخر عن مظاهر الخصب والنماء فى شمال أفريقيا وهو ما ذكره بليني عن أنهار شمال أفريقيا ومنها نهر سبو Sebo الذى كان صالحا للملاحة طوال السنة ولمسافة تبلغ ٥٠ كم (٢).

أما مدينة لبكس ماجنا Lepcis Magna فقد بلغ عدد سكانها ما يقرب من ستين ألفا، فمن أين كان سكانها يحصلون على الماء؟ وكيف كانت تمتلئ الخزانات الكبيرة والحمامات العامة بالمياه، إذا لم يكن ماء المطر من الكثرة بحيث يكفى هذا العدد من السكان (٣).

ولقد أثبتت الحقائق العلمية أن مناخ شمال أفريقيا فى العصور القديمة لم يختلف كثيرا عن مناخها اليوم وأن الأمطار تسقط على أفريقيا بفضل الرياح الشمالية الغربية التى تهب على الساحل بوجه عام وتقل الأمطار كلما إتجهنا نحو الداخل، ولقد لاحظ أبيان أن مناخ ليبيا (أى شمال أفريقيا) يختلف إختلافا كثيرا عن مناخ الهند وأثيوبيا، والمعروف أن شمال أفريقيا يقع فى نطاق المنطقة المعتدلة وهذا ما تؤكدته كتابات الجغرافيين والمؤرخين عندما تتحدث عن موارد أفريقيا فى العصور القديمة ونذكر منها على سبيل المثال التين والرمان والعنب والزيتون والتى يتفق وقت نضجها مع أيامنا فى الوقت الحاضر (٤).

وأثبتت الحفائر الأثرية فى شمال أفريقيا وخاصة فى مواقع المدن القديمة عن وجود أنقاض لقناطر رومانية أقيمت لعبور المجارى الواسعة جدا عن المجارى

Bovill.E.W.The Golden Trade of the Moors. (Oxford. 1961) p.8. (١)

Pliny.v.I.5. (٢)

Bovill.E.W.op.cit . p .2. (٣)

Gsell.S.op.cit.I.p.83; Pliny.xviii.V.24. (٤)

الحالية^(١) ومما يذكره استرابون أن ليبيا من المناطق الخصبة المزودة بموارد المياه فيما عدا المناطق الصحراوية الواقعة في جنوبها ودليل ذلك هجرات سكان الجنوب إلى المناطق الشمالية وأنهم عند عودتهم إلى مناطقهم، كانوا يحملون معهم المياه^(٢).

حقيقة كانت بعض المناطق تتعرض أحيانا لنقص في كميات المياه المطلوبة ويلاحظ ذلك عندما أراد الرومان توسيع رقعة مناطق نفوذهم أن إستعانوا ببناء خزانات المياه وحفر الآبار أو جلب المياه أينما وجد، فمدينة كيرتا كانت تحصل على ما يكفيها من المياه على بعد عشرين ميلا، وجلبت المياه لمدينة قرطاجة من على بعد تسعين ميلا تقريبا، كما كانت هناك وسيلة أخرى هي بناء السدود لتخزين ما يسقط من أمطار واستخدامها وقت الحاجة^(٣).

وليس بصحيح تماما ما يقال عن جفاف الصحراء، وبالرغم من أن هذا الموضوع يخرج عن مجال دراستي .. إلا أنني أرى أن إلقاء الضوء عليه أمرا ضروريا نظرا لما بين الصحراء والشمال الأفريقي من ترابط وخاصة من النواحي السياسية والاقتصادية التي حدثت فيما بعد.

ولقد أكدت كتابات المؤرخين حقيقة إنتشار القبائل في الصحراء وبالرغم من حرمان المناطق الداخلية من الأمطار إلا أن تصريف المياه في شمال أفريقيا يجرى نحو البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وما يتبقى يتصرف نحو الداخل ويتشرب خلال التربة الرملية جنوب جبال أطلس الجنوبية والصحراوية، مما ساعد الإنسان على حفر الآبار واستخدامها في الشرب.

وقد كانت المحطات التجارية التي أقيمت على مشارف الصحراء تربط سكان الشمال بسكان الجنوب، ولقد لعب الجمل دوراً أساسياً في تجارة صحراء أفريقيا منذ عصر قيصر على ما يرجح وجرى استخدامه في حدود ضيقة وإن كان وجود الجمل في حد

(١)

Leschi.L. Centenarium quod aqua viva appellatur (paris 1941) p. 164.

(٢)

Strabo . xvii. iii. 7.

(٣)

Bovill.E.W.op.cit . p .3.

ذاته دليلا على جفاف الإقليم لأنه من الحيوانات التى تقاوم الجفاف، إلا أنه يدل أيضا على وجود بعض النباتات الصحراوية فى الأودية القديمة أو وجود الآبار التى حفرها السكان فى هذه المناطق أو لسقوط بعض الأمطار فى فترات متباعدة جدا (١).

ولا تعتمد صفة الجفاف فى الصحراء الأفريقية على الندرة وعدم الانتظام فى سقوط الأمطار فحسب بل تعتمد أيضا على درجات الحرارة المرتفعة ومعدلات البخر العالية على مدار السنة (٢) ولقد حدث تذبذب مناخى فى حوالى ٨٥٠ ق.م نحو ظروف أكثر مطرا إذا ما قورنت بتلك الظروف التى تسود المناطق الصحراوية فى الوقت الحاضر والألفى سنة الماضية التى تميزت بذبذبات مناخية مطيرة فى إطار مناخى جاف، وقد تباينت الآراء بخصوص هذه الفترة الأخيرة لوقوع هذه الفترة فى نطاق العصور التاريخية وظهور حضارات عظيمة فى أجزاء العالم القديم، فهل ما أصاب الصحراء هو الجفاف أم انهيار الحكومات والنظم الاجتماعية الذى أدى إلى اضمحلال الإمبراطورية الرومانية فى شمال أفريقيا؟ وقد رجحت فكرة الجفاف إلا أن الأدلة الأثرية الحديثة والارسابات لم تؤكد هذا، إذ يوجد فى كل مكان داخل الإمبراطورية الرومانية فى شمال أفريقيا الدليل الكافى على أن سكنى المنطقة قبل ذلك كان معتمدا على مصادر المياه، فخزان المياه العظيم فى الصفصاف بالقرب من قورينى (شحات) فى منطقة برقة كان مستودعا لجمع مياه منطقة صغيرة من الحجر الجيرى، وكان هذا الخزان مسقوفا بسقف قبابى من الحجر لحمايته من عمليات البخر الشديد، كما بنيت القناة الأرضية التى تأخذ المياه من الخزان إلى مدينة شحات بطريقة تقلل من المياه المفقودة إلى أدنى حد (٣).

وقد تتعرض بعض المناطق المرتفعة فى صحراء شمال أفريقيا لسقوط الأمطار من وقت لآخر، فتنحنى خطوط المطر المتساوية صوب الجانب الاستوائى لتتفق مع

(١) Fage.T.D, The Cambridge History of Africa vol.2. (Cambridge 1978) p.171.

Bovill.E.W.,The Camel and the Garamantes, (Gloucester 1956) p. 20.

(٢) كليث والطنون، الاراضى الجافة. ترجمة على عبد الوهاب شاهين (الاسكندرية ١٩٧٦) ص ٥٣.

(٣) نفس المرجع، ص ص ٨٣-٨٤.

مرتفعات تبستي Tibesti وإيري Air في حين أنه إلى الشمال الغربي تقف مرتفعات الأحجار Ahaggar بحافتها المعروفة باسم Tassili des Ajjar و Annedir كجزر مطيرة وسط مناطق واسعة جافة؛ إلا أن كميات المطر لا تتعدى أربعة بوصات سنوياً وعلى العكس من ذلك نجد أن المنخفضات العظمى في صحراء شمال أفريقيا تكون شديدة الجفاف فلا تسقط الأمطار على هضبة مرزق شرق الأحجار والتي تحيطها المرتفعات إلا حوالى ٤, ٥ بوصة سنوياً، ويمثل منخفض الكفرة في الصحراء الليبية أجف منطقة في صحراء شمال أفريقيا^(١).

ولقد كان من نتيجة سقوط الأمطار على فترات متباعدة أن وجدت المراعى الصحراوية الفقيرة، ولكن عندما تعجز هذه المراعى عن سد حاجة القبائل الرعوية ينشأ خطر طرد الصحراء لسكانها وتنتشر الهجرات الجماعية إلى المناطق المجاورة. وعلى ذلك أصبحت القاعدة أن تغير المناخ في الصحراء منذ الفترة الرومانية وقلة سقوط الأمطار أحد مسببات الإضطراب السياسى فى تاريخ شمال أفريقيا^(٢).

ومن المحتمل أن الصحراء الأفريقية كانت أقل جفافاً على أيام القرطاجيين والرومان بدليل إنتشار مناطق إستقرار البدو فى الصحراء ووجود أنواع عديدة من الحيوانات وعلى سبيل المثال الفيل الأفريقى وهو نفس الحيوان الذى يكثر وجوده فى وسط أفريقيا فى الوقت الحاضر، ويؤكد العلماء أن آخر مواطن الفيلة فى شمال أفريقيا فى أطلس العليا^(٣).

وتؤكد الكتابة القديمة وجود الفيلة فى المنطقة الخلفية للإقليم الساحلى أو بمعنى آخر الإقليم الصحراوى^(٤)، وإذا كان الفيل يحتاج إلى حوالى ٦٠٠ رطلاً من الحشائش الخضراء لطعامه يومياً أو ما يقرب من حشائش ميلين مربعين فى اليوم الواحد، ذلك أن

(١) كنيث والطرن، المرجع السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٢) Bovill.E.W.The Golden Trade of the Moors.pp.11,12.

(٣) Ibid. P. 5.

(٤) Herodotus. Iv. 191.; Strabo . xvii. iii. 5.

الفيل فى حياته البرية يقوم بالرعى لمدة ثمانية عشرة ساعة يوميا على الأقل (١) معنى ذلك أنه لم يكن مناخ الصحراء مسئولا عن فقر المنطقة من الحيوانات مثل الفيل فهناك عامل آخر الا وهو استخدام الفيل فى الحروب القديمة وزيادة طلب الرومان على العاج بالإضافة إلى إستخدام الفيلة فى حلبة المصارعة الرومانية (٢) .

ومما يؤكد إنتشار الفيلة فى شمال أفريقيا صور العملة التى صور عليها الفيل فى مناسبات عديدة، كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن الفيل كان يمثل رمزا لإقليم شمال أفريقيا لدى الرومان (٣) أما نبات السالفسيوم Silphium ذلك النبات الذى تستخدم عصارته فى الدواء فيأتى دليلا آخر على وجود وإمكانية الحياة فى صحراء ليبيا وإن كانت فى جملتها فقيرة، وينمو هذا النبات فى إقليم برقة وله قدرة عالية على مقاومة الجفاف (٤) وعلى كل الأحوال فقد كانت الصحراء فى عهد السيادة القرطاجية والرومانية مصدرا لصيد الفيلة وأحجار البناء إلى جانب أنها كانت ملجأ للهاربين والمتمردين (٥) .

يتبين من دراسة مناخ شمال أفريقيا القديم أن السواحل والمنطقة المجاورة لها كانت تتمتع بمناخ معتدل لا يختلف كثيرا عن المناخ السائد فى الوقت الحاضر، أما الصحراء والقسم الجنوبى من ليبيا القديمة فبالرغم من جفافه كان مهينا لحياة نشطة فى الرعى والتجارة .

توزيع القبائل الليبية فى شمال أفريقيا -

فى الكتاب الرابع من أحاديثه أمدنا هيرودوت بمعلومات هامة عن القبائل الليبية التى استقرت فى شمال أفريقيا شملت أسماءها وعاداتها وتقاليدها وأماكن

(١) فوزى مكوى، الفيل الافريقى ودوره فى الحروب القديمة (مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية - العدد السادس . القاهرة ١٩٧٧) ص ٢١٢ .

Bovill.E.W.op.cit . pp .6-7.

Mazard.J.op.cit.23 .FF

Herodotus. IV. 192; Strabo . xvii. iii. 23.; Pliny.v.v.33.

Sallust.Bell.Jug.xviii.

(٢)

(٣) وراجع صور العملة فى ملحق الرسالة

(٤)

(٥)

إقامتها، وقد جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس (خليج قابس بتونس تقريبا) حداً فاصلاً بين مجموعتين من القبائل الليبية، مجموعة إلى الغرب من هذه البحيرة وأغلبها من الزراع الذين ألفوا حياة الاستقرار المجموعة الثانية تعيش إلى الشرق من البحيرة وتتألف من بدورعاه، وأساس التفرقة عند هيرودوت ليست على اختلاف الجنس ولكن على أساس اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى^(١).

ولقد تعرضت منطقة شمال أفريقيا لضغط شعوب البحر المتوسط وخاصة منذ بداية نزول الفينيقيين في طرابلس منذ عام ١١٠٠ ق.م، ومجيئ الإغريق إلى برقة وإنشاء أولى مستعمراتهم في قوريني (شحات) في عام ٦٣١ ق.م^(٢) ثم الإستعمار الروماني فيما بعد.

وفي بداية الأمر لم تتعد نقط الاستقرار الفينيقية أن تكون محطات تجارية - emporia استطاعت بعد ذلك بسط نفوذها على القبائل المجاورة لها، ومنذ عام ٨١٤ ق.م كانت مدينة قرطاجة (تقع في تونس الحالية)، العاصمة للعديد من المدن المنتشرة على الساحل الأفريقي ابتداء من خليج سرت syrtis حتى أقصى الغرب^(٣) ولقد أدى موقع قرطاجة إلى تأثر القبائل الليبية المجاورة لها واكتساب المؤثرات الفينيقية وتحول جزء من هذه القبائل إلى الإشتغال بالزراعة ومالوا إلى الاستقرار، ومما يدل على قوة وعظمة قرطاجة أن المؤرخ بوليبيوس يذكر أن قرطاجة أثناء الحروب البونية كانت تسيطر على ساحل أفريقيا فيما بين مذبج الأخوين فيلايني philaeni على خليج سرت الكبرى وأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) على ساحل أفريقيا الغربي^(٤).

(١) مصطفى كمال عبد العظيم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم (بنغازي ١٩٦٨) ص ١.

(٢) نفس المرجع ص ٣٤-٣٥.

(٣)

Strabo . xvii. iii. 15.

Polybius. III. 39.; Sallust, Bell. Jug. Lxxix.

(٤)

هيرودوت	بوليبيرس	ديودورس	سالوست	استرابون	بليتي	لفيروس
الجرمانيس			الجيوليون	الجيوليون	الجيوليون	
النسامونيس				الجرمانيس	الجرمانيس	الجرمانيس
		النسامونيس		النسامونيس	النسامونيس	
	الليبيون	الليبيون		الليبيون	الليبيون	الليبيون
	الفينيقيون	الفينيقيون		الفينيقيون	الفينيقيون	الفينيقيون
النوميديون	النوميديون	النوميديون	النوميديون	النوميديون	النوميديون	النوميديون
	الموريون		الموريون	الموريون	الموريون	الموريون
	المسالين			المسالين	المسالين	المسالين
	المساييلين			المساييلين	المساييلين	المساييلين

وتستند المعلومات عن القبائل الليبية في المنطقة موضع الدراسة من مصادر التاريخ الروماني. ويلاحظ على هذه القوائم أن معظم المصادر كانت قد اهتمت بالقبائل الليبية التي لعبت دورا هاما في الصراع بين روما وقرطاجه من جانب ثم بين هذه القبائل والرومان من جانب آخر، خلال فترة الاستعمار الروماني على شمال أفريقيا.

والى الغرب من قرطاجة كانت القبائل الليبية الرعوية التى عرف أبناؤها باسم النوميديين وأعطوا اسمهم للمنطقة التى يستقرون فيها فعرفت باسم نوميديا Numidia ولقد بدأت معرفة العالم تزداد عن هذه المنطقة ابتداء من الحروب البونيقية، وتذكر المصادر اليونانية واللاتينية أن القبائل الليبية غرب قرطاجة وحتى حدود نهر ملوية فى الغرب كانت تنقسم إلى قسمين الأول هو إقليم المسيسيليين Massaesylians والذى عرف فيما بعد باسم نوميديا الغربية وكانت حدودها الشرقية تبدأ عند نهر الأمباساج Ampsaga والبعض يقول من رأس ترتيون (رأس بوجارون) وتمتد لمسافة كبيرة حتى نهر ملوية ، أما الإقليم الثانى فقد عرف باسم نوميديا الشرقية أو إقليم المسالبيين Mas-sylians ويبدأ من حدود الإقليم السابق فى الغرب وحتى قرطاجة فى الشرق (١) .

كانت هذه القبائل الليبية المعروفة باسم النوميديين أولى القبائل بعد قرطاجة معرفة بالزراعة، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى مجاورتها لقرطاجة وخضوعها لها فى بعض الأحيان ومن ناحية أخرى إلى سقوط الأمطار بوفره، وخصب التربة وجريان بعض الأنهار خلال هذه البلاد ولمسافات طويلة مثل نهر مجردة وروافده العديدة (٢)، ولقد أشار بليني إلى مساكن النوميديين ووصفها بأنها مساكن متنقلة عرفت باسم Mapalia (٣) وهى فى الغالب تشبه مساكن النسامونيس المصنوعة من فروع الأشجار (٤) وإذا كانت صفة التنقل والإرتحال هى الغالبة على هذه القبائل، فإن الإستقرار الكامل لم يبدأ إلا فى عهد ماسينسا (٥) .

وفى المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا القديمة وفى المنطقة التى كان يحدها نهر ملوية فى الشرق والصحراء من الجنوب كانت تقيم القبائل الليبية المعروفة باسم المورى، ومع توافر مقومات الزراعة فى هذا الجزء من شمال أفريقيا حيث تسقط

(١) راجع الخريطة رقم (٣). Pliny.v.ii.22. ; Strabo . xvii. iii. 9.

(٢) Strabo . xvii. iii. 9.

(٣) Pliny.v.ii.22.

(٤) مصطفى كمال عبد العظيم، مرجع سابق ص ٨٢ .

(٥)

الأمطار على جبال أطلس ووجود بعض المناطق الخصبة، إلا أن معظم السكان ظلوا على حالتهم الرعوية فترة طويلة من الزمن ولم يعرفوا الإستقرار والزراعة إلا فى بداية عهد الإمبراطورية الرومانية، وإلى جانب حرفة الرعى كانت حرفة قطع الأخشاب، وجدير بالذكر أن إقليم المورى المعروف باسم موريتانيا كان قد زود روما بجزء من حاجتها من الأخشاب لفترة طويلة^(١).

أما فى جنوب النطاق الساحلى فقد غلبت عليه قبائل متجولة عرفت بأسماء عديدة من بينها الجيتوليون والجرامنتيس وقبائل النسامونيس . ولقد تميز هذا الإقليم كما سبقت الإشارة بنسبة من الجفاف، لذلك كانت الصحراء، مصدر هجرات متتابعة من القبائل المتجهة إلى الشمال جريا وراء العشب أو هروبا من حرارة الشمس، هذا إلى جانب بعض الجماعات التى عرفت من خلال سلوكها ونشاطها فهناك قبائل أكلة اللوتس - eaters - و سكان الكهوف ويتمركزون إلى جنوب إقليم المورى^(٢).

ولقد كانت قبائل الجرامنتيس أشد وأقوى القبائل فى الصحراء الليبية . ونظرا لعدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين الليبيين الرعاة عن الليبيين الذين ألفوا حياة الزراعة فقد كانت هناك بعض العلاقات بين أهالى الصحراء وسكان الساحل كان أغلبها يتم تحت ظروف إقتصادية صعبة يجبر عليها سكان الصحراء عندما تنفذ مواردهم الضئيلة فيضطرون إلى القيام بهجرات موسمية إلى مناطق التلال فى الشمال^(٣).

من الواضح أن العلاقة بين سكان الصحراء والمناطق الشمالية لم تكن دائما ذات طابع هجومى، ولكن كان يتخللها فترات من الهدوء، ففى رأى بعض المؤرخين أن قبائل الجرامنتيس كانت وسيلة لانتقال العديد من السلع تأتي من المناطق الداخلية إلى الساحل لعل أشهرها وأهمها العاج وجلود الحيوانات وريش النعام وأحجار الملح والأحجار الثمينة مثل حجر العقيق Carbuncle وأطلق عليه

Strabo . xvii. iii. 4, Fage.T.D.op.cit.p. 189.

Herodotus. IV. 183.

(١)

(٢)

(٣) مصطفى كمال عبد العليم، مرجع سابق ص ٦٥ .

الإغريق إسم حجر قرطاجة. ho karchodonios lithos. لأنه كان ينقل من منطقة الجرامنتيس إلى الأسواق الخارجية عن طريق تجارة قرطاجة^(١).

وفي الفترات المبكرة من إستقرار الفينيقيين على سواحل أفريقيا لم يتوغلوا إلى قلب الصحراء لجلب ما فيها من سلع وخيرات بل كانوا يحصلون عليها عن طريق الجرامنتيس، ولكن في عصر قرطاجة حاولوا الوصول إلى مصادر هذه السلع دون مساعدة هذه القبائل، وحاولوا إكتشاف الطرق المؤدية إلى أواسط أفريقيا ولا يعرف إلى أى مدى وفق الفينيقيون في هذا الشأن^(٢).

ويذكر هيرودوت أن تجارة الذهب ومبادلاته بالملح كانت سائدة بين القبائل الليبية ومن الممكن أن نطلق على هذا النوع من التجارة إسم التجارة الصامتة حيث أن المبادلة كانت تتم عادة دون أن يروا بعضهم البعض، ويذكر أيضا أن القرطاجيين ربحوا من هذه التجارة الكثير^(٣).

إلى الجنوب من إقليم المورى كانت قبائل الجيتوليين Gaetulians وهذه القبائل كانت مثل السابقة شديدة المراس، متجولة، تشبه باقى القبائل الليبية فى تصرفاتها، وكثيرا ما كانت تتعرض السلطات الرومانية للخطر من جراء قيام الجيتوليين بالثورات، ففي القرن الأول قبل الميلاد، شعر الرومان بخطر ثورة هذه القبائل فأعدوا أكثر من حملة لإخماد هذه الثورة^(٤) ويذكر سالوست أن الزعيم النوميدي يورجورتا كان قد لجأ إلى إقليم الجيتوليين وأمكنه تجنيد أعدادا كبيرة منهم لمحاربة الرومان^(٥).

والواضح أن السيطرة على قبائل الصحراء كانت تمثل عبء على موارد

(١) نفس المرجع . ص ٦٧ .

(٢) نفس المرجع . ص ٦٨ .

(٣)

Herodotus. IV. 196.

(٤) مصطفى كمال عبد العظيم ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٥)

Sallust. Bell. Jug. Lxxx.

الرومان ولم تستقر الأحوال فى شمال أفريقيا بين السلطات الرومانية والقبائل الليبية إلا فى عصر الإمبراطورية (١) .

الأقسام السياسية وعلاقاتها بقرطاجة حتى نهاية الحرب البونية الثانية :-

سبقت الإشارة ان الفينيقيين منذ إستقرارهم فى شمال أفريقيا عملوا على إنشاء مراكز تجارية على طول الساحل مثل لبكس ماجنا Lepcis Magna وصبراتة Sabratha وأويا Oea فى إقليم طرابلس (بليبيا الحالية) وهاد روميثوم Hadrumetum (سوس) وأوتيكا Utica (عتيقا) . وهيبودير هوتس (بيزرت) (فى تونس الحالية) ، وبعد فترة من الوقت إستطاعت مدينة قرطاجة (عاصمة هذه المدن) من السيطرة على القبائل الليبية المجاورة لها (٢) وانقسمت هذه القبائل إلى أكثر من فئة فهناك الليبيون الفينيقيون وكانوا رعايا يتمتعون بمركز خاص وبالتزاوج مع القرطاجيين وبامتلاك الأرض ، والليبيون المقيمون فى المناطق المجاورة والخاضعون لحكمها مباشرة ، وأخيرا الليبيون خارج السيطرة القرطاجية ولكنهم دخلوا تحت سيطرتها فيما بعد، عن طريق العلاقات التى أنشأتها مع زعماء القبائل وأيضا عن طريق الروابط التجارية (٣) .

ولم يقتصر نشاط قرطاجة على الجزء الساحلى من ليبيا القديمة ، فبعد أن وصلت إلى سواحل المحيط الأطلسى قامت بإرتياد المنطقة الخلفية لممتلكاتها فأنشأت الطرق الموصلة إلى الداخل حيث الصحراء بحثا عن العاج والأحجار الكريمة ، وتدل النقوش والتنقيبات الأثرية على أن الطرق التى أنشأتها قرطاجة ربطت المدن الداخلية بالمدن الساحلية ، وعثر على طريق يربط زاما ريجيا بقرطاجة وزاما ريجيا بهادروميثوم (٤) .

سيطرت قرطاجة على كل القبائل وأرغمتهم على دفع الجزية السنوية لها نظير

Strabo . xvii. iii. 15.

(١) مصطفى كمال عبد العليم ، مرجع سابق ص ٩٧ .

(٢) راجع الخريطة رقم (٣) .

(٣) ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٤) Grenier.A.Comptes Rendus de l Academie des inscription (paris 1947) p. 493.

حمايتها لهم (١) ولم تتوقف الرحلات القرطاجية إما بهدف إكمال السيطرة على القبائل، أو بهدف إنشاء محطات تجارية جديدة، وكل ذلك عاد بالنفع على قرطاجة فأصبحت قوة كبيرة في غرب البحر المتوسط.

وهذه القوة كان لها تأثير على مجريات الأحداث فيما بعد بينها وبين الدول العظمى مثل روما (٢)، ومما يدل على إحكام قرطاجة السيطرة على القبائل الليبية ما أوردته المصادر عن مساعدة زعماء القبائل الليبية المعروفة بإسم المورى والنوميديين لقرطاجة في عام ٤٠٦ ق.م أثناء الصراع مع الإغريق المعروف بحروب صقلية، وعلى الرغم من ذلك فليس هناك أى دليل على عدد هؤلاء الزعماء ولا مدى إتساع ممتلكاتهم، ويحتمل أن الجنود الليبيين فى الجيش القرطاجى فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ القبائل الليبية كانوا يخدمون بأى الواسيلتين إما كعبيد، أو جنود مرتزقة تدفع لهم الرواتب (٣).

على الرغم من وصول المؤثرات الفينيقيّة إلى كل شمال أفريقيا إلا أننا لا نجد أى دليل على قيام ممالك محلية قبل الحرب البونيقية الأولى أو بعدها، ولكن المعروف أن أثناء هذه الحروب كانت قرطاجة تسيطر على كل القبائل الليبية، بل جندت قرطاجة جزءا كبيرا من الليبيين فى جيوشها ضد روما فى الحرب البونيقية الأولى ٢٦٤-٢٤١ ق.م (٤).

وبعد إنتهاء الحرب البونيقية الأولى قامت ثورة الجنود المرتزقة فى قرطاجة يسانداهم النوميديين تحت قيادة سبندىوس Spendius الذى تمكن من حصار مدينة أوتيكما وماتو Matho الذى حاصر مدينة هيبيو (محتمل أنها مدينة هيبوديرهوتس)، وتجمع عدد كبير من الثوار فى مدينة سىكا Sica التى تقع غرب قرطاجة بنحو

(١) إبراهيم نصحي، مرجع سابق ص ٢٤٦.

(٢)

Polybius. iii. 22.

(٣)

Fage.T.D.op.cit.p . 177.

(٤)

Ibid. P .178.

١٥٠ كم، وربما يرجع السبب فى هذه الثورة إلى ما عرف عن قسوة جباة الضرائب القرطاجيين والمعاملة القاسية الأمر الذى دفع المرتزقة والرعايا الليبيين إلى انتهاز فرصة هزيمة قرطاجة فى هذه الحرب وتمردت عليها، ومما يدل على سوء معاملة قرطاجة للقبائل التابعة لها هو سرعة انتشار هذه الثورة (١) بالإضافة إلى أن الجنود المرتزقة رغم ما عرفوا به من شجاعة ومهارة فى القتال كانوا عرضة لخوار العزيمة والفتنة إذا ما تعاقبت عليهم الهزائم أو تأخرت رواتبهم وهذا ما حدث خلال الحرب البونية الأولى (٢).

ولقد وقع عبء قمع هذه الثورة على عاتق القائد القرطاجى هملقار بارقة (٣) Hamilcar Barca يسانده فى ذلك الزعيم النوميدي نافاراس Navaras ولا يعرف الكثير عن حكم هذا الزعيم ولا عن أسلافه من النوميديين، إلا أنه تزوج من إحدى النساء القرطاجيات مكافأة له على هذه المساعدة، أما عن الثورة نفسها فقد سببت الرعب والإرتباك فى الحكومة القرطاجية وخاصة بعد إنضمام مدينتى هيبو وأوتيكا (٤) إلى الثوار وتمكنهم من القضاء على الحاميات القرطاجة، ولكن قرطاجة صمدت على ضرب هذه الثورة بمنتهى العنف (٥).

إنتهت ثورة الجنود المرتزقة فى عام ٢٣٧ ق.م وكان من نتائجها أن تبدلت العلاقة بين قرطاجة والقبائل الليبية المجاورة وأصبح كل طرف يشك فى نوايا الآخر، ولكن يلاحظ أنه على الرغم من قيام الجنود المرتزقة بهذه الثورة إلا أن القوات الليبية ظهرت مرة أخرى فى الجيوش القرطاجية فيما بعد. ولقد أظهرت هذه الثورة مظاهر

(١) Warmington .B. H. Histoire et Civilisation de Carthage (paris 1961) pp. 240-243.

(٢) إبراهيم نصحي ، مرجع سابق ص ٢٥١ .

(٣) شكل ١٢ بملحق الرسالة .

(٤) كانت مدينة أوتيكا من المدن التى تتنافس على المراكز التجارية مع قرطاجة وخصوصا انها سبق منها فى النشأة على ساحل افريقيا، ولذلك كانت تنلهز اى فرصة للتمرد ضد قرطاجة، حتى انها انضمت للرومان صراحة خلال الحرب البونية الثانية ، وظلت تتمتع بوضع خاص عند الرومان Gsell.S.op.cit.I. p.38 راجع موقعهم على الخريطة رقم (٥)

Warmington .B. H.op.cit. p . 243.

الصراع السياسى بين شعبين متباينين: أحدهما منظم تحت قيادة قرطاجة والآخر رعى متنقل ، ومع أن هذين الشعبين يعيشان فوق أرض واحدة ولكن إحساس الليبيين الدائم أن القرطاجيين مستعمرين لهم غالبا ما كان يسبب مثل هذه الثورات (١).

وبانتهاء ثورة القبائل الليبية والجنود المرتزقة سيطرت على الحكومة القرطاجية تحت قيادة أسرة بارقة فكرة تعويض خسائر الحرب البونية الأولى عن طريق توسيع ممتلكات قرطاجة خارج أفريقيا، وقام هملقار بارقة بحملة على أسبانيا رغم معارضة هانو Hano له (٢) وهذا بداية للاحتكاك بين روما وقرطاجة من جديد. ومنذ بداية الوجود القرطاجى فى أسبانيا أظهرت روما عدم إرتياحها لهذا النشاط أكثر من مرة وعقدت الإتفاقات بهذا الشأن بين الطرفين ولكن دون جدوى وإنتهى الأمر بقيام الحرب البونية الثانية فى بداية عام ٢١٨ ق.م (٣).

وتجدر الإشارة أنه فى الفترة بين نهاية الحرب البونية الأولى وبداية الحرب البونية الثانية حدث نزاع داخلى فى قرطاجة بين كل من هانو أحد زعماء المعارضة السياسية فى الحكومة القرطاجية وهملقار بارقة حول الزعامة السياسية فى ذلك الوقت، وإنتهى هذا النزاع بفوز هملقار بارقة، إنتهزت الجنود المرتزقة مرة أخرى الظروف الصعبة التى تمر بها قرطاجة، وقاموا بحركة تمرد ضد العاصمة نفسها ونجحوا إلى حد كبير فى تهديد الكيان القرطاجى ولم ينقذ الموقف سوى مهارة هملقار بارقة فى إستخدامه وسائل التحايل على المتمردين حتى تمكن من السيطرة على الموقف وإعادة السيادة القرطاجية (٤) ومع ذلك فقد إستمر القرطاجيون فى صراعهم المرير ضد الرومان وذلك بإتخاذ أسبانيا قاعدة جديدة ضد الرومان والإنتقال منها عبر الطريق البرى إلى إيطاليا نفسها (٥).

(١) Warmington. B.H. op.cit.p.244.

(٢) Livy. xxi. 3.

(٣) Ibid. xxi. 2.

(٤) رشيد الناصورى، المغرب الكبير، الجزء الاول (القاهرة ١٩٦٦) ص ٢٥٥ .

(٥) نفس المرجع ، نفس الصفحة.

وعند بداية الحرب البونية الثانية ظهرت على أرض شمال أفريقيا فى المنطقة الواقعة إلى غرب قرطاجة أكثر من إمارة بين القبائل النوميدية وهذا الإقليم كان موزعا بين عدد من الزعماء المفكرين كان أعظمهم شانا هو سيفاقس Syphax وكان يسيطر على منطقة واسعة عرفت بإسم إقليم المساييليين ولهذا الإقليم عاصمتين: واحدة فى الشرق وهى كيرتا ، والثانية فى الغرب وهى سيجا Siga^(١) ، وإلى الشرق من الإقليم السابق كان إقليم المساليين وهذا الإقليم يجاور قرطاجة مباشرة وتحت سيطرة جايا Gaia^(٢) .

وليس هناك أى دليل على أن قرطاجة كانت قد تدخلت فى تكوين هذه الممالك، والمعروف أن قرطاجة تلك المدينة التى فرضت نفوذها على كل القبائل الليبية كانت تضرب بشدة أى نوع من أنواع التمرد، كما كانت تخشى قيام أى قوة منظمة على الأرض الليبية حتى لا تصبح منافسا لها فى هذه البلاد ، ولكن ظروف الحرب مع الرومان وإنشغالها بأمورها الخارجية أتاح الفرصة لقيام مثل هذه الممالك بجوارها^(٣) .

وبالإضافة إلى مملكة نوميديا بشقيها الشرقى والغربى كان هناك بعض الرؤساء الصغار الذين استطاعوا أن يحافظوا على إستقلالهم خارج الصراع الدائر على الأرض الأفريقية، ولكن ليس هناك معلومات كافية عنهم^(٤) وفى دراسة لعملة النوميديين حدد مازارد عدد هؤلاء الرؤساء بانهم ما يقرب من خمسة وعشرين زعيما فى نوميديا الشرقية بالتحديد^(٥) غير أن البعض يذكر أن مملكة ماسينسا كانت قد شملت فى نهاية الحرب البونية الثانية كل نوميديا وخضع له كل الرؤساء المستقلين^(٦) .

Mazard.J.op.cit.p . 18.

(١)

(٢) راجع سلسلة السب كما ورد عند Mazard. J فى مصادر العملة ص ٢٨ .

Gsell.S.op.cit.III.p.177.

(٣)

Ibid. P . 304.

(٤)

Mazard.J.op.cit.p . 25.

(٥)

Gsell.S.op.cit.III.p.305.

(٦)

أما موريتانيا فكانت المعلومات عنها أكثر ندرة من مملكة نوميديا ، ولم ترد كتابات صريحة عن وجود مملكة قوية بين قبائل المورى إلا أثناء الحرب البونية الثانية، عندما طلب ماسينسا بن جايا زعيم نوميديا الشرقية من باجا رئيس المورى المساعدة فى الإحتفاظ بمملكة والده المتوفى أثناء عودته من أسبانيا، وأمدّه باجا بحوالى ٤٠٠٠ جنديا رافقوه خلال أرض المورى ومملكة سيفاقس حتى حدود مملكة والده ، وهذا العدد من الجنود مشكوك فيه وإن كان يقوم دليلا على اتساع إقليم المورى، إلا أنه يثير التساؤل فى نفس الوقت هل كان فى إمكانية زعيم المورى تجهيز مثل هذا العدد فى هذا الوقت المبكر من تاريخ موريتانيا؟ المرجح أنه أقل من هذا والأقرب إلى التصديق هو إمداد ماسينسا بمجموعة لأجل الحماية؛ وعلى كل فبعد هزيمة قرطاجة فى عام ٢٠١ ق.م حصل المورى على إدارة المدن الفينيقيّة على السواحل مثل لكسيوس (١) .

ولقد إتفقت كل المصادر على أن زعماء نوميديا كانوا دائمي الصراع فيما بينهم وكان كل طرف منهم يحاول السيطرة على أملاك الآخر ، هذا من جانب ومن جانب آخر حدث صراع بين قرطاجة وزعماء نوميديا على نفس الشئ .

ولكن قرطاجة كانت تستعين بإحدى القوتين فى مواجهة الأخرى، وظلت على هذا الحال حتى اضطرت إلى التحالف مع سيفاقس لمواجهة الخطر المحدق بها عندما صمعت روما على نقل ميدان الحرب البونية الثانية إلى أفريقيا فى عام ٢٠٤ ق.م (٢) وبالرغم من ذلك فإن كل من سيفاقس وجايا كان يراقب تزايد نفوذ قرطاجة بكل حرص وحذر ولعله كان يفكر فى التخلص منها، وكان نقل ميدان الحرب البونية الثانية إلى أفريقيا من الأمور التى أظهرت حقيقة الأوضاع فى شمال أفريقيا ، فقرطاجة كانت قد أنهكتها نفقات الحرب فى إيطاليا وحروبها مع جايا والد ماسينسا وصراعها مع سيفاقس ، وفى نفس الوقت فهى ترغب فى كسب إحدى القوتين،

Fage.T.D.op.cit.p 188.

(١)

Livy. xxx. 13.; Appian, punic Wars. viii.10.

(٢)

وماسينسا يحاول الانتقام من سيفاقس كى يسترد أملاك والده وينتقم من قرطاجة التى ساعدته، وفى نفس الوقت حاول بوبيليوس كورنيليوس سقبيو Publius Cornelius Scipio (١) قائد جيوش روما فى أفريقيا كسب القوتين معا، ولكن إنضمام ماسينسا له تسبب فى إنضمام سيفاقس إلى قرطاجة ويمكن القول أن تاريخ شمال أفريقيا القديم فى هذه الفترة كان عبارة عن مجموعة من العلاقات المتشابكة المعقدة فى مواجهة رغبة روما فى الانتقام من هانيبعل وخوف قرطاجة من ضياع أملاكها وهزيمتها فى غياب القائد فى إيطاليا.

ومنذ بداية وجود سقبيو فى أفريقيا (فى رأس فارينا بالقرب من أوتیکا) (٢) ابتداء من عام ٢٠٤ ق.م وسيفاقس يحاول جاهدا إنهاء المشكلة سلما ولكن سقبيو لم يستجب لطلب سيفاقس ، وصمم على ضرب قرطاجة قبل أن يكون لديها الوقت للدفاع، ونشبت معركة فى عام ٢٠٣ ق.م بين سقبيو يسانده ماسينسا وهسدروبل Hasdrubal القائد القرطاجى يسانده سيفاقس وتمكن سقبيو من هزيمة قرطاجة وحليفها وشتت جيوشهم ، وهجم ماسينسا بموافقة لاليوس Laelius أحد القادة الرومان على أراضى سيفاقس حتى وصل إلى كيرتا وتمكن من القبض عليه وأرسل أسيرا إلى روما (٣) ثم ضم كل الأقاليم التى كانت تحت سيطرته، وتعتبر هذه الفترة بداية لتوحيد نوميديا تحت قيادة ماسينسا، ومن جانب آخر بداية انكماش قوة قرطاجة البحرية فى غرب البحر المتوسط (٤).

(١) بوبيليوس كورنيليوس سقبيو (الافريقى) ويسمى سقبيو الكبير . فنصل رومانى عاش الفترة من ٢٣٤-١٨٣ ق.م . تمكن من هزيمة هانيبعل فى موقعة زاما عام ٢٠٢ ق.م Plutarch. Aemilius Paulus . II ; ٧ شكل ٢٢ بملحق الرسالة.

(٢) رأس فارينا Cape Farina منطقة على ساحل أفريقيا تواجه جزيرة ساردينيا Pliny . V. iii. 23.
(٣) ارسل سيفاقس أسيرا الى روما ثم تم نقله إلى السجن فى مدينة البا Alba Fucens وهى مقاطعة رومانية منذ ٣٠٤ ق.م تقع على طريق فاليريا Via Valeria وبالتحديد ما يقرب من ٤٧ ميل وراء نهر التيبر وعلى بعد ٦٧ ميل من روما Zonaras.9.13 ؛ Livy. xxx. 17.
(٤) Livy . xxx.17.

بعد هزيمة قرطاجة في عام ٢٠٣ ق.م إستدعت حكومة قرطاجة هانيبعل من إيطاليا ولبي القائد النداء ووصل إلى أفريقيا، وحاول حل المشكلة سلماً مع سقبيو (١) ولكنه لم يتمكن ، وفي عام ٢٠٢ ق.م دارت الحرب الأخيرة في الحرب البونيقية الثانية بالقرب من مدينة نوميدية تعرف بإسم زاما Zama ولقد اختلف المؤرخون حول موقع المدينة : بوليبيوس يذكر أنها تبعد عن قرطاجة مسيرة خمسة أيام (٢) وهي التي نقل إليها هانيبعل معسكرة من هادروميثوم (سوس) ، ويقول أبيان: أن زاما كانت منطقة تدريب الفرسان (٣) أما سالوست (٤) فيذكر أنها تقع في منطقة سهلية وإنها تدين بمناعة تحصيناتها إلى النوميديين أكثر ما تدين به إلى طبيعة المكان الذي أنشئت فيه، ولقد أشار إليها قيصر في مذكراته عن الحرب الأفريقية أنها كانت مدينة كبيرة ومعقلا حصينا لملك نوميديا عرفت بإسم زاما ريجيا Zamaregia بوصفها عاصمة ليويا الأول في عصر يوليوس قيصر (٥) .

ومبعث الخلاف على إسم هذه الموقعة الشهيرة هو وجود أكثر من تسمية فهناك زاما ثم مدينة أخرى تسمى زاما ريجيا وأخرى تسمى زاما ميور Zama Maior (Jama) وعلى كل حال فقد دارت المعركة في هذا المكان جنوب غرب قرطاجة، وعرفت بهذا الإسم في التاريخ وفي نهاية المعركة تمكن سقبيو من هزيمة هانيبعل واجبره على الفرار إلى هادروميثوم ثم إلى قرطاجة، أما سقبيو فقد عاد إلى معسكره في أوتيكاً ثم إستقبل سفارة لبحث شروط السلام (٦) .

عقدت معاهدة السلام في عام ٢٠١ ق.م ونصت على أن تسلم قرطاجة كل سفنها ماعدا عشرة، وأن تدفع غرامة حربية بلغت مئتي تالنت لمدة خمسون عاماً،

(١) Polybius.xv.5-8. Livy. xxx. 30-31.

(٢) Polybius . xv. 5.3.

(٣) Appian.Punic wars, viii.36.

(٤) Sallust. Bell. Jug. L. vii.

(٥) راجع الخريطة رقم (٥) .

(٦) Caesar .Bell.Afri. 91-92. ; Saumagne. C, Zama. Regia (Paris 1941) p 449.

Polybius . xv. 14.

وسمحت لقرطاجة أن تحتفظ بالأرض التى كانت تابعة لها قبل وصول سقبيو وان تحتفظ بالمنطقة الشمالية الشرقية لتونس وكذلك منطقة الإمبروريا Emporia ولكن يجب عليها أن ترد كل الأراضى التى تنتمى إلى ماسينسا وأجداده والتى كانت تسيطر عليها وبذلك زادت الأملاك النوميدية. كما كان على قرطاجة ألا تشن الحرب داخل أفريقيا أو خارجها إلا بأذن روما وبهذا فهى تكون مجبرة على التحالف مع روما (١).

وعلى هذا فقد أصبح الموقف فى أفريقيا بعد هزيمة زاما كآلاتى : قرطاجة تمتلك الأرض الفينيقية المنصوص عليها فى المعاهدة ، أما مملكة نوميديا بشقيها فكانت تحت سيطرة ماسينسا فيما عدا جزءا من نوميديا الغربية بقى تحت سيطرة فيرمينا Vermina بن سيفاقس بموافقة روما (٢) ولكن ماسينسا لم يحترم هذه المعاهدة وظل يسبب المتاعب حتى قيام الحرب البونية الثالثة .

Polybius. xv .18.

Appian. Punic wars. Viii. 33; Mazard J. op. cit. p. 21.

(١)

(٢)

الفصل الأول

القبائل الليبية وموقفها من الصراع بين روما
وقرطاجة حتى نهاية الحرب البونية الثالثة

- الموقف في أفريقيا بعد الحرب البونية الثانية
- أحوال قرطاجة وعلاقتها بنوميديا حتى قيام الحرب
البونية الثالثة.
- الحرب البونية الثالثة (١٤٩-١٤٦ ق.م).



الفصل الأول

القبائل الليبية وموقفها من الصراع بين روما وقرطاجة

حتى نهاية الحرب البونوية الثالثة

يبدأ تاريخ أفريقية الرومانية بنهاية الحرب البونوية الثانية في عام ٢٠١ ق.م ولكن حتى سقوط هانيبال Hannibal واعتراف الرومان بأن قرطاجة ونوميديا هما القوتان الرئيسيتان في أفريقيا والخاصعتان لإرادتها لم تحتل شمال أفريقيا أى مكانة في تفكير الرومان بوصفها منطقة تصلح لأن تكون معقلا عسكريا أو مكانا لتوطين الرومان في المستقبل، ولم نسمع عن أى محاولة جادة لإستعمار شمال أفريقيا أو إنشاء مستعمرات بها طبقا لخطة محكمة إلا عندما وضع يوليوس قيصر Julius Caesar الأسس الأولى لهذه المستعمرات ، حقيقة أن بعض الرومان والإيطاليين تدفعهم الرغبة في المغامرة فهاجروا إلى مدن أفريقيا الساحلية وإن كانوا قد تركزوا في كيرتا عاصمة نوميديا، ولكنهم لم يمثلوا أى حركة منظمة ، وكل الذى نعرفه أنه عندما حاصر يوجورثا Jugurtha المدينة في عام ١٠٧ ق.م وجد أن أكثر المدافعين عنها كانوا من الإيطاليين فأمر بإعدامهم جميعا بعد إستسلامهم^(١).

الموقف في أفريقيا بعد الحرب البونوية الثانية:-

إنتهت الحرب البونوية الثانية بضياح أملاك قرطاجة خارج أفريقيا وإستسلامها لشروط معاهدة ٢٠١ ق.م ، وعلى الرغم من أن المعاهدة تركت للقرطاجيين حرية ممارسة نشاطهم في المدن وجميع الأراضي التى كانت لهم السيطرة عليها قبل هذه الحرب، إلا أنها كبلت قرطاجة بقيود من حديد ومنعت القرطاجيين من أى تقدم أو توسع نحو الداخل فإقتصر نشاطها داخل الأراضي التى حددتها المعاهدة، كما وأنها فرضت عليها عدم القيام بحرب داخل أو خارج أفريقيا إلا بعد الحصول على إذن مسبق من روما وكان لهذا النص الأخير أسوأ الأثر على حياة قرطاجة وضحت آثاره فيما بعد.

أما بالنسبة إلى أوضاع شمال أفريقيا في أعقاب الحرب البونية الثانية فقد تغيرت الحدود السياسية عما كانت عليه من قبل، فإلى جانب إنحصار أملاك قرطاجة ضاعت مملكة سيفاقس ملك نوميديا الغربية واتسعت مملكة نوميديا الشرقية تحت قيادة ماسينسا Massinissa^(١).

وأثبتت المصادر القديمة أن مملكة ماسينسا إمتدت من سيجا Siga^(٢) في الغرب بالقرب من نهر ملوية إلى حدود قرطاجة في الشرق، وبالرغم من هذا فلم تخضع له كل مملكة نوميديا، إذ كانت بعض المناطق تحت سيطرة فيرمينا Vermina أحد أبناء سيفاقس منذ عام ٢٠٢ ق.م وأكدت المصادر أيضا إشترাকে مع هنيبل في موقعة زاما وأن مساعدته للقرطاجيين فيما بعد هي التي شجعتهم على مواصلة القتال، وكما يذكر أيضا أنه في عام ٢٠٠ قبل الميلاد قام فيرمينا بإرسال بعثة إلى روما كي تطلب من مجلس الشيوخ العفو عما بدر منه من مساندة للقرطاجيين، كما قدمت البعثة أيضا طلبا بإسم فيرمينا للإعتراف بسلطته في المناطق التي يسيطر عليها، غير أن مجلس الشيوخ الروماني رد بأنه من الأفضل طلب السلام قبل طلب السلطة، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون مجلس الشيوخ قد إستجاب لطلب فيرمينا فأرسل بعثة رومانية إلى أرض مملكة فيرمينا لبحث شروط السلام معه، وعندما وصلت البعثة رحب بها حتى انه بادر إلى إستقبالها عند حدود مملكته ووافق على شروطها، وأرسل بدوره بعثة جديدة إلى روما للتصديق على هذه الشروط^(٣).

وللأسف أننا لم نظفر من تلك المصادر بمعلومات عن حدود مملكة فيرمينا ولا موقعها ولا شروط تلك المعاهدة، غير أن العملات التي صدرت في نوميديا في هذه الفترة تؤكد أن فيرمينا كان قد حكم جزء من مملكة والده، وهناك رأى يقول أن هذه

(١)

Diodorus . xxvii . 6 .

(٢) مدينة سيجا Siga موقع فيليني قديم علي ساحل افريقيا ، تقع علي مصب احد الانهار يحمل نفس الاسم، وكانت

إحدى عواصم الملك سيفاكس . وعند انضمام بعض اجزاء من نوميديا الي بوخوس الشاب جعلها إحدى عواصمه وأنشأ فيها ورشة لسك العملة . Mazard . op. cit. p. 175

(٣)

Appian. Punic wars. Viii, 33.

العملات كانت قد صدرت أثناء حياة سيفاقس وأنه كان يشاركه السلطة والبعض يذكر أن فيرمينا كان وقت أسر سيفاكس وسقوط مملكته شابا وقادرا على القيادة العسكرية، أما صور العملة فكانت عبارة عن صورة تمثال نصفي للملك بدون لحية ومتوجة على الوجه الأيمن وصورة حصان حر وغير ملجم يعدو إلى اليسار وأسفل بطن الحصان يوجد مستطيل كتب فيه ما يدل على أنه ملك وترجمتها Vrmnd Hmmlkt أى فيرمينا ملك المملكة ، وهذه العملة تختلف تماما عن عملة والدته سيفاقس مما يؤكد وجوده على رأس مملكة أو ولاية صغيرة في هذا الوقت (١) .

ومما يؤكد وجود فيرمينا على جزء من مملكة والده ما ذكره بوليبيوس أن ماسينسا لم يستطع في الفترة ما بين أسر سيفاقس وهزيمة قرطاجة في عام ٢٠٢ ق.م أن يكون ملكا على كل نوميديا (٢) ومن المحتمل أن فيرمينا كان قد هرب أثناء هزيمة سيفاقس ثم عاد وسيطر على جزء من هذه المملكة ولكن الأقرب إلى التصديق أنه كان قد نقل إلى إيطاليا بصحبة والدته وأن عودته إلى نوميديا كانت قد تمت بأمر مجلس الشيوخ الروماني (٣) .

ومن الممكن أن يفهم من إتفاق الرومان مع هذا الملك الصغير وإعطائه الحرية في السيطرة على بعض الأجزاء من مملكة نوميديا الغربية وفي نفس الوقت مساعدة ماسينسا على غزو هذه المنطقة أن روما تتبع سياسة التفرقة بين الملوك النوميديين وكان هدفها أن يظل ماسينسا محدود النشاط حتى لا يكون قوة كبيرة يستخدمها يوما ما ضدها وسيتبين فيما بعد أن روما إتبعته نفس الأسلوب في التفرقة بين قرطاجة وماسينسا .

وإذا كان فيرمينا Vermina قد تمكن من مساعدة هانيبعل في الحرب البونيقية الثانية فإنه من المشكوك فيه أنه قد تمكن من مساعدة هانيبعل في الحرب البونيقية

راجع صور العملة في ملحق الرسالة و. Mazard. J. op. cit. p. 21.

Polybius. xv.5.

Zonaras. 9. 13.

(١)

(٢)

(٣)

الثانية فإنه من المشكوك فيه أنه قد تمكن من مساعدة قرطاجة في فترة الصراع الأخير مع روما ، لأنه كان من غير المعقول أن يعبر مدن ماسينسا ليقدم المساعدة لقرطاجة بدون موافقته ، فضلا عن أنه كان قد إرتبط مع روما بمعاهدة سلام فمن الصعب عليه أن يتورط في هذا الصراع مرة ثانية ، ومما يزيد غموض هذه المرحلة ان المصادر تلتزم الصمت فلا تتحدث عن حياة فيرمينا وكيفية إختفائه من مسرح العمليات الحربية على أرض شمال أفريقيا ولم تبين كيف ذابت مملكته في أملاك ماسينسا ولكن يمكن القول تجاوزا أنه قد قتل في إحدى المعارك بينه وبين ماسينسا في فترة لاحقة^(١) .

ولم يكن فيرمينا هو المسيطر الوحيد على بعض الأجزاء من نوميديا الغربية ولكن شقيقه أركوبارزان Arcobarzane حكم إمارة صغيرة في نوميديا في هذه الفترة ، ولم يعرف على وجه التحديد هل كان أركوبارزان يشارك فيرمينا في الحكم ؟ أم أنه كان قد خلفه في حكم هذه الإمارة ؟ ولكن المعروف أن نشاطه انحصر فيما بين جبال التل والصحراء في منطقة الأحراش المنتشرة بين أرض النوميديين وأرض الجيتوليين ، وهذه المنطقة لم تكن خاضعة لسيطرة ماسينسا حتى هذا الوقت ولكنه تمكن في النهاية من الإستيلاء على أملاك الرؤساء الصغار سواء كانوا من أبناء سيفاقس أو غيرهم^(٢) .

وقد يحق لنا القول أن سياسة التفرقة التي إتبعها روما قد أظهرت نتائجها في هذا الوقت من تاريخ شمال أفريقيا ، فلو كان فيرمينا وأركوبارزان قد تمكنوا من توحيد جهودهما لنجحا في البقاء أطول وقت ممكن في حكم نوميديا ، ولكن الافتراض هنا أمر مستحيل وخاصة أن ماسينسا كان يلاحق باستمرار الرؤساء النوميديين ، مطمئنا لمساعدة روما له .

ويلاحظ في هذا المجال أن مملكة الموري حتى هذا الوقت لم يكن لديها أى

(١)

Appian. Punic wars. Viii, 33.

(٢)

Gsell. S. op. cit. III. P . 305

إستعداد للتورط فى هذا الصراع، وإن كان البعض يذكر أن رؤساء المورى قدموا لها بعض المساعدات خلال الصراع الأخير مع روما فى حين يرفض البعض الآخر هذا القول^(١).

ويمكن تحليل هذا الغموض وهذا الخلاف حول حقيقة موقف موريتانيا إلى عدة أسباب منها: أن مملكة موريتانيا كما أسلفنا لم تظهر كقوة كبرى يمكن أن تلعب دورا هاما فى تاريخ شمال أفريقيا القديم إلا بعد الحرب البونية الثانية بفترة كبيرة، وربما يرجع السبب فى إحجامها عن تقديم المساعدة لقرطاجة إلى خوفها من مهاجمة ماسينسا لها وخاصة بعد أن اقتربت حدوده منها، وكذلك من المحتمل أن ملوك المورى كانوا يكتفون بمراقبة ما سوف تسفر عنه الصراعات الدائرة على أرض أفريقيا مثلما حصلوا على إدارة المدن الفينيقية بعد الحرب البونية الثانية^(٢) يعود السبب أيضا إلى بعد المسافة بين موريتانيا ومنطقة الصراع التى إنحصرت فيما بعد حول قرطاجة، والأقرب إلى الواقع أن موريتانيا حتى هذا الوقت لم يكن لديها ما تقدمه من مساعدات من أى نوع وخاصة أن معظم سكانها كانوا لا يزالون على حالتهم الرعوية .

أحوال قرطاجة وعلاقتها بنوميديا حتى قيام الحرب البونية الثالثة:-

كانت هزيمة قرطاجة فى الحرب البونية الثانية قلبا لميزان القوى فى حوض البحر المتوسط الغربى، فأصبحت قرطاجة دولة محدودة النشاط السياسى والحربى فى الوقت الذى أصبحت فيه روما القوة الأولى فى المنطقة بأسرها، وفى الفترة الواقعة بين نهاية الحرب البونية الثانية وحتى قيام الحرب البونية الثالثة حاولت قرطاجة بكل الوسائل إصلاح أحوالها الداخلية رغم ثقل الأعباء المالية والاقتصادية الملقاة على عاتقها نتيجة لشروط معاهدة ٢٠١ ق.م^(٣) وعلى الرغم من أن خصوم هانيبعل السياسيين كانوا قد ألقوا عليه مسئولية هزيمة قرطاجة فى الحرب البونية الثانية إلا أنه

Fage . T.D. OP. cit. P . 188. ; Gsell. S . OP. cit. III.P.389.

(١)

Fage . T.D. OP. cit. P . 188.

(٢)

(٣) رشيد الناصوري . مرجع سابق ، ص ص ٢٧٤-٢٧٥ .

عندما أُنتخب Sufes (قاضى) فى عام ١٩٦ ق.م حاول أن يأخذ بيد الدولة على طريق الحكم الديمقراطى السليم وذلك عن طريق عدة وسائل منها تنظيم دخل الدولة ومصرفاتها، ومنع المتلاعبين فى الدخل ومخازن العهدة^(١)، كما عدّل من نظم الانتخابات التى كانت سائدة فى قرطاجة منذ فترة كبيرة على أساس ألا تبقى الهيئة الحاكمة فى السلطة أكثر من سنة، وخاف أصحاب المصالح فى قرطاجة من خطة هانيبعل وأرسلوا إلى روما أن هانيبعل يعدّ العدة لإستئناف الحرب، وعلى هذا طلبت روما تسليمه، فاضطرّ هذا القائد القرطاجى إلى الهروب عند أنطيوخوس الثالث ملك سوريا^(٢).

وبالرغم من خروج هانيبعل من قرطاجة إلا أن الاصلاح المالى والإدارى كان قد أرسى قواعده وساعد المدينة على أن تكون على إستعداد فى عام ١٩١ ق.م لدفع الغرامة الحربية دفعة واحدة وكان من المفروض أن ، تظل تقوم بسدادها على أقساط حتى عام ١٥١ ق.م، ولكن روما رفضت هذا العرض خشية أن تتفرغ قرطاجة لاصلاح شئونها الداخلية بعد أن تتحرر من قيود الغرامة، بل أن روما أظهرت عدم إرتياحها للحالة التى كانت عليها قرطاجة من الرخاء الذى تحقق بسرعة^(٣) وأرغمتها على التخلّى عن بعض أقاليمها حتى تحد من نشاطها عندما قام ما سينسا بسلسلة من الإغارات على المدن التابعة لقرطاجة خلال تلك الفترة^(٤).

كانت السنوات التى تلت هزيمة زاما سنوات كفاح بالنسبة لقرطاجة وهذا ما يوضحه إزدهار الحياة الاقتصادية فى هذه المدينة التى أبدت إستعدادها لتزويد الجيوش الرومانية فى آسيا واليونان بكميات كبيرة من الحبوب، وقد أزعج روما ما

(١) Page . T.D. op. cit. P . 174.

(٢) Zonaras. 9 . 14.; Seignobes. S. Histoiry of Ancient civilization. (London. 1906.)

PP. 242-243.

Page . T.D. op. cit. P . 175.

Gsell. S. op. cit. III. P . 315.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

حققته قرطاجة من زيادة في إنتاجها الزراعي خشية أن تستعيد قرطاجة قدرتها على مواجهتها، ولهذا نظر الرومان إلى حليفهم ماسينسا ملك نوميديا لكبح جماحها وشجعوه على الإعتداء على الأقاليم القرطاجية ومن هنا بدأت فترة جديدة من الصراع بين قرطاجة والقبائل الليبية^(١).

ولم تكن مملكة نوميديا هي القوة الوحيدة في شمال أفريقيا ولكنها كانت أقوى الممالك الليبية التي لعبت دوراً أساسياً في الصراع بين روما وقرطاجة، لذلك تركّز اهتمام روما بهذه المملكة وخاصة في الفترة الأخيرة التي إنتهت بتدمير المدينة البونية ، وهذا ما إتضح من شروط معاهدة ٢٠١ ق.م والتي نصت على إحتفاظ ماسينسا بالمناطق التي إستولى عليها من قرطاجة، ولم يكن هناك إتفاق حول الحدود القرطاجية مما شجع ماسينسا على غزو أقاليم قرطاجة، كما أن روما لم تعط قرطاجة الحق في الدفاع عن نفسها أو حتى الدخول في أي حرب دون إذن منها.

وقبل الحديث عن الأعمال التي قام بها ماسينسا ضد قرطاجة يجب القاء الضوء على شخصية هذا الملك وتطويره لمملكة نوميديا في الفترة السابقة والمعاصرة لسقوط قرطاجة، كان ماسينسا العدو المباشر الذي واجه قرطاجة في أفريقيا، حكم مملكة نوميديا ما يقرب من ستين عاما وله الكلمة العليا في كل شئون القبائل التي قادها كما كان يتمتع بقوة جسدية هائلة وقوة إحتمال لا مثيل لها، ويذكر أنه كان مع كبير سنه يركب حصانه بدون صهوة لمدة أربعة وعشرين ساعة متتابة، وكان حاكما بارعا ورجل دولة لا يرتكب الجرائم التي كان يرتكبها في عصره رؤساء قبائل غير متحضرة، أنجب وهو في السادسة والثمانين^(٢). لعبت نوميديا على عهد ماسينسا دورا مؤثرا في أحداث المنطقة لمدة خمسين عاما وظهرت كقوة قوية تحت زعامة رجل مقتدر مثل ماسينسا فقد استطاع أن يفرض سيطرته على جزء كبير من مملكة نوميديا، وينسب إليه الفضل في نشر الزراعة

Warmington, B. H. *op. cit.* p. 291.

(c)

Polybius. xxxvi. 16 ; ; Mazard. J. op. cit. p .29 ; Julien. Ch. A. op. cit. P . 104 .(r)

وراجع الشكل رقم (١٣) بالملحق

وتوطن البدو وعلى عهده زاد إنتاج المستعمرات الفينيقيّة الواقعة على ساحل أفريقيا والتي كانت قد استولى عليها، كما إنتشرت الحضارة واللغة الفينيقيّة في هذه المملكة ، وعلى عهد ماسينسا تطورت الزراعة في مملكة نوميديا وأصبحت مصدراً أساسياً لإنتاج الغلال لعالم البحر المتوسط ، وتقدمت زراعة الأشجار وزراعة الحبوب ، ولقد شهد بذلك الكثير من المؤرخين لهذه الفترة وعلى رأسهم المؤرخ الإغريقي بوليبيوس والذي يذكر أن مملكة نوميديا كانت قبل عصر ماسينسا من المناطق القاحلة والتي إعتاد سكانها عدم الإستقرار، أما على عهده كانت قادرة على إنتاج العديد من أنواع الحبوب، والجدير بالذكر أن جهود ماسينسا كانت واضحة جدا بصفة خاصة في المناطق الشرقية من نوميديا^(١) .

ومما يدل على إتساع مملكة نوميديا على عهد ماسينسا أنه منح كل واحد من أولاده منطقة مساحتها ١٠,٠٠٠ بلترا (٨٧٤ هكتار)^(٢) ومع صمت المصادر حول تحديد هذه المناطق بالضبط إلا أنها ذكرت أن جميع ممتلكات أولاد ماسينسا كانت تنتج جميع أنواع المحاصيل والتي كانت سبباً من أسباب النزاع بين أبناء ماسينسا فيما بعد ، وهذه المناطق كان قد سلبها من قرطاجة والتي حاولت جاهدة أن تمنع الملك النوميدي من السيطرة عليها ولكنها فشلت في النهاية^(٣) .

نالت مملكة نوميديا على عهد ماسينسا شهرة عالمية في التجارة الخارجية وخصوصا في تصدير القمح، ومما يدل على ذلك ما ذكره رستوفتزف أن نوميديا قد نزلت في القرن الثاني قبل الميلاد كبائعة في سوق الحبوب الدولي في رودس Rhodes وديلوس Delos وكذلك حوض البحر المتوسط الشرقي^(٤) وتذكر المصادر أن

(١) Polybius. xxxvi. 16; Strabo. xvii. iii . 15 .

(٢) Diodorus. xxxii . 16. 1.

(٣) Walsh . p. G. "Massinissa" The Journal of Roman Studies. Vol. Lx (London 1965) p. 152.

(٤) رستوفتزف . تاريخ الامبراطورية الرومانية الإقتصادية والاجتماعي . ترجمة زكي علي ، ومحمد سليم سالم ، الجزء الاول . القاهرة (١٩٥٧) . ص ٣٨٢ .

ماسينسا كان صديقا لبطليموس إبيفانوس Epiphanes ملك مصر ^(١) كما أوردت قائمة لبعض منتجات نوميديا في هذه الفترة ، فبالى جانب القمح والشعير ^(٢) كانت هناك الحيوانات المتوحشة وطيور الزينة وسن الفيل والحمضيات، أما البضائع المستوردة من مناطق التعامل فكانت تشتمل على الخمر والمزهريات والمصابيح والأسلحة وخاصة من بلاد اليونان، أما مصدر الدخل في نوميديا فكان يأتي جزء كبير منه من المدن الفينيقية بعد أن إستولى ماسينسا على المنطقة الغربية من قرطاجة، ولذلك عند وفاته في عام ١٤٨ ق.م على وجه التقريب وجدت خزانته الملكية مليئة بكميات كبيرة من النحاس والرصاص وفي بعض أماكن سك العملة في المملكة ^(٣)، ولكن لم يعثر على عملة فضية أو ذهبية ^(٤) كما عثر على بعض قطع العملة في مدينة كيرتا والتي كانت تخص التجار الرومان والايطاليين والقرطاجيين مما يعتبر أكبر دليل على التعامل بين نوميديا والعالم المحيط بها. ^(٥)

وكانت روما ترقب عن كثب ما يجري في مملكة نوميديا ، فقد حدثت موجة من التنظيمات داخل مملكة نوميديا على عهد ماسينسا وتطورت المملكة إلى حد كبير، ولكن السياسة الرومانية كانت ترى أن قرطاجة وليست نوميديا هي مصدر قلقها، وعلى هذا الأساس إتخذت روما موقفاً مزدوجاً من الأحداث التي تجرى في شمال أفريقيا : الأول ترك الفرصة لماسينسا ولكن بمقدار حتى يضعف قرطاجة، والثاني ألا تتيح لماسينسا جنى ثمار جهودها ويضم قرطاجة لمملكته ولذلك تدخلت في الوقت المناسب، وعلاوة على ذلك لم تترك أي فرصة للتقارب بين قرطاجة وماسينسا في أي وقت من الاوقات.

ولم يكن هذا صعباً على الرومان إذا اتفقت مشاعر ماسينسا الطموح مع حقد

Walsh .p.G .op. cit. p . 154.

(١)

Pliny.xviii.xi.63; xviii, xviii. 80.

(٢)

Walsh .P.G .op. cit. p . 154.

(٣)

Mazard. J . op . cit. p. 26.

(٤)

Walsh .P.G .op. cit. p . 155.

(٥)

الرومان على قرطاجة بأن بدأ سلسلة من الإغارات على جارتها قرطاجة تنفيذاً لرغبة روما ف عام ١٩٣ ق.م واستولى على جزء من أرض قرطاجة ولم يكن أمام القرطاجيين إلا أن يرفعوا الأمر إلى مجلس الشيوخ الروماني ووصلت بعثة رومانية بقيادة سقبيو الأفريقي صديق ماسينسا الحميم ومع أنه لم يجد مبرراً للإغارات التي قام به الملك النوميدي إلا أن حكم اللجنة كان في صالحه وربما كان ذلك بتوجيه من مجلس الشيوخ^(١).

وقد راود ماسينسا الحلم بإنشاء إمبراطورية كبيرة تضم الجزائر وتونس وطرابلس وتكون قرطاجة عاصمة لهذه الإمبراطورية، ولكنه كان يرى أن استمرار قرطاجة دولة ذات سيادة مهما كانت محدودة النشاط بمثابة عقبة تحول دون تحقيق هذا الغرض^(٢) ولذلك عمل بكل الوسائل على الحيلولة دون حدوث تقارب بين روما وقرطاجة بأن بذر الشك في قلب روما تجاه القرطاجيين مدعياً أنهم أعدوا في عام ١٨٢ ق.م أسطولاً لمساعدة المقدونيين في حربهم ضد روما^(٣) ولكن هذا الاتهام لم يجد الأدلة الكافية التي تبرره حيث أن خسائر قرطاجة لم تكن تسمح بإعداد مثل هذا الأسطول، ومن ناحية أخرى أن حدوث مثل هذا لم يكن ليغيب عن عيون روما، وإن كانت قد تركت الأمور في أفريقيا بيد ماسينسا^(٤) فضلاً عن ذلك قيام ماسينسا بالإعتداء على بعض مناطق تابعة لقرطاجة ورفعت الأخيرة الأمر إلى روما ولكن البعثة التي وصلت إلى المنطقة في هذا الوقت لم تفعل أي شيء لصالح قرطاجة^(٥).

هدأت الأحوال بعض الوقت بين ماسينسا وقرطاجة وإنصرف كل منهما إلى معالجة شؤونه الداخلية، التفت فيها ماسينسا إلى تنظيم شئون مملكته وتمتعت فيها قرطاجة بالرخاء والسلام، ولكن هذا الملك أحزنه ما وجدته من مظاهر التقدم عند

(١) Gsell. S. op. cit. III. P. 315.

(٢) إبراهيم نصحي . مرجع سابق ص ٣٣٦ .

(٣) المقصود بذلك الحرب المقدونية الثالثة من عام ١٨٨-١٦٨ ق.م

(٤) Warmington. B. H. op. cit. p. 292.

(٥) Gsell. S. op. cit. III. PP. 317-318.

جارته فعاد وجدد النزاع حول الأرض المعروفة بالمسهول الكبرى في عام ١٧٤ ق.م^(١) وعندما فشل في الاستيلاء على هذه المنطقة إتهم القرطاجيين بإستقبالهم سراً بعثة مقدونية للتفاوض حول تقديم المساعدة ضد روما، كما عاد وإتهمهم مرة أخرى في عام ١٧١ ق.م بأعدادهم أسطولاً كبيراً تحت حجة تقديمه لروما في الحرب المقدونية وأنهم سوف يقدمونه لمقدونيا ، وقام بإرسال ابنه غولوسة Gulussa إلى روما لتقديم الإتهام أمام مجلس الشيوخ الرومانى^(٢) .

وليس هناك أى دليل على صحة إتهام ماسينسا لقرطاجة بإعدادها أسطولاً حربياً حيث أنها كانت لا تملك سوى عشرة سفن حربية حسب نص معاهدة عام ٢٠١ ق.م ، كما أنها لم تستطع أن تزود أسطولها بالسفن المدفعية بدون إذن روما من ناحية أخرى فإن الحكومة الرومانية كانت لا ترغب في هذا الوقت أو لم تشجع سياسة الغزو والإستيلاء في أفريقيا بسبب إنشغالها في الحرب المقدونية، ورأى مجلس الشيوخ الرومانى انه ليس هناك داع من وجود قوات في هذه المنطقة وكان يكفيه الإبقاء على الدولة التابعة مثل قرطاجة والحليفة مثل نوميديا والمحايمة مثل مملكة المورى، وكما تثبت المصادر أن التجارة بين روما وقرطاجة كانت طبيعية فالتجار الإيطاليون أتوا وأقاموا في قرطاجة وأتيحت الفرص أمام الرومان بحرية كاملة مع القرطاجيين، كما وجدت سفن قرطاجية تجارية قد رست على شواطئ أوستيا Ostia الإيطالية ، وأفرغت حمولتها هناك^(٣) .

كان سلوك ماسينسا في هذه الفترة يتسم بالتغير المستمر، فمرة يتهم قرطاجة بالتحالف مع مقدونيا مستغلا الظروف القائمة. حتى تكون الإتهامات أقرب إلى التصديق، ومرة ثانية يُغير على أرض قرطاجة تنفيذا لخطة قد رسمها تتفق ورغبة روما في أن تظل قرطاجة تحت تهديده المستمر وحتى لا تستغل فرصة الحرب في

Appian. Punic wars. Viii, 68.

Gsell. S. op. cit. III. P . 318-319.

Ibid. p . 300.

(١)

(٢)

(٣)

مقدونيا وتقوم بمساعدة أعدائها أو تحاول القيام بحرب أخرى ضدها، وهذا يفسر إلى حد ما عدم جدية روما في الفصل في هذا النزاع الناشب على الأرض الأفريقية.

وبدأ ماسينسا في تنفيذ خطة ضد قرطاجة والتي كانت تهدف أساساً إلى الإستيلاء على ممتلكاتها، فقام في عام ١٧٠ ق.م بالإستيلاء على ٧٠ مدينة وحصن، ولكن المصادر لم تذكر أسماء هذه المدن، ومرة أخرى رفعت قرطاجة الأمر إلى روما، وكان رد مجلس الشيوخ الروماني على الشكوى أقل إيجابية، ويرجع السبب في ذلك أن روما كانت حتى هذا الوقت لا ترغب في التورط في حرب جديدة في أفريقيا قد تعرضها للهزيمة (١).

كان ماسينسا ينظر منذ فترة طويلة بعين الطمع في منطقة الإمبروريا Emporia في إقليم طرابلس بليبيا الحالية وهذه المنطقة تضم العديد من المدن والمحطات التجارية والتي كان من أبرزها صيراته وأويا (طرابلس الحالية) ولبكس ماجنا، فضلاً عن كونها وسيطاً تجارياً بين الساحل والمنطقة الخلفية منها، فمنذ عام ١٩٥ ق.م كانت تتعرض هذه المنطقة إلى غزوات ماسينسا ولكنه كان يفتقر إلى الجيوش التي تحقق أطماعه، وما أن حل عام ١٦١ ق.م حتى قام بغزوها وبلغت خسائر قرطاجة من هذا الغزو حداً كبيراً، وواصل ماسينسا الهجوم حتى تمكن في النهاية من الإستيلاء على إقليم الإمبروريا، وكان موقف قرطاجة من هذا يتسم بالخوف من الدخول في حرب منظمة ضد ماسينسا حتى لا تتعرض للدخول في حرب مرة أخرى مع روما، وبعد ضم ماسينسا لإقليم الإمبروريا Emporia أصبحت حدود مملكة نوميديا تمتد من مدينة سيجا في الغرب إلى حدود قورينائية في الشرق (٢) وبعد عام ١٦٠ ق.م ضاقت قرطاجة بمعاهدة عام ٢٠١ ق.م وانقسمت الحكومة القرطاجية إلى فريقين فريق يريد التفاهم مع ماسينسا، وفريق آخر يرى ضرورة إعلان الحرب عليه، وكانت وجه نظر الحزب المتفاهم مع ماسينسا تتلخص في أنه في حالة الإتفاق معه من الممكن وقف

(١)

Warmington. B. H .op. cit. p. 293.

(٢)

Polybius. xxxi. 21.

غزواته المتكررة والتي لم تتمكن قرطاجة من ردعها طبقا لقيود المعاهدة، ومن المشكوك فيه أن ماسينسا كان يقبل مثل هذا الإتفاق الذي يحد من نشاطه وخطته التوسعية وهو يعلم تماما أن روما تقف بجانبه وتسانده، ثم إنه كان قد رسم سياسة ترمى إلى توسع مملكته وجعل قرطاجة نفسها عاصمة له، وظهر خلال هذه الفترة فريق ثالث كان من رأيه توحيد القوى النوميديّة والقرطاجية ضد روما، وهذا أيضا مستحيل حيث أن روما لم تكن تغفل احتمال حدوث مثل هذا الإتفاق بدليل أنها تركت ماسينسا ينهب الأقاليم القرطاجية، وذلك ليستمر الخلاف والحرب بين ماسينسا وقرطاجة، وعلى فرض لو حدث مثل هذا الإتفاق فإن روما لم تكن لتراجع أبدا في ضرب القوتين معا^(١).

وجدير بالذكر أن روما إعتادت إرسال البعثات الرومانية المتكررة إلى قرطاجة ليس بهدف وقف الصراع بين ماسينسا وقرطاجة، وإنما هدفها الوقوف على مدى قوة قرطاجة العسكرية وأنه في استطاعتها إعداد تجهيزات عسكرية ضدها، فهي لم تامن مطلقا لنشاط قرطاجة في هذه الفترة، وهذا ما حدث بالفعل عندما قام كاتو الكبير Marcus Cato^(٢) بزيارة قرطاجة على رأس بعثة رومانية في عام ١٥٥ ق.م، وهالة ما وجد من مظاهر الرخاء والتقدم التي كانت تبدو على قرطاجة وكميات الأخشاب التي كانت مقدسة في الميناء وإعتقد أنها معدة لبناء أسطول حربي^(٣) ولذلك كان يختم خطبه السياسية بضرورة تحطيم قرطاجة Delenda est Carthago^(٤).

Appian. Punic wars. viii, 70.

(١)

(٢) كانو الكبير Marcus Porcius Cato ولد كانوا في عام ٢٣٤ ق.م في مدينة توسكولوم Tusculum باقليم لاتيوم والتي تقع على بعد عشرة أميال من روما. اطلق عليه فيما بعد كانوا الرقيب كنسور (Censor) أو كانوا الكبير، أو كانوا الخطيب (تميزا له عن حفيده كانوا الاصغر أو كانوا الاوثيكي) توفي في عام ١٤٩ ق.م Plutarch Marcus Cato.i.

(٣) ابراهيم نصحي. مرجع سابق ص ٣٣٧.

Plutarch. Marcus Cato. 26.

(٤)

وتؤكد بعض المصادر أن قرار الحرب ضد قرطاجة كان قد اتخذ منذ عام ١٥٣ ق.م، ولكن الرومان كانوا ينتظرون الذريعة لإعلان الحرب، وأن موقف بعض أعضاء مجلس الشيوخ ورغبتهم في القضاء على قرطاجة كان يرجع إلى رغبتهم في امتلاك الأرض في أفريقيا (١)، وعلى الرغم من أن فكرة تدمير قرطاجة كانت تسيطر على مجموعة كبيرة من أعضاء مجلس الشيوخ إلا أن هذه الفكرة لاقت المعارضة من فريق آخر على رأسهم سقبيو ناسيكا Publius Cornelius Scipio Nasica ومبعث هذه المعارضة (مع الاتفاق حول قوة قرطاجة في الفترة الأخيرة) يرجع من وجه نظر سقبيو ناسيكا أن بقاء قرطاجة كان ضرورة من ضروريات استمرار النظام الروماني الذي كان يسير نحو التراخي (٢).

لم يتوقف نشاط ماسينسا الموجه ضد قرطاجة ففي عام ١٥٣ ق.م قام بالإستيلاء على المناطق الواسعة التي كانت تحت سيطرة قرطاجة فاستولى على منطقة السهول الكبيرة وفاجا Vaga (Beja) حتى وصل إلى شرق ماكتار Maktar (٣) ورفعت قرطاجة الأمر إلى روما ولكن دون جدوى وعند بداية عام ١٥٢ ق.م هرب الحزب القرطاجي المتفاهم مع ماسينسا وحرصوه على إعلان الحرب على قرطاجة. وإنتهز ماسينسا الفرصة وأرسل إبنه غولوسة ومقبسا على رأس حملة لمحاصرة مدينة أروسكوبا Oroscopa بالقرب من مدينة فاجا واستمر النزاع بين الجانبين طوال عام ١٥٢ ق.م حتى إستجذبت قرطاجة بسقبيو اميليانوس الذي كان موجودا في نوميديا في هذا الوقت للحصول على الفيلة الأفريقية من ماسينسا، وتمكن سقبيو من فض النزاع بين قرطاجة وماسينسا على أن تدفع قرطاجة غرامة قدرها سبعمائة تالنت Talent (٤) من الفضة

(١)

Warmington. B. H. op. cit. p. 297.

(٢)

Plutarch. Marcus Cato. 26.

(٣) راجع مواقع المدن على الخريطة رقم (٥) بملحق البحث.

(٤) كان التالنت يساوي ستة آلاف دراجمة ومقارنة بالجلية الاسترليني في الوقت الحالي يتضح أن قيمة

الفضة تساوي حوالي أربعمئة جنيهها. هـ. أيدرس بل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة عبد اللطيف احمد علي، القاهرة ١٩٦٨. ص ٧٣.

وضرورة تسليم قرطاجة للأرض المتنازع عليها وغادر سقيبو المنطقة متجها إلى أسبانيا لمحاربة (الكلت)، فضلا عن ذلك فقد أرسل ماسينسا ابنه غولوسة إلى روما ليقدّم إتهاماً جديداً ضد قرطاجة وهو أنها قامت بزيادة عدد قواتها وتكوين أسطولاً جديداً، ولذلك اقترح كاتو من جديد ضرورة إعلان الحرب على قرطاجة (١).

ولم تتوقف سياسة ماسينسا المناهضة لقرطاجة مستندا على مساعدة روما له فقام بغزو الهضبة الوسطى لتونس، وطالب قرطاجة أن تسمح له بالمرور في أراضيها بحجة مطاردة أحد الثائرين ضده ويدعى أفثير Aphther والذي هرب إلى منطقة قورينائية في الشرق ولكن قرطاجة رفضت هذا المطلب وتصادف في هذا الوقت ان طردت قرطاجة مثيري الفتن فيها الذين قاموا بالهروب إلى ماسينسا ونفذ صبر قرطاجة وصممت على مقاومة ماسينسا الذي لم يحترم أى نص من نصوص المعاهدة، وعندما تدخلت روما في فض النزاع في هذه المرة اعتبرت ذلك خرقا من جانب قرطاجة للمعاهدة السابقة ولاحظت أن قوة ماسينسا قد زادت إلى الحد الذي يجب ردعها، كما اعتبرت أن سياسة ماسينسا في شمال أفريقيا ومناهضته المستمرة لقرطاجة قد تسببت في توسيع هوة الخلاف بأن قام القرطاجيين بتكوين جيشا من أجل الحرب معه، ولم يكن هناك سوى إعلان الحرب (٢).

ويمكن القول أن السبب المباشر في إعلان روما الحرب على قرطاجة في هذا الوقت يرجع إلى عدم ثقتها النامية في ماسينسا رغم تحيزها الواضح له فقد كانت روما تتخوف من إزدياد نفوذ مملكة نوميديا وبذلك تظهر قوة جديدة في شمال أفريقيا تحل محل القرطاجيين وتهدد روما من جديد (٣) فضلا عن أن قرطاجة كانت قد تحررت منذ عام ١٥١ ق.م من قيود الغرامة الحربية التي فرضت عليها في أعقاب هزيمتها في الحرب البونية الثانية، وعلى ذلك قررت روما ضرب قرطاجة قبل ان يكون لديها الوقت الكافي للنهوض مرة أخرى، وخاصة إذا كان قرار الرومان بتدمير قرطاجة قراراً نهائياً (٤).

Appian. Punic wars. viii, 72.

(١)

Polybius. xxxvi. 21.

(٢)

(٣) رشيد الناضوري . مرجع سابق ، ٢٧٦ .

Warmington. B. H .op. cit. p .297.

(٤)

الحرب البونية الثالثة ١٤٩-١٤٦ ق.م.

كان إتهام قرطاجة بانتهاك معاهدة ٢٠١ ق.م مبررا شرعيا سعت إليه روما لكي تعلن الحرب على قرطاجة، وفي هذا الوقت تسرعت مدينة أوتيكا بتسليم نفسها للرومان وكان هذا بداية إنفراط عقد المدن الفينيقية على ساحل أفريقيا (١)، وعندما وجدت قرطاجة نفسها قد تورطت في الحرب دون أن تستعد بادرت بإرسال بعثة إلى روما تعبيراً عن أسفها عما حدث (٢)، وكعادة الرومان في التمويه عبّروا لأعضاء البعثة عن موافقتهم على احتفاظ قرطاجة بحريتها وأراضيها وقوانينها وممتلكاتها العامة على شرط أن تسلم ثلثمائة شاباً من أبناء النبلاء كرهائن وأن يطيعوا أوامر القناصل من الآن فصاعداً .

وقامت قرطاجة بتسليم الرهائن وبعثت بهم إلى روما، وانتظرت أوامر القناصل التي كانت تنص على تسليم جميع الأسلحة القرطاجية، وبعد إتمام تسليم الأسلحة والرهائن صدرت أوامر القناصل بإخلاء مدينة قرطاجة وأعلنوا أن مجلس الشيوخ قرر هدمها وأن السكان يمكنهم الإقامة في أي مكان يريدونه بشرط أن يكون على بعد ١٥ كم من البحر (٣) .

وبذلك ظهرت النوايا الحقيقية للرومان ، ولم يكن في وسع القرطاجيين الخضوع لمطالب الرومان أكثر مما فعلوا فصمموا على المقاومة والبقاء في مدينتهم وأمكنهم تصنيع مائة درع وثلثمائة سيف وخمسمائة سهم كل يوم بالإضافة إلى العديد من قذائف المنجانيق، وتحولت المنازل إلى ورش لصناعة الأسلحة (٤) ووقفت المرأة القرطاجية إلى جانب الرجل خلال تلك الفترة الحرجة من حياة قرطاجة موقفاً مشرفاً وساهمت في المقاومة مثل الرجل تماماً (٥) وتمكن القائد القرطاجي هسدرويل من

(١) Appian. Punic wars. viii, 74.; Polybius. xxxvi. 3.

(٢) Diodorus. xxxii. 6.

(٣) Warmington. B. H .op. cit. p .298.

(٤) Ibid. p . 300.

(٥) Diodorus. xxxii. 9

جمع حوالي ٢٠ ألف جندي، واستعدت المدينة للمقاومة^(١).

وتتفق المصادر أن الحكومة القرطاجية قامت بإستعدادات حربية في السنوات التي سبقت الحرب حيث أنها إستطاعت أن تسلح عددا كبيرا من الرجال بدليل الأسلحة الكثيرة التي سلمتها لروما قبل بداية الحرب، ولكن من غير المؤكد أنها إستطاعت صنع سفن مجدافية في هذا الوقت^(٢).

ولقد تغيرت مشاعر ماسينسا تجاه الرومان ، هذا الملك الذي اضعف قوة قرطاجة وإستولى على معظم أملاكها، كان في قمة غضبه عندما رأى الرومان قد جاءوا ليجنوا ثمرة جهده الطويل ونصره الأخير على قرطاجة، ويبدو أن الرومان كانوا لا يعتبرون ماسينسا إلا كأداة في إضعاف قوة قرطاجة ووسيلة لإعلان الحرب عليها، والمرجح أن الرومان قد خشوا من زيادة نفوذ ماسينسا خلال هذه الفترة فلم يخبروه بمشروعاتهم على عكس ما كانوا يفعلون في الحروب السابقة ضد قرطاجة، ولهذا كانت مساعدة ماسينسا للرومان في هذه المرة على عكس ما كان متوقعا منه، وفي نفس الوقت لم ينس الرومان أن أحد أقارب ماسينسا والذي لم يعرف إسمه، كان قد أكلت اليه مهمة الدفاع عن قرطاجة^(٣) كما أن أبناء ماسينسا غولوسة ومقيبسا ومستنبعل كانوا قد أظهروا بعض الفتور في مساعدة الرومان^(٤) ومع كل هذا فإن مساهمة أبناء ماسينسا في هزيمة قرطاجة خلال الحرب البونيقية الثالثة كانت واضحة جدا.

وفي العام الثاني من الحرب البونيقية الثالثة مرض ماسينسا مرضاً خطيراً وكان وقتها في عاصمته كيرتا، فاستدعى صديقه سقبيو أميليانوس Scipio Aemilianus ليجعله وصيا بأولاده ، ويقسم بينهم المملكة وتوفى ماسينسا قبل وصول سقبيو بيومين،

Warmington. B. H .op. cit. p .301.

Gsell. S. op. cit. III. P . 333.

Gsell. S. op. cit. III. P . 354

Warmington. B. H .op. cit. p .301.; Gsell. S. op. cit. III. P . 354.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وكان ماسينسا قد ترك ثلاثة من أولاده الشرعيين هم مقييسا، وغولوسة، ومستنبيل، بالإضافة إلى أولاده غير الشرعيين وعهد بهم جميعا إلى سقبيو ليتفادى النزاع حول تقسيم المملكة (١).

وحتى عام ١٤٨ ق.م كانت قوة القرطاجيين على قدر كبير من الكفاءة وزاد في قوتهم إنضمام جزء من الفرسان النوميديين إليهم، وارتفعت روحهم المعنوية بسبب قيام تمرد ضد روما في مقدونيا بقيادة أندريسكوس (٢) Andrisus (٢) ظناً منهم أن هذه الثورة سوف تشغل الرومان عنهم، كما يلاحظ أنه أثناء فترة الحصار على قرطاجة تمكن حلفاء القرطاجيين من الليبيين من إدخال بعض المؤن إلى المدينة، مما حدا بسقبيو بالقضاء على جيوب المقاومة الليبية المساعدة لقرطاجة (٣)، وإذا كان بعض المؤرخين يذكر أن الموري ساعدوا قرطاجة في الحرب الأخيرة ضد روما، فإنه لم يكن واضحاً أن مملكة موريتانيا قد تدخلت في هذا الصراع (٤).

وبنهاية عام ١٤٨ ق.م تحولت الظروف كلها ضد قرطاجة فقد استسلمت، لروما باقى المدن الفينيقية الساحلية التي كانت تابعة لقرطاجة مثل هادروميثوم Hadrumentum ولبكس الصغرى Lepcis Minor (Lepcis Minus) وثابسوس Thap-sus وأكولا وأشولا Acholla (٥) ويزيلا Uzalis وثوداليس Theudalis إلى جانب أوتيكا التي كانت قد انضمت للرومان منذ بداية الحرب، واعترفت روما بحريتها وعاملتها معاملة المدن الحليفة، أما بقية المدن فقد تساقطت في يد الرومان الواحدة تلو

(١)

Polybius. xxxvi. 16.

(٢) المقصود الحرب المقدونية الرابعة ١٤٩-١٤٦ ق.م

(٣)

Warmington. B. H. op. cit. p. 302.

(٤)

Fage. T. D op. cit. p 188.

(٥) تقع مدينة أشولا أو أكولا حسب بعض التسميات على ساحل أفريقيا على بعد ٤٥ كيلو متر شمال مدينة صفاقس الحالية، أما مدينة يوزيلا فكانت تقع على بعد ١٠ كم إلى الجنوب من أكولا على وجه التقريب.

Picard G. 557-558. pp (paris 1947) inscription de l'Academie de

"Acholla" Comptes Rendus de l'Academie de inscription (٥) بالملحق .

وراجع الخريطة رقم (٥) بالملحق .

القتال ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل (١) .

وكما يذكر بوليبيوس أن غولوسة تقدم ناحية القوات القرطاجية وأطاح بكل الاستحكامات التي وضعها هسدرويل Hasdrubal للدفاع عن معسكره فأصبح محاطاً من البر والبحر (٢) .

وتحملت قرطاجة الحصار الطويل وبذل القرطاجيون مجهودات كبيرة لإنقاذ المدينة من الدمار، ولكن ما أن حل عام ١٤٦ ق.م حتى كان بداية النهاية للإمبراطورية القرطاجية التي ظلت تحكم شمال أفريقيا قرابة سبعة قرون، وتمكن سقيبو من إحتلال المدينة وأضرمت النيران فيها وسويت بالأرض تماماً واسترق بعض أهلها وحلت عليها اللعنة، وأصبحت الأقاليم التي كانت تحت سيطرتها منذ بداية الحرب البونونية الثالثة تحت نفوذ روما التي سعت إلى إنشاء ولاية أفريقيا Provincia Africa (٣) .

(١)

(٢)

(٣)

Diodorus. xxxii. 22.

Polybius. xxxvi. 7.

Ibid. xxxviii. p. 19.

الفصل الثانى

التسوية التى تبعت سقوط قرطاجنة

- أحوال القرطاجيين بعد الحرب البونية الثالثة.
- الولاية الرومانية فى أفريقيا.
- مملكة نوميديا بعد ماسينسا.
- حرب يوجورثا.



الفصل الثاني

النسوية التي تبعت سقوط قرطاجة

يشتمل هذا الفصل على دراسة لأحوال القرطاجيين خلال الفترة التي تلت تدمير مدينتهم قرطاجة عام ١٤٦ ق.م ، وتحويل المنطقة التي كانت تسيطر عليها إلى ولاية رومانية، ويلقى الضوء على المحاولة التي قام بها جايوس جراكوس Gaius Gracchus لإنشاء مستعمرة رومانية في مكان قرطاجة القديم. وتعتبر هذه المحاولة هي الأولى من نوعها في شمال أفريقيا، وإن كانت لم تلق تشجيعا من مجلس الشيوخ الروماني إلا أنها كشفت عن مدى التطاحن الحزبي في روما خلال تلك الفترة.

وتعتبر الفترة التي تلت سقوط قرطاجة من الفترات الهامة في تاريخ شمال أفريقيا حيث حلت القوى الوطنية محل قرطاجة في مواجهة روما تحت قيادة يوجورثا Jugurtha لذلك كانت روما حريصة على عدم ترك الفرصة ليوجورثا حتى يحكم مملكة نوميديا وعملت بكل جهد حتى تخلصت منه في عام ١٠٥ ق.م.

أحوال القرطاجيين بعد الحرب البونية الثالثة:

بعد أن دمرت مدينة قرطاجة في عام ١٤٦ ق.م فر الكثير من القرطاجيين إلى المدن المجاورة في الوقت الذي كان يوجد فيه الآف الفينيقيين خارج المدن التي انضمت إلى الولاية الرومانية أفريقيا Africa وخاصة المدن الساحلية التي إستولى عليها ماسينسا والتي كونت جزءا من ممتلكات أولاده خلال الخمسين سنة السابقة على تدمير المدينة، بل أن كثيرا من القرطاجيين فروا إلى نوميديا وأصبح لهم وضع مميز حتى بعد تدمير مدينتهم قرطاجة، والدليل على ذلك ما قام به خلفاء ماسينسا من الاستعانة بهم في تنمية الفنون والصناعات، ونظرا لإختلاط القرطاجيين بالسكان المحليين من النوميديين ظهرت لغة جديدة متميزة هي اللغة الفينيقية الحديثة، ومع ذلك فقد ظلت الفينيقية القديمة هي لغة الحفلات الرسمية والطقوس الدينية (١)

Merlin.A.Divinites indigenes sur un Bas-relief Romain de la Tunisie. (Paris 1947)(١)

وصمدت فترة طويلة من الوقت أمام إنتشار اللغة اللاتينية فى شمال أفريقيا (١) .

ظلت العادات الفينيقية القديمة والطقوس الدينية كما هى تماما وعلى وجه الخصوص فى المناطق الداخلية وفى القرى التى كانت أقل قابلية لتأثير الحضارة الرومانية الجديدة، أما دين السكان المحليين الأفريقيين (٢) فقد تأثر كثيرا بدين المهجرين القرطاجيين الذين وفدوا على المدن النوميدية بعد تدمير قرطاجة فضلا عما إكتسبه النوميدون الذين خدموا فى جيش قرطاجة، وتجدر الإشارة إلى ممارسة عادة تقديم الضحايا البشرية للآلهة التى كانت موجودة فى مدينة كيرتا على عهد ماسينسا وفقا للطقوس الدينية القرطاجية، ولم يحدث أن تدخل الرومان فى عادات وتقاليد سكان شمال أفريقيا خلال هذه الفترة سوى تحريم عادة تقديم الضحايا البشرية وفيما عدا ذلك فقد ظلت النظم الاجتماعية والدينية كما هى (٣) .

وحقيقة فقد كان سقوط قرطاجة من العوامل التى أتاحت الفرصة أمام روما للسيطرة على حوض البحر المتوسط الغربى، والدليل على زوال السلطة القرطاجية من شمال أفريقيا تماما (٤) ، ولقد كان شعور روما أن هزيمة قرطاجة يعتبر دليل على التطور الداخلى لها وأن الإنتصار على هانيبعل كان نقطة تحول فى تاريخ روما (٥) ولكن كان هناك فريق آخر يرى أن وجود السيطرة القرطاجية فى شمال أفريقيا ينعكس بلاشك على النظام الرومانى، فسقبيو ناسيكا Scipio Nasica زعيم الحزب المعارض فى مجلس الشيوخ الرومانى كان يرى أن وجود مدينة قرطاجة عامل

(١)

Warmington .B.H.op.cit.P. 307.

(٢) كان بعل حامون Baal Hammon وثانيت Tanit أهم الآلهة القرطاجية بالإضافة الى الآلهة أشمون Esh-moun وملكات Melquart وهذه الآلهة فينيقية الأصل انتقلت مع المستوطنين القرطاجيين الذين استقروا على ساحل أفريقيا وقد عبد الوطنيون الآلهة القرطاجية ولكن فى نفس الوقت كانت لهم آلهتهم الوطنية . فوزي مكاري، المعابد والعبادات فى قرطاج ص ٢ وما بعدها. وراجع الأشكال رقم (٨) ، (٩) بملحق الرسالة .

(٣) وراجع شكل (١٠) بالملحق.

Warmington .B.H.op.cit.P.307

(٤)

Cicero.leg.Agra.ii.xxxii. 88.

(٥)

Warmington .B.H.op.cit.P.310

أساسى فى الاحتفاظ بالمجتمع الرومانى قوى شديد، ولذلك كان يعارض كاتو الكبير فى ندائه بتدمير قرطاجة^(١).

كان سقوط قرطاجة كما ذكرنا بداية للكثير من الأزمات السياسية والإقتصادية والإجتماعية لروما، وعلى رأس هذه المشاكل تدهور الأوضاع الإقتصادية الناتجة عن استمرار العمليات الحربية التى إستمرت وقتا طويلا مما أدى إلى فقدان الكثير من الشباب الرومانى والإيطالى الذى كان يعمل فى المجتمع الرومانى بكافة مظاهر نشاطه الإقتصادية وأدى ذلك إلى نقص العاملين فى الحقول الزراعية ونتجت عنه الأزمة الإقتصادية^(٢)، كما أدت كثرة الحروب إلى قيام طبقة من الأثرياء الذين جعل لهم ثراؤهم نفوذا فى روما وفى الأقاليم، وفى زيادة الترف بين أرستقراطية مجلس الشيوخ وعدم وجود تجانس بين طبقات المجتمع الرومانى فى هذا الوقت وزادت نسبة العبيد والمعدمين فى الوقت الذى إستخدم فيه جباة الضرائب والمتعهدون ثراءهم فى إنشاء طبقة جديدة داخل المجتمع الرومانى^(٣). هذا إلى جانب عدم الإكتراث بالمفاهيم والقيم السلوكية فى المجتمع الرومانى وتدهور الأخلاق وإستغلال أصحاب السلطات السياسية وظهور النزعة الذاتية بدلاً من المصلحة العامة للدولة والشعب الرومانى^(٤). وإتضح ذلك فى الفترة التى سيطر فيها يوجورنا على مقاليد الحكم فى مملكة نوميديا وإستطاع أن يشتري ذمم بعض أعضاء مجلس الشيوخ^(٥)، ولكن البعض يرجح أن السبب الأعظم فى هذا كان يكمن فى غياب المنافس الكبير لروما ألا وهى مدينة قرطاجة التى سقطت فى عام ١٤٦ ق.م^(٦).

Plutarch. Marcus Cato.xxvii.

(١)

(٢) Warmington .B.H.op.cit.P.311 رشيد الناصورى . مرجع سابق ص ٢٨٩

(٣) وج. دي بورج، ثرات العالم القديم: ترجمة زكي سوس الجزء الاول (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢٧٢، رشيد الناصورى مرجع سابق ص ٢٨٩.

Picard.C.Notice sur la vie et les travaux de Stephane Gsell. (Paris 1947.) P.79.

(٤) رشيد الناصورى، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

Sallust.Bell.Jug.xxviii.

(٥)

Warmington .B.H.op.cit.P.311

(٦)

الولاية الرومانية في أفريقيا (Prvincia Africa):

بعد سقوط قرطاجة في عام ١٤٦ ق.م عيّن مجلس الشيوخ الروماني عشرة نواب لكي يقوموا بعمل التسويات اللازمة بمساعدة القائد سقبيو أميليانوس Scipio Aemilianus . وليقرروا مصير الممتلكات القرطاجية السابقة على الحرب، وقامت اللجنة الرومانية بتحديد المدن والمناطق التي سوف تصبح تحت السيطرة الرومانية المباشرة، ولقد دخلت كل الأراضي القرطاجية التي كانت تمتلكها قرطاجة منذ عام ١٤٩ ق.م في حوزة الرومان وعُرفت بولاية أفريقيا الرومانية (١) .

أما حدود ولاية أفريقيا فكانت تعرف من خلال ما تبينه النصوص القديمة والاكتشافات الأثرية (٢) أن حد الولاية الرومانية في أفريقيا الذي أقامه سقبيو أميليانوس وكان يعرف باسم Fossa Regia ويفصل بين هذه الولاية ومملكة نوميديا ، يبدأ من طبرقة Thabraca إلى Thaenae (ثينا Thenae الحديثة) في الجنوب الشرقي وهي ليست بعيدة عن صفاقس (٣) وإلى خارج هذا الحد كانت توجد منطقة السهول الكبرى والتي إستولى عليها ماسينسا قبل إعلان الحرب البونية بالإضافة إلى مدن أخرى مثل فاجا وثوجا ولتحديد خط الحدود الخاص بالمنطقة حفر خندق حولها يمتد من طبرقة في الشمال إلى Thaenae على الساحل على بعد ما يقرب من ٢١٦ ميل من قرطاجة (٤) .

والجدير بالذكر أن حدود الولاية الرومانية في أفريقيا ظلت قائمة بدون تغيير فترة من الزمن، فبعد هذا الوقت بما يقرب من مائة سنة وأثناء حملة قيصر Caesar الأفريقية كانت هذه الحدود قائمة كما أن الخندق الملكي المعروف بفوسا ريجيا Fossa Regia والممتد بطول مملكة نوميديا ويفصلها عن ولاية أفريقيا ، كان نفس الحد الفاصل بين ولاية أفريقيا والولاية الجديدة Provincia Africa Nova التي أنشئت بعد

(١) Pliny.V.iii.25.

(٢) Leschi.L.Recherches Aerinnes sur le limes Roman de Numidie (Paris 1937)

P.256.

Julien. Ch.A. op. cit. P 117 .

(٣) ولاحظ حدود الولاية علي الخريطة رقم (٥) بملحق الرسالة

Pliny. v.iii.25.

(٤)

عام ٤٦ ق.م بعد إنتصار قيصر على خصومه السياسيين كما سنرى فيما بعد^(١).
والمعروف أنه أثناء الحرب البونية الثالثة سلمت عدة مدن للرومان وهذه المدن هي: أوتيكا وهاد روميتوم وثابسوس ولبكس الصغرى وأشولا ويوزيلا وثوداليس، وهذه المدن أصبحت حرة وعرفت باسم *Oppida Libera* كما كانت معفاة من الضرائب منذ عام ١١١ ق.م *Liberae Immunes* كما كانت تتمتع باستقلال محلي واسع وتحفظ بقوانينها وقضائها على الأقل بالطريقة المحلية وهذا ما يدل على وجود وظيفة الشوفيت في هذه المدن وليس هناك ما يؤكد أن المدن السبعة كانت قد خضعت لنظام الضرائب الذي كان متبعاً في المدن الأخرى من الولاية الرومانية في الوقت الذي كانت فيه قرطاجة قد أثقلت بالضرائب، ومع ذلك ليس هناك ما يؤكد أن المدن كانت قد سكّت عملة خاصة بها^(٢).

ويذكر بليني الكبير قائمة بالمدن الحرة في هذه المنطقة ويرجح البعض أنه إستمدّها من وثيقة خلال عصر أغسطس^(٣) بلغ عدد المدن الحرة فيها حوالي ثلاثين مدينة ولكنه لم يكر أنها كانت حليفة للشعب الروماني أو تتمتع بنفس مميزات المدن الحرة في ولاية أفريقيا التي إنضمت للرومان خلال الحرب البونية الثالثة والمعروف أن معظم المدن السبعة التي منحت الحرية كانت في الأصل مدن فينيقية دخلت تحت سيطرة قرطاجة أما مدن قائمة بليني فأغلبها مدن نوميدية الأصل^(٤).

أما الأراضي المصادرة في الولاية الرومانية فكانت تنقسم إلى أنواع ثلاث: أراضى أصبحت ملكاً للدولة الرومانية *Ager Romanus* وأراضى بيعت لأفراد مغامرين ستطوّر إلى مزارع واسعة *Latifundia* والتي كانت الأساس لنظام

Caesar . Bell. Afri.viii.

(١)

Gsell.S.op.cit. vii.PP.38,41.†Caesar. Bell. Afri. vii. xxxiii†Pliny .v. iii. 24-25

(٢)

وراجع موقع المدن علي الخريطة رقم (٥) الملحق بالرسالة.

Gsell.S.op.cit.vii. P.40.

(٣)

Pliny.v.iv.30.

(٤)

الاستيلاء على الأراضي^(١) ثم الأراضي التي احتفظت بها الدولة في أول الأمر ثم وزعتها على المستوطنين الذين أتى بهم جايوس جراكوس Gaius Gracchus ، هذا بالإضافة إلى أن أراضي المدن الحليفة الحرة كانت معفاة من عمليات الضم ، أما أراضي المدن الخاضعة فأصبحت نواه للأرض العامة Ager Publicus والتي ستعرف باسم Civitates Stipendiariae وذلك حوالي عام ١٢٢ ق.م^(٢).

وبعد تحديد الحدود الفاصلة بين مملكة نوميديا وولاية أفريقيا الرومانية قام الرومان بعملية مسح واسعة لأرض الولاية ، وعلى الرغم من أن قرطاجة كانت من المدن القديمة التي إهتمت بنشر الزراعة في ممتلكاتها^(٣) إلا أنه لا يوجد أي دليل على أن القرطاجيين كانوا قد قاموا بعملية مسح لأراضيهم ومن المرجح أن عملية المسح التي قام بها الرومان لأرض الولاية كان الهدف منها إما تسهيل جمع الضرائب على الملتزمين Conductores أو لتسهيل توزيع الأرض على الرومان ، ولقد تم مسح الأرض وتقسيمها إلى وحدات سننورية Centuriae وكل وحدة سننورية تعادل تقريبا خمسين هكتار (الهكتار المربع يساوي ١٠,٠٠٠ متر مربع) وتنقسم كل وحدة إلى مائة قطعة وراثية Heredia توزع على الرومان يتوارثها الأبناء بعد الآباء ، ويلاحظ أن عملية المسح قد شملت كل الأراضي الواقعة تحت سيطرة روما داخل ولاية أفريقيا فيما عدا المدن المحررة (المدن السبعة)^(٤).

كانت مدينة أوتيكا Utica هي عاصمة ولاية أفريقيا بعد عمليات المسح التي

(١)

Pliny.xviii.6.

(٢) وستوفتوف، مرجع سابق ، ص ٣٨٣ .

(٣) عرفت قرطاجة الزراعة ، ولف كل من همقار Hamilcar وماجو Mago كتابين في الزراعة . وعند سقوط قرطاجة أمر مجلس الشيوخ الروماني بترجمة كتاب ماجو إلى اللغة اللاتينية وقد ضاع أصل هذا الكتاب كما ضاعت ترجمته . ويذكر أن ماجو كان يفوق غيره في رسالته عن الزراعة حتى لقب أبو الزراعة . جورج سارتون . تاريخ . العلم ، ترجمة لفيف من العلماء . الجزء الخامس الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٧٨) ص ٣٠٠ ج . كونتو ، مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٤) Gsell.S.op.cit.vii. P11. ; Saumagne.C,la Photographie aerienne au service de
 وراجع الشكل رقم (١٥) بالملحق . P.294. . archeologie en Tunisie (Paris 1952)

قام بها الرومان . وكما يذكر إسترابون أن مدينة أوتيكا كانت مركز النشاط الروماني في ولاية أفريقيا وأصبح لها نفس المكانة التي كانت عليها قرطاجة قبل تدميرها^(١) فضلا عن ذلك فقد قامت روما بإزالة كل العوائق التي كانت مفروضة على تجارة المدن البحرية بواسطة قرطاجة^(٢) .

أما نظام الحكم في ولاية أفريقيا فقد تقرر منذ عام ١٤٦ ق.م أن تكون هذه الولاية تحت قيادة أحد الحكام الذين يعينهم مجلس الشيوخ كل سنة الذي يحمل لقب برايتور Praetor، وكانت ولاية أفريقيا ضمن الولايات التي يحدد مجلس الشيوخ إدارتها بواسطة البراتيور كل سنة، ومع إزدياد عدد الولايات وزيادة أهميتها قرر مجلس الشيوخ أن يتولى قيادة ولاية أفريقيا نائب Legatus يحمل لقب بروبريتور Pro-Praetore وليس برايتور ، وكان هذا الحاكم لا يترك ولايته قبل وصول الحاكم الجديد، وفيما بعد وفي عام ٨١ ق.م أصدر سولا Sulla قانونا يعرف باسم Lex Cornelia الذي زاد عدد البراتيوريين إلى ثمانية ، وكان حاكم ولاية أفريقيا في بعض الفترات يحمل لقب بروقنصل Proconsul ويتمتع بسلطة الإمبريوم القنصلية Imperium Consulare وكان أيضا لا يترك ولايته قبل وصول من يخلفه في حكم الولاية، ووفقا لقانون بومبي Lex Pompeia في عام ٥٢ ق.م فإن وظيفة البروقنصل كانت لا تتعدى سنة واحدة تحسب من اليوم التالي لوصوله إلى الولاية ولكن نشوب الحرب الأهلية بين بومبي Pompey وقيصر Caesar وضع أفريقيا في ظروف إستثنائية^(٣) .

وكان يعاون حاكم الولاية أحد النواب أو أكثر وربما وصل العدد إلى ثلاثة، وكان الحاكم يعين هؤلاء النواب من بين أصدقائه وأقربائه بموافقة مجلس الشيوخ، وعليهم أن يقوموا بتنفيذ الأوامر والمهام الموكلة إليهم ولا سيما في الشؤون الإدارية

Strabo.xvii .iii.13 .

Gsell.S.op.cit.vii.p. 44.

Ibid. p.20.

(١)

(٢)

(٣)

والقضائية والمحافظة على إستقرار الأمن، وفي بعض الأحيان يحلون محله في حالة رحيله أو بسبب المرض، ومن بين الموظفين الذين كانوا يساعدون الحاكم كوايستور Quaestor الولاية الذي كان يحمل لقب كوايستور بروبرايكتور Quaestor Pro-Praetor في حالة رحيل الحاكم الفجائي، ومن بين مساعدي الحاكم في الولاية مجموعة من الأصدقاء Amici, Comites يوافق عليهم مجلس الشيوخ، وكل هؤلاء الموظفين كانوا يشكلون حاشية ومعاوني البروبرايكتور أو البروقنصل^(١).

وعلى الرغم من أن كل شئون الولاية الرومانية في أفريقيا كانت بيد الحاكم إلا أن مجلس الشيوخ كانت له اليد الطولى في تنظيم شئونها، فإلى جانب تعيين الحاكم والموافقة على مساعدية كان يحدد سنويا عدد القوات العسكرية والبحرية الموضوعة تحت سيطرة الحاكم والاعتمادات الضرورية للمصروفات العامة Sumtus Provinciae، وما يصرف لهذه القوات من أجور ومؤن ويفرض على الحاكم إحترام قانون الولاية Lex Provinciae وقرارات مجلس الشيوخ وقوانينه.

وكان من سلطة حاكم ولاية أفريقيا المحافظة على الأمن وتجهيز الجيوش ضد الأخطار الخارجية، فإنه على الرغم من وجود حد فاصل بين ولاية أفريقيا ومملكة نوميديا، فإن هذا الحد لم يكن له أى فعالية بالنسبة لأمن الولاية فهو حد إدارى وليس دفاعيا، ومن ناحية أخرى فعلى الرغم من أن الرومان قد إعتبروا أن مملكة نوميديا كانت تضمن لهم الحماية على أوسع نطاق إلا أن ولاية أفريقيا كانت عرضة لحدوث الثورات من جانب القبائل النوميديية المجاورة. كما وكان للحاكم تخولا أيضا بسلطة الدفاع عن الولاية في حالة تعرضها لقراصنة البحر^(٢).

وتعرضت ولاية أفريقيا في عام ١٢٣ ق.م لمحاولة يائسة من جانب الرومان لإنشاء مستعمرة Colonia في مكان قرطاجة القديم، تلك المحاولة التى قام بها جايوس جراكوس Gaius Gracchus نقيب العامة لعام ١٢٣ ق.م^(٣) وهذه المستعمرة أطلق

Gsell.S.op.cit.vii. P. 24.

Ibid.P.31.

Livy.lv.lx..

(١)

(٢)

(٣)

عليها اسم يونونيا Iunonia اعتمد في تأسيسها على صدور قانون روبيريوس Lex Rubria زميل جايوس في التريبونية ، وقد صدر هذا القانون بإيعاز من جايوس وكان جايوس يقصد بذلك التخلص من جموع الفقراء والمعدمين Proletarii الذين أرهقهم البؤس وبدلاً من أن يكونوا خطراً على الدولة يصبحون قوة لها نتيجة لما سيقومون به من أعمال زراعية وحرفية في المستعمرة الجديدة^(١).

ويبلغ عدد المستعمرين Coloniae الجدد ما يقرب من ستة آلاف من الرومان والإيطاليين^(٢) على أن يكون نصيب الفرد ما يقرب من مئتي فدان روماني ليكون إمتلاكاً خاصاً معفى من الإيجار،^(٣) وبعد أن قضى جايوس ما يقرب من سبعين يوماً في أفريقيا في إنشاء المستعمرة بمرافقة صديقه فلاكوس Flaccus^(٤) عاد إلى روما ليجد نفسه وقد هبطت شعبيته إلى حد كبير بين العامة ولذلك فشل في الإنتخابات لما قام به خصومة من اتجاهات مضادة له ، ولقد كانت وجه نظره الأرستقراطيين Optimates الذين عارضوا فكرة إقامة مستعمرة يونونيا أنه يجب البعد عن المكان القديم لقرطاجة وتذكرهم الدائم لتحذير كاتو الكبير منذ ٣٠ سنة مضت (يجب أن تدمر قرطاجة) ، كما تعرض جايوس لإتهام خصومه بأنه تجاوز العدد المعتمد للمستعمرين^(٥).

وبعد أن تخلص أعداء جايوس منه في عام ١٢١ ق.م ألغى قانون روبيريوس وكذلك ألغيت مستعمرة يونونيا. ومن المحتمل أن بعض المستعمرين تمكنوا من بيع الأراضي التي كانت تحت أيديهم في هذه المستعمرة وعادوا إلى إيطاليا بعد أن اشتراها الرأسماليون ولم يعرف أن هناك مستعمرات قد أقيمت في قرطاجة قبل عصر

Gsell.S.op.cit.vii.P. 58.

Appian.Punic wars.viii. 136.

(١) عبد اللطيف احمد على ، التاريخ الروماني (عصر الثورة) (القاهرة ١٩٦٧) ص ٢٥ .

Plutarch.Caius Gracchus.x.

(٢) عبد اللطيف احمد على ، مرجع سابق . ص ٣٤

يوليوس قيصر سوى هذه المحاولة التي إنتهت بالفشل^(١) وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة إلا أن الرومان لم يجدوا بعد ذلك وسيلة أفضل من إنشاء المستعمرات لمعالجة مشكلة البطالة والتي كانت أهم المشاكل التي واجهت روما^(٢).

مملكة نوميديا بعد ماسينسا : Massinissa

سبقت الإشارة إلى أن ماسينسا كان قد استدعى سقبيو اميليانوس Scipio Aemilianus إلى عاصمته كيرتا لتنظيم شئون المملكة عندما أحس بدنو أجله، وقبل أن يصل سقبيو إلى العاصمة بيومين كان ماسينسا قد مات، والذي أوصى أولاده بقبول قرارات سقبيو، وقام القائد الروماني بإبعاد أولاد ماسينسا غير الشرعيين^(٣) عن السلطة. وكان ماسينسا قد ترك وصية تقضى بتقسيم المملكة بين أولاده الشرعيين هم مقيبس Micipsa وغولوسة Gulussa ومستنبعل Mastanabal^(٤) ووزعت عليهم المناصب حسب كفاءة كل منهم فعهد إلى مقيبس برياسة المملكة وإلى غولوسة بقيادة الجيش وبأمر القضاء إلى مستنبعل Mastanabal^(٥) والمرجح أن هذا التقسيم كان لا يتفق ورغبات الملك ماسينسا، فحسب النظام المعمول به في مملكة نوميديا فإن مقيبس كان أكبر الأبناء وكان له الحق في خلفه والده في السلطة، ولكنه كان ضعيف الإرادة غير نشيط لا يصلح لأن يكون منفردا بالسلطة وهذا ما إتضح من علاقاته مع يوجورتا^(٦) أما غولوسة وهو الابن الأوسط فكان يمتلك بالفعل مواهب عسكرية، مما جعل سقبيو يتخوف منه خصوصا وأن المساعدات العسكرية التي كانت تقدمها نوميديا والتي أثبتت فاعليتها كانت مرهونة بسيطرة غولوسة على القوات النوميديية. أما الابن

(١)

Gsell.S.op.cit.vii. P. 64.

(٢) عبد اللطيف احمد علي، مرجع سابق ص ٢٥.

(٣) ذكرت مصادر العملة بعض أسماء أولاد ماسينسا والذين لم يتولوا الحكم في نوميديا وهم ميساجنيس Misagenes وماسجابا Masgaba وستميانوس Stembanos. راجع Mazard.op.cit.P.28

(٤) كانت فترات حكم أبناء ماسينسا هي : Micipsa من ١٤٨ الى ١١٨ ق.م ، غولوسة Gulussa من ١٤٨ الى ١٤٠ ق.م ومستنبعل Mastanabal من ١٤٨-١٤٠ ق.م.

(٥)

Polybius. xxxvi. 16.

(٦)

Sallust . Bell. Jug . vi.

الثالث فرأى الرومان عن مدى نشاطه غير واضح ولا يُعرف سوى أنه تولى سلطة القضاء في نوميديا، وبذلك خضع أولاد ماسينسا للرومان .

وتجدر الإشارة إلى أن هزيمة قرطاج فتحت باب نوميديا أمام النفوذ الروماني، ويتضح هذا من وجود النوميديين في الجيش الروماني كقوات مساعدة ، وكذلك دخول التجار الإيطاليين بحثا عن الحبوب والسلع الأخرى حتى أنه في نهاية القرن الأول قبل الميلاد كانت تقيم جالية من الإيطاليين في مدينة كيرتا . فضلا عن تأثر مستنبعل بن ماسينسا بالثقافة اليونانية والذي يأتي دليلاً آخر على تأثر النوميديين بالمؤثرات الثقافية في هذه الفترة^(١) .

المعروف أن روما بعد إنتصارها في الحرب البونية الثالثة تنازلت لأولاد ماسينسا عن بعض المكاسب الصغيرة وأعطتهم بعض المدن وسلمت إليهم مكتبة قرطاج بعد تخريب المدينة^(٢) واحتفظت روما لنفسها بموقع قرطاج تحت اسم ولاية أفريقيا الرومانية ، كما أنها لم ترغب في هذا الوقت في أن يمتد نفوذها أبعد من هذا واكتفت بما تحقّقه من فرض نفوذها على مملكة نوميديا وأولاد ماسينسا الذين ظلوا طائعين لها، وتحصل من هذه المملكة على كل ما تحتاجه من الحبوب، ومن ناحية أخرى أن روما كانت تنظر إلى مملكة نوميديا على أنها أحد الحواجز الدفاعية حول الولاية الرومانية^(٣) .

بعد وفاة غولوسة Gulussa ومستنبعل Mastanbal أو إيعادهما في وقت مبكر أصبح مقييسا Micipsa ملكا منفرداً على مملكة نوميديا وظل وفياً ومخلصاً للرومان ولم تحاول روما من جانبها أن تسبب له أي إزعاج أو قلق طالما ظلت الأحوال هادئة في المنطقة المجاورة، ولقد ظلت العلاقة بين روما ومقييسا طيبة إلى أبعد الحدود وهو يشبه في ذلك سلوك والده ماسينسا في معاونته للرومان في شتى المجالات فنجده

Fage. T.D. op. cit .P. 183 .

Warmington .B.H.op. cit.P.306.

Gsell.S.op.cit.vii. P. 136 .

(١)

(٢)

(٣)

يرسل الفيلة إلى روما في عام ١٣٤ ق.م والقوات إلى سقبيو إميليانوس والذي كان يقوم بحرب نوماننتيا Numantia^(١) وأرسل له عدداً كبيراً من الفرسان ورماة السهام والنبال تحت قيادة ابن أخيه يوجورتا وكان لهذه المساعدة دور فعال في إنهاء الحرب في هذه المنطقة وانتصار الرومان، وإن كانت المصادر تتفق على أن مقييسا كان يقصد بإرسال يوجوريا إلى هذه الحرب التخلص منه، على أي حال فهي دليل على استمرار تبعية نوميديا لروما وعدم وجود أي قلق في هذه المنطقة بين روما وجيرانها^(٢).

ولقد كان مقييسا يأمل في إبعاد كل النوميديين من أسرة ماسينسا عن حكم نوميديا وأن تظل هذه المملكة خالصة من بعده لأولاده، وكما تذكر المصادر أن أخوه مستنبل قد ترك بعد وفاته ولدين أحدهما هو غودة Gauda وهو ابن شرعي ولكنه كان مريضاً ضعيف العقل والثاني غير شرعي وهو يوجورتا آواه مقييسا في قصره وما أن ظهرت بوادر قوته وشهرته بين النوميديين حتى بدأ يخشاه على أولاده، فحاول التخلص منه بأن جعله على رأس القوات التي أرسلها إلى نوماننتيا لمساعدة الرومان ولكنه أنجز ما كلف به من مهام بمهارة عجيبة جعلته ينال إعجاب القائد سقبيو إميليانوس، وبعد سقوط نوماننتيا وإنهاء الحرب في عام ١٣٣ ق.م مدحه سقبيو أمام الجيش الروماني وأثنى عليه وسلمه رسالة إلى مقييسا مشيدا فيها بمهارة يوجورتا وقوته^(٣).

ومنذ ذلك الحين شعر الملك مقييسا أنه لن يستطيع بعد ذلك أن يعارض طموح يوجورتا ولذلك فقد ترك وصيته أن يشارك يوجورتا ولديه ادهربال Adherbal وهيمبسال Himpsal في الحكم من بعده، وكان قد تبناه منذ عام ١٢٠ ق.م^(٤) ويوجورتا نوميدي حقيقي، لا يعرف الخوف ولا يتطرق إليه الوهن، ذكي مخادع

(١) قامت في عام ١٣٤ ق.م ثورة ثمود في مدينة نوماننتيا الإسبانية. اشتركت فيها القوات النوميديّة التي أرسلها مقييسا لمساعدة الرومان بقيادة ابن أخيه يوجورتا وانتهت هذه الحرب في عام ١٣٣ ق.م.

Livy . lx. lvii.

Sallust. Bell.Jug.vii.

Ibid .vii.

Livy . lx. lvii.

ماهر فى فنون الحرب، وداهية فى الدبلوماسية، وصفه سالوست بأنه مثل للبطلوة والتحمل فى ميدان القتال، ولقد أتاح له الإحتكاك بالرومان خلال الفترة التى قضاها فى حرب نوماننتيا أن يتعرف على طباع الرومان وميولهم، من ناحية أخرى فإن الرومان قد تعرفوا على مدى قوته، ورعيت كل هذه الاعتبارات فيما بعد خلال فترة الصراع بين الجانبين (١).

بعد موت مقيبسا فى عام ١١٨ ق.م أخذ كل من أدهريال وهمبسال موقف العداء من يوجورتا وأرادوا أن يحرموه من المشاركة فى حكم المملكة ولكن دهاء يوجورتا أعطاه الفرصة أن يفلت من أى محاولة لإقصائه عن السلطة، وقرر التخلص منهما والإنفراد بالسلطة (٢) ولذلك بدأ بالهجوم فى عام ١١٧ ق.م على أبناء عمه وتقدم ناحية مدينة ثرميدا Thirmida وتمكن من قتل همبسال الذى كان يقيم بها. وحاول أدهريال الإنتقام لأخيه خوفا من أن يلقي نفس المصير وجازف بالدخول فى حرب غير متكافئة مع يوجورتا ولكنه خسر هذه المعركة واضطر إلى الفرار إلى الولاية الرومانية المجاورة ثم توجه بعد ذلك إلى روما لتقديم الشكوى أمام مجلس الشيوخ. أما يوجورتا فبالإضافة إلى قتل همبسال طارد أنصار أدهريال وسجن منهم مجموعة كبيرة وعلى ذلك فقد أصبح سيد الموقف فى نوميديا كلها (٣).

وأمام رحيل أدهريال إلى روما قام يوجورتا بإرسال بعثة إلى روما كلفها بتبرير موقفه أمام مجلس الشيوخ الرومانى وأوصاهم ألا يدخروا وسعا فى الحصول على تأييد بعض أعضاء المجلس، كما أعطاهم مبالغ كبيرة من المال لأنفاقها فى شراء نزع الأعضاء، ولم يكن أمام مجلس الشيوخ إزاء هذا الموقف إلا أن عقد جلسة لبحث الموقف بين الطرفين. وخلال هذه الجلسة توسل أدهريال وطلب مساعدة الرومان مذكرهم بمواقف جده ماسينسا الجليلة مع الرومان كما طلب حماية الرومان من أطماع النوميدي يوجورتا والذى استولى على ممتلكاته دون وجه حق ودون عمل أى حساب للرومان،

Sallust. Bell.Jug.ix.

Livy . Iv. lxii.

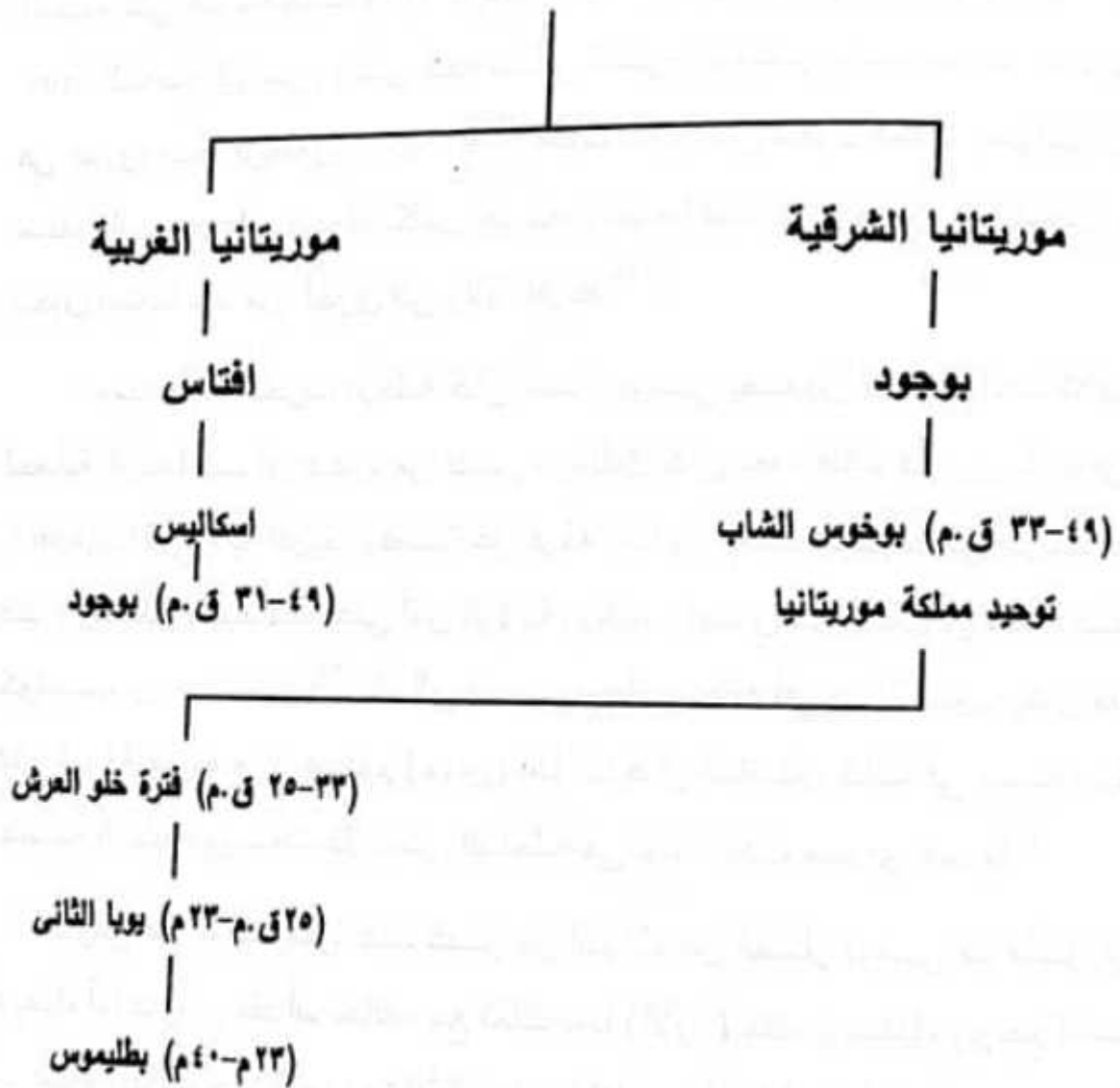
Sallust. Bell.Jug.xiii.

(١)

(٢)

(٣)

ملوك موريتانيا (١١٨-٨١ ق.م.) بوخوس الكبير



ورد سفراء يوجورتا أن همبسال كان قد قُتل من جراء أعماله الإجرامية مع النوميديين وأنه ليس ليوجورتا أى دخل فى قتله ، كما قام سفراء يوجورتا بمحاولة إستعطاف المجلس بأن ذكروا المواقف الجليلة التي أداها يوجورتا للرومان فى نومانثيا (١) .

وانقسم مجلس الشيوخ بين مؤيد ومعارض ، فالبعض قرر معاقبة يوجورتا على إثارتة القلاقل بجوار ولاية أفريقيا ، والبعض الآخر قرر مساعدته لمواقفه الجليلة مع الرومان فى الوقت الذى لم يقدم أدهريال وهمبسال أى مساعدات لروما ، وفى النهاية قرر مجلس الشيوخ إرسال بعثة للتحقيق فى هذا النزاع مكونة من عشرة نواب على رأسهم أوبيميوس Opimius فنصل عام ١٢١ ق.م والذى أعلن قبل رحيله معارضته لأطماع يوجورتا ومن المحتمل أن يوجورتا إستطاع أن يشتري ذمة بعض أعضاء البعثة مما عرض أوبيميوس لانتقادات عنيفة من خصومة السياسيين (٢) .

ويذكر سولوست Sallust أن يوجورتا قد إستفاد من التسوية التي قام بها أوبيميوس بأن حصل على الجزء الغربى من مملكة نوميديا ويضم المناطق الآهلة بالسكان ومن أخصب مناطقها ، أما أدهريال فقد حصل على الجزء الذى يبدأ من غرب ولاية أفريقيا ويمتد حتى غرب كيرتا (٣) .

والحقيقة أن ما ذكره سالوست بأن المنطقة الغربية أخصب من المنطقة الشرقية من نوميديا ينافى الحقيقة حيث أن المنطقة الشرقية معروف عنها الثراء والخصب بشهادة كل المؤرخين لهذه الفترة من تاريخ شمال أفريقيا والدليل على ذلك ما حدث من نزاع بين مدينة قرطاج ومملكة نوميديا تحت قيادة ماسينسا والذى سبق ذكره (٤) والأقرب إلى الواقع أن اللجنة التي ذهبت إلى أفريقيا قصدت بوضع أدهريال على

Sallust. Bell. Jug. xv.

Ibid. xvi.

Ibid. xvi.

Appian. Punic wars . viii. 68 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

حدود الولاية الرومانية على أساس أن هذا الملك أثبت ضعفه أمام يوجورتا بتقديمه الشكوى لروما ، وأنه لا يمكن لرجل ضعيف مثله أن يسبب متاعب لممتلكات الرومان في أفريقيا ومن ناحية أخرى أنه كان مشغولا بخلافاته مع يوجورتا .

ويلاحظ في هذه الفترة أن يوجورتا لم يسبب أية متاعب لولاية أفريقيا الرومانية ربما لأنه لم يكن قد إنتهى من تصفية خلافاته مع أدهريال ، وعلى الرغم من إنتصاره على أدهريال في عدة معارك وإحساسه بقوته وسيطرته على مجريات الأمور في نوميديا إلا أنه لم يأخذ أى موقف من ولاية أفريقيا الرومانية ومع ذلك فقد أبدت روما مخاوفها من نشاط هذا الملك الجديد ولذلك فقد وضعت أدهريال بينه وبين ممتلكاتها في أفريقيا (١) .

قبل يوجورتا مؤقتا ما قامت به اللجنة من تسويات في مملكة نوميديا ولكنه كان ينوى أن يقضى على أى عائق يقف أمام طموحه فى أن ينفرد بحكم مملكة نوميديا، ولذلك قام فى عام ١١٣ ق.م بتحريك الخلاف بينه وبين أدهريال وأعد جيشا كبيرا غزا به شرق نوميديا، ولم يتمكن أدهريال من المقاومة وفر إلى عاصمته كيرتا وكان أمر الدفاع فيها يقع على عاتق التجار الإيطاليين ، وفرض الحصار على هذه المدينة فترة طويلة، بل أنه رفض السماح لأعضاء البعثة التى وصلت فى هذا الوقت أن تدخل المدينة حتى لا تتصل بأدهريال، ومرة ثانية إنقسم مجلس الشيوخ تجاه الموقف فى نوميديا فالبعض إقترح إرسال جيشا إلى نوميديا لإنقاذ أدهريال ومعاقبة يوجورتا الذى رفض الإذعان لأوامر البعثة الرومانية والبعض الآخر رفض هذا الإقتراح، والواضح أن نفوذ يوجورتا كان قد إنتشر بين أعضاء مجلس الشيوخ لدرجة أن البعض كان يقف بجانب أى إجراء يقوم به فى نوميديا كما أنه كان يتحرك فى نوميديا إعتمادا على مساندة بعض أعضاء المجلس، وإنتهى الأمر فى مجلس الشيوخ بإرسال بعثة بقيادة أحد النبلاء وهو سكاوروس Aemilius Scaurus فنصل عام ١١٥ ق.م لبحث المشكلة (٢) وعندما وصل سكاوروس إلى مدينة أوتيكا عاصمة ولاية

(١)

(٢)

أفريقيا أستدعى يوجورتا على الفور، وحاول الملك النوميدي الإستيلاء على مدينة كيرتا قبل لقاء البعثة الرومانية، ولكنه فشل في تلك المحاولة وذهب إلى أوتيكا في صحبة حامية صغيرة ليستمع إلى اقتراحات البعثة، وعندما لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق غادرت البعثة أفريقيا متجهة إلى روما واتجه يوجورتا إلى كيرتا لمواصلة أعمال الحصار، وعلم التجار الإيطاليون أن أى محاولة في الصمود أمام يوجورتا سوف تبوء بالفشل واقترحوا على أدهريال أن يستسلم واقتنع أدهريال بأن أى إصرار على عدم الاستسلام سوف يجبر على قبوله فيما بعد، وعند هذا أعلن إستسلام المدينة ودخلها يوجورتا واقتحمها جنوده وأعملوا فيها التخريب والدمار، أما التجار الإيطاليون الذين ظنوا أنه بإستسلامهم سينجون من عقاب يوجورتا ولكنه قتلهم جميعا دون مراعاة لمشاعر الرومان، أما الملك أدهريال فقد قتل شر قتله على يد قوات يوجورتا^(١).

حرب يوجورتا،

سبب حادث مقتل الجالية الإيطالية في كيرتا Cirta إنزعاجاً كبيراً لمجلس الشيوخ الرومانى. وخاف الرومان على مصالحهم في أفريقيا وخاصة أن يوجورتا بالقضاء على أدهريال أصبح سيد الموقف في كل نوميديا دون منافس وأنه تمرد علنا على الرومان بقتله التجار الإيطاليين ولذلك قرر مجلس الشيوخ إعلان الحرب على يوجورتا.

وإذا كان هذا الحادث هو السبب المباشر لدخول روما الحرب ضد مملكة نوميديا إلا أن هناك سبب آخر هو أن سيطرة هذا الملك القوى على نوميديا قد حرم الرومان الكثير من المنافع والموارد الاقتصادية التي كانت تحصل عليها بسهولة، ولكن روما لم تتركه يتمتع بما حققه من المكاسب واعتبرت أن مشروع ماسينسا السابق في السيطرة على شمال أفريقيا قد بعث من جديد واتخذت من الأحداث السابقة أسباباً لإعلان الحرب عليه في عام ١١١ ق م.

وكان أول جيش أرسلته روما إلى أفريقيا لمحاربة يوجورتا تحت قيادة القنصل باستيا Calpurnius Bestia في عام ١١١ ق م^(٢) وعندما سمع يوجورتا بأنباء استعداد

Sallust. Bell. Jug. xxvi.

Livy. ix. lxiv.

(١)

(٢)

روما للحرب معه بادر بإرسال بعثة إلى مجلس الشيوخ الرومانى وأعطاهم التوجيهات أن يحاولوا عن طريق الرشوة التأثير على بعض أعضاء مجلس الشيوخ لوقف القتال، وعند وصول البعثة إلى روما أصدر مجلس الشيوخ قرارا بطرد المندوبين من إيطاليا إذا لم يكن حضورهم لإعلان إستسلام الملك ومملكته ولذلك عادت بعثة يوجورتا إلى أفريقيا دون أن تحقق هدفها^(١).

انتقلت القوات الرومانية من ريجيوم Rhegium فى جنوب غرب إيطاليا إلى جزيرة صقلية ثم توجهت بعد ذلك إلى أفريقيا، وقام باستيا بمساعدة سكاوروس بهجوم على النوميديين وأسروا الكثيرين منهم ودمروا العديد من مدنها، وأحس يوجورتا بضعفه أمام جيوش الرومان وعاد إلى سالف عادته فى شراء ذمم الرومان، وبفضل الرشوة حصل النوميديين على السلام وعقدت معاهدة صلح بين الجانبين، وتعبيراً عن النية الصادقة ليوجورتا إستقبل مندوب القنصل فى مدينة فاجا Vaga إحدى مدنة لكى يستلم الحبوب التى وعد بتقديمها وسلم ثلاثين فيل وكثيراً من الماشية والخيول وكمية من الفضة، وإكتفى القنصل بذلك بإعتبار أن قبول يوجورتا لشرط الصلح مساوياً لتبعية لروما^(٢).

رفضت الحكومة الرومانية هذا الصلح وإنفضح أمر القنصل المرتشى وتقررت محاكمته وتطلب الأمر إستدعاء يوجورتا إلى روما كشاهد على الجريمة، ووصل يوجورتا إلى روما وأعطى الأمان، وتمكن مرة أخرى من شراء ذمة أحد الأعضاء الذى منعه من الإدلاء بمعلوماته أمام المجلس، ورغم هياج الناقمين من أعضاء مجلس الشيوخ وإحتجاجهم إلا أن الجلسة أنفضت دون الوصول إلى نتيجة حاسمة فى هذا الموضوع^(٣).

كادت المشكلة تمر بهدوء إلا أن يوجورتا ارتكب جريمة سببت إزعاج الرومان وخاصة أنها أثناء إدانته فى روما، وأنت دليلاً جديداً على فساد ضمائر النبلاء ثم أنها

(١)

Sallust. Bell. Jug. xxviii.

(٢)

Ibid. xxix.

(٣)

Ibid. xxx.

تثبت ما ينويه يوجورتا لتصفية خصومة أينما وجدهم وهذه الجريمة تتلخص في أن أحد النوميديين وهو ماسيفا Massiva ابن غولوسة كان قد هرب إلى روما بعد مذبحة كيرتا^(١) واستغل مشكلة النزاع بين روما ويوجورتا وطالب بعرض مملكة نوميديا لكن يوجورتا لم يدع لماسيفا فرصة عرض مشكلته على مجلس الشيوخ ودبر مقتله ، وقام بوميلقار Bomilcar أحد أعوان يوجورتا بمطاردة ماسيفا في كل مكان وعهد إلى أحد الرومان بقتله . وعندما وصلت أخبار هذه الجريمة إلى أعضاء مجلس الشيوخ قرروا محاكمة الجناة وطرد يوجورتا من روما فوراً ، فضلا عن أنه عاد وإرتكب جريمة جديدة حيث دبر أمر هروب بوميلقار إلى نوميديا وبذلك زادت مخاوف روما من هذا الملك النوميدي الخطير وأعلنت الحرب عليه من جديد^(٢) .

أنتهت مهمة يوجورتا في روما وقرر الرحيل تنفيذا لأوامر مجلس الشيوخ وعندما غادر روما نظر خلفه في سخرية قائلاً مدينة للبيع مقدر لها الزوال السريع اذا وجدت من يشتريها .

"Urbem Venalem et mature Perituram Si emptorem invenerit"^(٣) وفي عام ١١٠ ق.م أرسلت روما القنصل البينوس Albinus يساعده شقيقه أولوس Aulus الذي تولى قيادة الجيش بعد رحيل البينوس إلى روما لحضور انتخابات السنة التالية وحاول أولوس الإستيلاء على مدينة سوثل Suthul^(٤) ولكن يوجورتا استطاع أن يصرف نظر القائد الروماني عن إحتلال المدينة بحجة عقد هدنة معه ودفع مبلغا كبيرا من المال ، وبعد أن تمكن من إبعاده عن المدينة حاصر معسكره وهزمه هزيمة شنعاء ، وفرض عليه أقصى الشروط منها: رهنة إطلاق سراح الجيش الروماني بمغادرة أولوس نوميديا خلال عشرة أيام وأضطر القائد الروماني إلى قبول شروط يوجورتا^(٥) .

Livy . lx. lxvi.

Sallust. Bell. Jug. xxxv.

Ibid. xxxv.

Sallust. Bell. Jug. xxxviii.

(١)

(٢)

(٣)

(٤) لم يتحدد موقع هذه المدينة .

(٥)

نزلت أخبار هذه الهزيمة على الرومان نزول الصاعقة وحاول مجلس الشيوخ تعيين قائداً ماهراً ليتمكن من هزيمة يوجورتا. وبحلول عام ١٠٩ ق.م تولى ميتلوس Me-tellus^(١) فصل هذا العام قيادة الجيش في أفريقيا يساعده ماريوس Marius^(٢) وكان ميتلوس مثالا للنزاهة والشجاعة حاول يوجورتا رشوته وإغراءه بالمال دون جدوى ، وقام هذا الفصل بإدارة العمليات العسكرية في مملكة نوميديا، وتمكن بعد فترة قليلة من الوقت زعزعة أركان سلطة يوجورتا، وجاب ميتلوس المملكة طولا وعرضا واستولى على مساحات كبيرة من أرض نوميديا، ومع أنه أخفق في بعض الحملات وخاصة على المدن الحصينة مثل زما Zama إلا أن وجود ميتلوس تسبب في إنكماش نشاط يوجورتا ، حتى أنه سعى أكثر من مرة إلى الحصول على السلام ولكن ميتلوس رفض وصمم على هزيمته^(٣) .

وفي نهاية عام ١٠٩ ق.م تمكن ميتلوس من الإستيلاء على مدينة سيكا Sicca^(٤) وحاول إحتلال مدينة فاجا في هذا الوقت ولكنه فشل وعندما إنتهت مدة فصليته جدد له مجلس الشيوخ قيادة الجيش لمدة أخرى تحت إسم بروقنصل Pro-consul ، وقام ميتلوس بإحراز الانتصارات على يوجورتا حتى إضطره إلى اللجوء عند الجيتوليين^(٥) وبعد ذلك تمكن ميتلوس من الإستيلاء على مدينة فاجا ووضع بها حامية لإمداده بما يحتاجه من غلال وضروريات الحرب^(٦) .

وفي نهاية عام ١٠٨ ق.م حاول ماريوس الرجوع إلى روما أكثر من مرة لترشيح نفسه للقنصلية ولكن ميتلوس كان يرفض هذا المطلب، فآخذ ماريوس يحرض الجنود عليه، وإتهمه بإطالة مدة الحرب متعمدا ليتمكن بممارسة السلطة البروقنصلية،

(١)

Livy . lx. lxxv.

(٢)

Plutarch. Marus . ix ., Sulla. iii. ق.م ١٠٧

(٣)

Sallust. Bell. Jug. xlvi.

(٤) تقع مدينة سيكا Sicca (الكف Kef) علي وادي ميثل Muthul راجع موقع المدينة على الخريطة رقم (٥) بملحق البحث .

(٥)

Sallust. Bell. Jug. liv.

(٦)

Ibid. xlvii.

وكان ماريوس يعتمد إثارة التجار الإيطاليين الذين تكبدوا خسائر كبيرة أثناء هذه الحرب لعدم تمكنهم من ممارسة نشاطهم التجاري ، وأمام إصرار ماريوس سمح له بالذهاب إلى روما لترشيح نفسه للقنصلية ، وفعلا تقدم ماريوس للترشيح ونال ثقة العامة الذين أيدوه في الانتخابات تأييدا كبيرا بل أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل كانت المطالبة بتولي ماريوس قيادة الجيش في نوميديا^(١) .

علم ميتلوس بما حدث في روما وأن ماريوس أصبح قنصلا عام ١٠٧ ق.م وقائدا للجيش في نوميديا ففقد حماسه ولم يقم بأي نشاط ضد يوجورتا واحتفظ بما حققه من مكاسب وانتصارات ثم توجه إلى روما فور وصول ماريوس إلى أفريقيا، ووجد شعبيته عند العامة زادت إلى درجة كبيرة لا تقل عنها في مجلس الشيوخ^(٢) .

وخلال هذه الأحداث بدأت موريتانيا تحتل مكانها في التاريخ الروماني ، وفي بداية حرب يوجورتا عام ١١٢ ق.م كان يحكمها الملك بوخوس Bocchus الذي ذكر عنه سالوست أنه كان لا يعرف عن الرومان سوى إسمهم والذي كان الرومان أنفسهم يجهلون اسمه في السلم أو الحرب^(٣) .

وأراد ماريوس أن يحقق شهرة عالية مثل التي كان عليها ميتلوس فعمد إلى التخريب والتدمير وهاجم المدن الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى مشارف مملكة موريتانيا ودخل بوخوس مع ماريوس في معاهدة حسن جوار ولكنه عاد مرة أخرى وتحالف مع يوجورتا ولم يتحول عن محالفته إلا بفضل دبلوماسية سلا Sulla^(٤)، وكان ماريوس شديد الرغبة في الاستيلاء على مدينة قفصة Capsa القريبة من سيكا السالفة الذكر نظرا لموقعها الممتاز الذي كان يستخدمه يوجورتا ضد الرومان . وتمكن

Sallust. Bell. Jug. lxxxviii.

Ibid.xxix.

(١) من الذين ساعدوا ماريوس في حربه ضد يوجورتا تولى القنصلية في روما عام ٨٨ ق.م كان له

(٢) Sulla من الذين ساعدوا ماريوس في حربه ضد يوجورتا تولى القنصلية في روما عام ٨٨ ق.م كان له

(٣) إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

وكان ماريوس يعتمد إثارة التجار الإيطاليين الذين تكبدوا خسائر كبيرة أثناء هذه الحرب لعدم تمكنهم من ممارسة نشاطهم التجاري ، وأمام إصرار ماريوس سمح له بالذهاب إلى روما لترشيح نفسه للقنصلية ، وفعلا تقدم ماريوس للترشيح ونال ثقة العامة الذين أيدوه في الانتخابات تأييدا كبيرا بل أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل كانت المطالبة بتولي ماريوس قيادة الجيش في نوميديا^(١) .

علم ميتلوس بما حدث في روما وأن ماريوس أصبح قنصلا عام ١٠٧ ق.م وقائدا للجيش في نوميديا ففقد حماسه ولم يقيم بأي نشاط ضد يوجورتا واحتفظ بما حققه من مكاسب وانتصارات ثم توجه إلى روما فور وصول ماريوس إلى أفريقيا، ووجد شعبيته عند العامة زادت إلى درجة كبيرة لا تقل عنها في مجلس الشيوخ^(٢) .

وخلال هذه الأحداث بدأت موريتانيا تحتل مكانها في التاريخ الروماني ، وفي بداية حرب يوجورتا عام ١١٢ ق.م كان يحكمها الملك بوخوس Bocchus الذي ذكر عنه سالوست أنه كان لا يعرف عن الرومان سوى اسمهم والذي كان الرومان أنفسهم يجهلون اسمه في السلم أو الحرب^(٣) .

وأراد ماريوس أن يحقق شهرة عالية مثل التي كان عليها ميتلوس فعمد إلى التخريب والتدمير وهاجم المدن الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى مشارف مملكة موريتانيا ودخل بوخوس مع ماريوس في معاهدة حسن جوار ولكنه عاد مرة أخرى وتحالف مع يوجورتا ولم يتحول عن محالفته إلا بفضل دبلوماسية سلا Sulla^(٤)، وكان ماريوس شديد الرغبة في الاستيلاء على مدينة قفصة Capsa القريبة من سيكا السالفة الذكر نظرا لموقعها الممتاز الذي كان يستخدمه يوجورتا ضد الرومان . وتمكن

Sallust. Bell. Jug. lxxxviii.

Ibid.xxix.

(١) من الذين ساعدوا ماريوس في حربه ضد يوجورتا تولى القنصلية في روما عام ٨٨ ق.م كان له

(٢) Sulla من الذين ساعدوا ماريوس في حربه ضد يوجورتا تولى القنصلية في روما عام ٨٨ ق.م كان له

(٣) إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٤)

(٤)

(٤)

Plutarch. Sulla. iii., Livy. iv. lxvi.

ماريوس من دخول المدينة وتخريبها وسمح لجنوده بنهب ما فيها دون أن يفقد رجلا واحدا^(١).

وبعد إنقضاء مدة قنصلية ماريوس ظل قائداً للجيش الرومانية في أفريقيا تحت لقب بروقنصل. أما يوجورتا فقد ظل شريداً حتى هذا الوقت ولكنه استطاع أن يتحالف مع بوخوس ، ومع تردد بوخوس وخوفه من الرومان الذين إقتربوا من حدود مملكته ، أغراه يوجورتا بالهدايا ووعدته بثلاث مملكة نوميديا إذا تمكن من طرد الرومان من أفريقيا، وأغرته هذه الوعود الملك بوخوس وأمد يوجورتا بعدد كبير من الرجال، وتمكن الجيش النوميدي والموري من القيام بحملة غير ناجحة على قوات ماريوس بغتة فأحدثت فيه الإرتباك ولكن مهارة الجنود الرومان وشجاعتهم مكنتهم من الصمود أمام القوات الأفريقية، وأحس بعدها ماريوس أنه لابد من التفريق بين بوخوس ويوجورتا فضلاً عن ضرورة تكثيف الجهود ضد هذه الجيوش الجديدة^(٢).

دارت بعد ذلك معركة بين الجانبين أظهر فيها كل من ماريوس وسلا مهارة فائقة وبراعة في التنظيم العسكري وتمكنا في النهاية من هزيمة يوجورتا وبوخوس هزيمة كبيرة، ومن المحتمل أن بوخوس قد رأى أن لا فائدة من إستمرار التحالف مع يوجورتا وأنه من الأفضل طلب الصلح وحسن الجوار من الرومان فأرسل إلى ماريوس الذي كان يقيم في كيرتا وفدا من الموريين أبلغوه بإسم الملك بوخوس أن يرسل مندوبين عنه للتفاوض في مصالح الملك والشعب الروماني، وأرسل ماريوس على الفور سلا ومنليوس Manlius للتفاوض مع بوخوس ، وإنتهى الأمر بأن طلب بوخوس من مجلس الشيوخ الروماني عقد معاهدة صداقة وكان له ما أراد^(٣).

وبعد أن سيطر ماريوس على الموقف في مملكة نوميديا وعجز يوجورتا عن إحراز أى تقدم ضد الرومان وفشل في كسب التحالف مع ملك الموري بوخوس بعد أن

(١)

Sallust. Bell. Jug. xci.

(٢)

Ibid. xcvi.

(٣)

Sallust. Bell. Jug. cii.

إنضحت نواياه وتحالفه مع الرومان، مال يوجورتا إلى السلم، وطلب من بوخوس ترتيب لقاء بينه وبين سلا حتى ينهيا الموقف سلما. واستجاب بوخوس إلى هذا المطلب وحدد مكان الاجتماع وزمانه وعندما وصل يوجورتا تم القبض عليه وسلم إلى سلا،^(١) وبذلك إنتهت حرب يوجورتا، وأقام ماريوس في العام التالي ١٠٤ ق.م احتفالا بالنصر على مملكة نوميديا وكان يسير يوجورتا أمام موكب النصر^(٢).

النتيجة المباشرة لحرب يوجورتا أن أصبحت نوميديا كلها تحت رحمة روما وهي ذات مساحة شاسعة ولا يمكن التحكم فيها إلا بجيش ضخم وإنشاء مواقع حصينة على الحدود الغربية والجنوبية، ويلاحظ على ذلك أن روما لم تحاول أن تزيد من أملاكها في أفريقيا، واكتفت بوضع عدداً من الرؤساء على نوميديا، فكان الملك غودة Gauda شقيق يوجورتا غير الشرعى على المنطقة التي كان يسيطر عليها أدهريال، وهذا الملك كان قد إستجاب لاقتراحات ماريوس بأن يكون ملكا على نوميديا بدلا من يوجورتا أثناء محاولة ماريوس إثارة الجنود والتجار والنوميديين من أسرة ماسينسا على ميتلوس،^(٣) أما الجزء الغربى فحصل عليه بوخوس جزاء مساعدته للرومان في القبض على يوجورتا، وعادت روما مرة ثانية تحصل عل ما تحتاجه من الموارد الاقتصادية من مملكة نوميديا دون عناء إلى أن قامت الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر فكان لشمال أفريقيا وضع خاص^(٤).

Sallust. Bell. jug.. cxiii.

Ibid. cxiv ; Livy . lx. lxvii.

Sallust. Bell. Jug. lxv.

Gsell.S.op.cit. VII. P. 276 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الفصل الثالث

الحرب الأهلية فى روما وأثرها على الأوضاع
فى شمال أفريقيا

- شمال أفريقيا قبل نشوب الحرب الأهلية.
- حملة قوريو على أفريقيا.
- حملة قيصر على أفريقيا.



الفصل الثالث

الحرب الأهلية في روما وأثرها على الأوضاع في شمال أفريقيا

تأثرت منطقة شمال أفريقيا بأحداث الحرب الأهلية في روما بحكم العلاقة بين المنطقتين وسوف ألقى الضوء على أوضاع شمال أفريقيا قبل نشوب الحرب الأهلية في روما لبيان أثر هذه الحرب على هذه البلاد.

شمال أفريقيا قبل نشوب الحرب الأهلية:-

بعد القضاء على يوجورتا أصبحت نوميديا تحت رحمة روما ولما كان من المتعذر على روما السيطرة على مساحة شاسعة مثل مساحة نوميديا إلا بالاحتفاظ فيها بجيش ضخم وإنشاء مواقع حصينة على حدودها الجنوبية والغربية فإن روما فضلت أن تقسم مملكة نوميديا إلى عدد من الإمارات، فمنحت الجزء الغربي لبوخوس مكافأة على خيانتة لبنى جلدته يوجورتا، أما الجزء الشرقي من مملكة نوميديا فوضع تحت حكم أمير أحمق هو غودة Gauda حفيد ماسينسا والوريث الشرعي للعرش^(١).

ويلاحظ بشأن هذه التسوية عدة أمور منها: أن الرومان لم يحاولوا ضم أى أجزاء جديدة من مملكة نوميديا إلى الولاية الرومانية أفريقية، وربما يرجع ذلك الى أن روما اكتفت بالقضاء على يوجورتا وأطمأنت إلى حصولها على حاجتها من القمح والموارد الاقتصادية التي كانت تحصل عليها، والتي توقفت بسبب حرب يوجورتا، الأمر الثانى أن روما قد قصدت بتقسيم المملكة من جديد بين النوميديين من أحفاد ماسينسا، أن تظل هذه المنطقة موزعة بين عدد من الرؤساء حتى تضعف من قوة هذه المملكة المجاورة لولاية أفريقية الرومانية^(٢)، هذا فضلا عن أن روما لم تكن تسمح لأى قوة تسيطر على الشمال الشرقي الأفريقي، وهذا ما يبرر وجود بوخوس كملك على جزء من أراضي نوميديا وكان الأحق بهذا هو الملك غودة، وربما خشيت

Gsell. S. op. cit. VII. PP. 268, 276.

Appian. Bell. civ. I.26.

(١)

(٢)

أن وجود أحد الملكين منفردا في السلطة يمكنه من التمرد من جديد على روما، هذا في الوقت الذي عُرِف عن غودة بن مستنبعل أنه كان ضعيفا قليلا بإقامته بجوار الولاية الرومانية لا يمثل أى خطر بالنسبة لروما^(١).

حكم الملك غودة الجزء المحدد له من مملكة نوميديا، ومن المحتمل أن ابنه همبسال الثاني Hiempsal II قد شاركه حكم المملكة ويرجع ذلك إلى عدم تحديد المصادر للفترة التي انتهت فيها حكم غودة، ولكن المعروف أن فترة حكم همبسال الثاني تبدأ من عام ١٠٥ ق.م، وقد تكون هذه المشاركة قد بدأت منذ اليوم الأول لحكم غودة نظرا لضعفه ومرضه^(٢) ومن المحتمل أن همبسال الثاني كان يسيطر على مقاليد الحكم في مملكة نوميديا منذ الفترة التي وضعت فيها روما التسوية عقب حرب يوجورتا، وأمتدت مملكة همبسال الثاني من غرب كيرتا حتى ساحل سرت الصغرى كما كانت زاما إحدى عواصم المملكة، وظل هذا الملك مخلصا وطيئعا للسلطة الرومانية، وحافظ على هذه العلاقة الطيبة إلى أن عُرِف باسم الملك الحليف والصديق للشعب الروماني^(٣).

ويمكن التعرف على تاريخ شمال أفريقيا في هذه الفترة من خلال عدة أحداث قامت في هذا الوقت في روما أثناء الخلاف بين كل من سلا وخصومه السياسيين، وبطبيعة الحال فقد أثرت هذه الأحداث على شمال أفريقيا ومبعث هذا الخلاف أنه عندما حصل سلا في عام ٨٨ ق.م على قيادة الجيش الروماني في الشرق لمحاربة ميثراداتيس Mithradates ملك بونتس Pontus في آسيا الصغرى الذي خرج على طاعة الرومان، اتخذ التريون سولبيكيوس Sulpicius قرارا بإعفاء سلا من هذه المهمة وتكليف ماريوس بها، وعندما علم سلا بهذا الإجراء عاد إلى روما وقرر محاربة أنصار ماريوس وتشتيتهم، وأرغم مجلس الشيوخ على إصدار قرار بطرد ماريوس من روما، ولكن ماريوس كان قد هرب إلى أفريقيا أما سولبيكيوس فقد قتل على يد أحد أتباعه^(٤).

(١) Sallust. Bell. Jug. lxxv.

(٢) Mazard. J. op. cit. P.45.

(٣) Ibid. P.45.

(٤) Livy. Lx. lxxvii; Appian. Bell. Civ. I. 77.

ويرجح البعض أن ماريوس لم يتوجه إلى ولاية أفريقيا مباشرة ولكنه أقام في إحدى الجزر المواجهة لساحل أفريقيا وربما كانت جزيرة ميننكس Meninx^(١)، أو يحتمل أنه ذهب إلى الموقع القديم لمدينة قرطاجة ويرجع ذلك إلى خوفه من القبض عليه فلم يتوجه إلى أرض الولاية الأفريقية^(٢) ولكنه عاد إلى إيطاليا بعد أن غادر سلا مدينة روما لمحاربة ميثراداتيس^(٣) وعاش ماريوس بقية حياته في روما أثناء غياب سلا عن إيطاليا إلى أن توفي في أوائل عام ٨٦ ق.م^(٤).

لم يبق سلا حتى هذا الوقت بمطاردة خصومه السياسيين ولكن عندما تمرد دوميتيوس حاكم ولاية أفريقيا واتحد مع حيرياص Hiarbas (Iarbas) أحد أحفاد ماسينسا وكان قد تجرأ وخلع همبسال الثاني Hiempsal II ملك نوميديا، عندئذ بدأ خوف سلا من التكتل ضده في أفريقيا مما قد يحرمه موارد القمح التي كانت تغذي مدينة روما، وعلى الفور أصدر الأوامر لبومبي Pompey^(٥) بالإضافة إلى ما صدر إليه من أوامر مجلس الشيوخ بترك صقلية والعبور إلى أفريقيا لمحاربة دوميتيوس وحليفة حيرياص وما إنضم إليهم من قوات ماريوس منذ عام ٨٧ ق.م.

ترك بومبي جزيرة صقلية بعد أن أقام صهره المسمى مميوس Memmius حاكماً على الجزيرة وبعد أن نظم شئونها توجه إلى أفريقيا ووصل إلى أوتيكا عاصمة الولاية الرومانية في عام ٨١ ق.م، وكان يرافقه حوالي ست فرق "Legiones" كاملة، ودارت المعركة بين بومبي ودوميتيوس، وتمكن بومبي من قتل دوميتيوس وأسر جنوده، أما حيرياص فقد تخلى عن محالفته لدوميتيوس، وحاول الهرب في مملكة موريتانيا ولكن بومبي ظل يطارده حتى تمكن من القبض عليه وسلمه لهمبسال الثاني ليتولى

(١) جزيرة ميننكس Meninx تقع في مواجهة ساحل سرت الصغرى وهي جزيرة مزدهرة بها عدد من المدن الصغيرة. راجع موقعها على الخريطة رقم (٣) بالملحق.. 17. Strabo. xvii. iii.

Gsell. S. op. cit. vii. P.277.

Plutarch. Pompey. ix.

(٤) إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص ٣١٨.

(٥) تولي بومبي القنصلية أول مرة عام ٧٠ ق.م.

محاكمته^(١)، وبهذا قضى بومبي على تمرد حاكم ولاية أفريقيا وأعاد مملكة نوميديا لهمبسال الثاني مرة ثانية^(٢)، وقضى بومبي عدة أيام في إصطبياد الفيلة والأسود، ثم عاد إلى أوتيكا عاصمة الولاية الرومانية تمهيدا لعودته إلى إيطاليا^(٣).

وبعد حملة بومبي حكم همبسال الثاني ما يقرب من عشرين سنة أخرى على الأقل، وربما كانت سنة إنتهاء حكم همبسال الثاني عام ٦٠ ق.م^(٤).

وبعد موت همبسال الثاني إنتقل الحكم الى الملك يوبا Juba والذي عرف باسم يوبا الأول والذي كان يعاصر قيصر أثناء حملته الأفريقية تمييزا له عن إبنه يوبا الثاني Juba II الذي عاصر أغسطس Augustus تمكن يوبا الأول من تنظيم مملكة نوميديا وقضى على المطالبين بالعرش من أحفاد ماسينسا وكان على رأسهم شخص يدعى ماسينثا Masintha الذي جدد الصراع على حكم المملكة بعد إنتهاء تمرد حيرباص السابق الذكر^(٥) وإستطاع يوبا أن يسترد الجزء الغربى من نوميديا الذى كان يسيطر عليه بوخوس منذ إنتهاء حرب يوجورتا فضلا عن المنطقة التى كان يحكمها والده همبسال الثاني وبذلك أمتدت دولة يوبا الأول من شرق وجنوب الولاية الرومانية أفريقيا الى حدود مملكة موريتانيا وهذه المنطقة عرفت فيما بعد بإسم ولاية أفريقيا الجديد Provincia Africa Nova ابتداء من عام ٤٦ ق.م بعد إنتصار قيصر فى أفريقيا تمييزا لها عن ولاية أفريقيا الرومانية التى أنشئت فى عام ١٤٦ ق.م وعرفت باسم ولاية أفريقيا القديمة Provincia Africa vetus، وكما تذكر المصادر فإن يوبا الأول كانت له أكثر من عاصمة مثل زاما Zama وكيرتا Cirta وهذا يدل على أن دولته كانت واسعة جدا، وهذا الاتساع ربما يكون أحد الأسباب فى متاعب قيصر أثناء حملته الأفريقية^(٦).

Plutarch. Pompey. xi.

Cicer. Leg. Agra. I. iii. 11.

Plutarch. Pompey. xi

Mazard. J. op. cit. P. 45.

Ibid. P. 49.

Caesar. Bell. Afri. 91-94.; Strabo. xvii. iii.9.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

وبالإضافة إلى مملكة نوميديا الواسعة التي كانت تحت سيطرة يوبا الأول خلال الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر. كانت هناك مملكة صغيرة محصورة بين مملكة نوميديا وموريتانيا، هذه المملكة كانت تحت سيطرة ماستينسا Mastenissa (٨١-٤٨) ق.م وهذا الملك كان من أنصار بومبي تحالف مع يوبا ضد قيصر ولكنه اختفى تماما من المنطقة بعد فترة قليلة من الحملة الإفريقية، ربما يكون قتل في إحدى المعارك، وهذا الملك يطلق عليه تجاوزا اسم ماسينسا الثاني Masinissa II ولكن مصادر العملة تؤكد أن اسمه ماستينسا حيث أن اسمه على العملات التي صدرت في هذه الفترة كانت تحمل اسم Mstns بينما ماسينسا كتبت Msnsn ولا جدال حول أنه والد الملك أرابيون Arabion الذي هرب إلى أسبانيا ليواصل الصراع إلى جانب أنصار بومبي ضد قيصر^(١).

أما عن وضع مملكة موريتانيا خلال الفترة التي سبقت الحرب الأهلية فكانت تحت سيطرة الملك بوخوس Bocchus الكبير من (١١٨ ق.م - ٨١ ق.م) وذكرته المصادر أنه الحليف والصديق للشعب الروماني بسبب خيائنه ليوجورتا، وكما تبين الأحداث أن العلاقة بين موريتانيا وروما كانت طيبة خلال هذه الفترة ذلك أن أحد مستشاري بوخوس ويسمى ماجدولوسة Magudulsa نازعه السلطة ثم اضطُر إلى الهروب إلى روما، ولكن لفيوس دروس Livius Drusus تربيون العامة لعام ٩١ ق.م قبض عليه وسلمه لبوخوس^(٢).

بعد وفاة بوخوس الكبير في عام ٨١ ق.م انقسمت مملكة موريتانيا: تولى القسم الشرقي منها ابنه بوجود Bogud واستمر في حكم هذه المنطقة إلى أن خلفه ابنه بوخوس الشاب الذي حكم موريتانيا الشرقية من عام ٤٩ ق.م إلى عام ٣٣ ق.م، أما القسم الغربي من مملكة موريتانيا بعد بوخوس الكبير فقد خضعت إلى عدد من الملوك منهم أفتاس Iphthas واسكاليس Ascalis ومدة حكم كل ملك من هذين الملكين غير

Mazard. J. op. cit. P.55.

(١)

Livy. Iv. lxx; Gsell. S. op. cit. VII. P.269.

(٢)

معروفة على وجه التحديد ولكن المعروف أنه بعد حكم اسكاليس تولى الملك بوجود مملكة موريتانيا الغربية في الفترة من عام ٤٩ ق.م حتى عام ٣١ ق.م^(١).

وفي فترة الحكومة الثلاثية الأولى (٦٠ ق.م) اقتسم قيصر Caesar وبومبي Pompey وكراسوس Crassus الولايات فيما بينهم فكانت أفريقيا من نصيب بومبي ولما نشب النزاع بين بومبي وقيصر وتحدد مصير بومبي بهزيمته في معركة فرسالوس Pharsalus^(٢) عبر قيصر البحر المتوسط وأقدم على غزو أفريقيا. وفي الفترة السابقة على الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر حدثت صراعات داخلية في مملكة موريتانيا بين كل من بوخوس وبوجود تدخل فيها ستيوس Sittius^(٣) هذا المغامر الإيطالي الذي استطاع أن يجمع عددا كبيرا من الجنود المرتزقة من إيطاليا وأسبانيا وموريتانيا أثناء سنوات طويلة من ٦٤-٤٧ ق.م. ثم انضم إلى أحد ملكي موريتانيا حسب المكاسب التي يمكن أن تعود عليه هو^(٤).

(١)

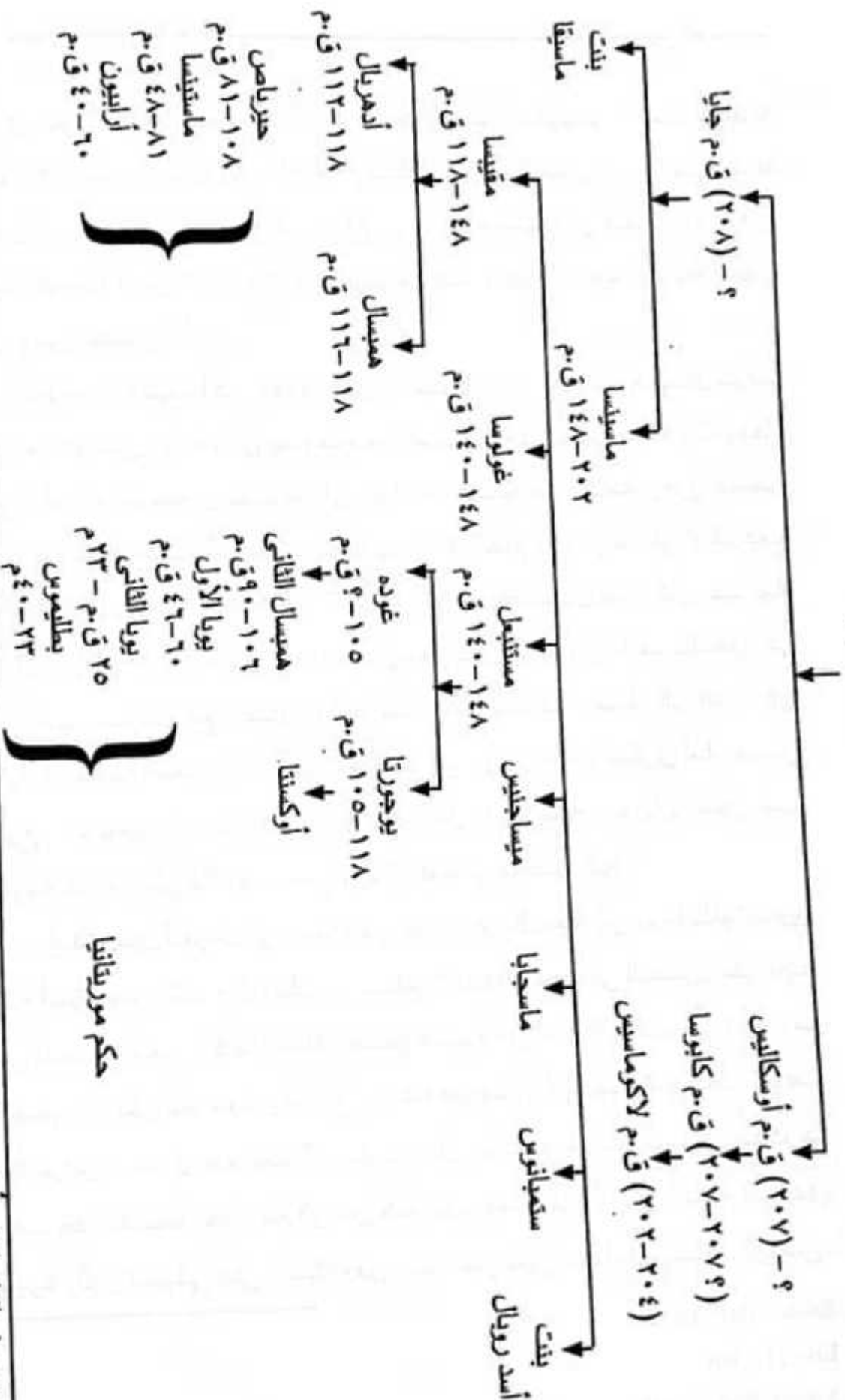
Mazard. J. op. cit. P.60.

(٢) معركة فرسالوس : Pharsalus التي نشبت بين بومبي وقيصر في أغسطس من عام ٤٨ ق.م وفرسالوس أحدي مدن إقليم تماليا في بلاد اليونان. عبد اللطيف أحمد علي. مرجع سابق. ص ٢٥٣.

(٣) كان ستيوس Sittius أحد الضباط المغامرين فر من إيطاليا بعد مؤامرة كانتلينا في مطلع عام ٦٤ ق.م، وكان مدينا لكثير من الإيطاليين بديون كبيرة لم يستطع أن يسدها ولذلك لاحقته دائلوه، وتمكن أحد أصدقائه من بيع ممتلكاته لتسديد ديونه. وبعد مروره في أسبانيا انتقل إلى أفريقيا وظل هناك فترة طويلة واشترك في الحرب الأفريقية إلى جانب قيصر، وعندما انتصر قيصر استفاد من النسوة التي وضعها في نهاية الحرب. (الفصل الرابع من الرسالة Caesar. Bell. Africa. 25.

(٤)

ملوك نوميديا



وردت هذه القائمة في أحد مصادر العملة Mazard. J. op. cit. p.28 أما عن السنوات التي كتبت أمام الملوك فهي سنوات حكم الملوك النوميديين، أو سنوات الصراع التي خاضوها فيما بينهم أرض روم.

حملة قوريو على أفريقيا:-

قامت الحرب الأهلية بين بومبي وقيصصر في بداية عام ٤٩ ق.م وفي السنة السابقة على الحرب كانت ولاية أفريقيا تحت قيادة البروبرايتور أتيوس فاروس Attius Varus المناصر لبومبي، والذي كلفه مجلس الشيوخ الروماني بإعتراض طريق قيصر في عبوره لنهر الريبكون Rubicon^(١) عندما عزم على دخول إيطاليا رغم اعتراض مجلس الشيوخ على دخوله بكامل جيشه، وعندما فشل فاروس في منع قيصر من دخول إيطاليا عاد مرة أخرى الى ولاية أفريقيا^(٢).

ومنذ بداية الحرب الأهلية كان أنصار بومبي يضعون الإستعدادات الكافية لحماية أفريقيا ضد أى هجوم من قيصر، وبالفعل كان تحت قيادة فاروس ثلاث فرق Legiones في ولاية أفريقيا، فضلا عن فرقة Legion كانت موجودة في أفريقيا منذ فترة ومكلفة بالمحافظة على أمن الولاية، وكانت إحدى فرق فاروس تحت قيادة كونسيديوس Considius^(٣) الموالى لبومبي وحاكم ولاية أفريقيا السابق، وكان مقر هذه الفرقة مدينة هادروميتوم (سوس) أما الفرقتان الثانية كانتا في مدينة أوتيكا عاصمة الولاية، ووضعت كل المدن الساحلية في حالة تأهب ضد أى هجوم^(٤).

وفي هذا الوقت كان عدد كبير من النبلاء من أنصار بومبي قد هاجر إلى أفريقيا، أما فاروس فقد أتم تحالفه مع الملك يوبا (الأول) ملك نوميديا، ويرجع السبب في عدا يوبا لقيصر لأمرين: الأول عندما كان يوبا شابا ويشارك والده همبسال الثانى السلطة في مملكة نوميديا أرسله والده إلى روما لكي يطلب تسليم أحد النوميديين المطالبين بالعرش وهو ماسينثا Masintha وعلى الرغم من حصول يوبا على تصريح من مجلس الشيوخ باستلام ماسينثا إلا أن قيصر قد عارض هذا الرأي

(١) نهر الريبكون هو الحد الفاصل بين إيطاليا وبلاد غالة وهذا النهر كان لا يعبره الجيش الا بإذن مجلس الشيوخ ولكن قيصر تجرأ في عبوره للزحف على روما رغم معارضته في ذلك.

(٢) Livy. Iv. cx.

(٣) Caesar, Bell. Afri. 1.

(٤) Appian. Bell. Civ. ii. 44.

ومنع يوبا من حصوله على هذا المتمرد^(١)، الأمر الثاني أن قوريو كان قد تقدم باقتراح في عام ٥٠ ق.م عندما كان نقيباً للعامة بضم مملكة نوميديا إلى الولاية الرومانية ولم تعرف الأسباب التي دعت إلى طرح ذلك الاقتراح ولماذا لم ينفذ؟! ولكن هذا الاقتراح كان أحد الأسباب في عداوة يوبا لقيصر^(٢). فضلا عن إعتدائه على منطقة لبكس الكبرى حليفة وصديقة روما منذ عام ١١١ ق.م. وربما يكون سبب أطماعه في هذه المنطقة أنها خارج أراضى ولاية أفريقيا، ولكن مجلس الشيوخ أجبره على رد ما حصل عليه من غزواته^(٣).

وعندما سيطر قيصر على إيطاليا قرر سحق كل فرق أنصار بومبي في أسبانيا قبل أن يطارد بومبي في الشرق وكان عليه ألا يترك أنصار بومبي حتى يتكثروا ويعرضوا مدينة روما للجوع، ولذلك قام بنفسه على رأس حملة إلى أسبانيا حيث كانت بعض قوات بومبي تحت قيادة أفرانيوس Afranius وبترئوس Petreius وكان تحت قيادتهما خمس فرق^(٤) كما أرسل حملات معائلة إلى باقى الولايات وخاصة التي كانت تغذى روما بمواردها من القمح ومنها ولاية أفريقيا، وعلى الفور أصدر تعليماته إلى مساعده جايوس قوريو Gaius Curio بشن الحرب والقيام بحملة على أنصار بومبي في أفريقيا^(٥).

نفذ قوريو تعليمات قيصر وتوجه بسرعة إلى جزيرة صقلية واحتلها دون عناء بعد أن تخلص منها كاتو^(٦) الأصغر الذي كان في سيراكوز بناء على أوامر مجلس

Mazard. J. op. cit. P. 49.

(١)

Dio Cassius. Xli. 41. 3.

(٢)

Mazard. J. op. cit. 49.

(٣)

Cary. M. op. cit. P.401.

(٤)

Dio Cassius. XL. 60. 2.

(٥)

(٦) هو كاتو الأصغر (٩٥ ق.م - ٤٦ ق.م) وعرف بكانو الاوتيكي Cato uticensis انضم إلى بومبي أثناء الحرب

الأهلية، وانتقل إلى أفريقيا بعد هزيمة بومبي في فرسالوس، وكانت مدينة أوتيكا تحت سيطرته أثناء هذه الحرب.

وبعد انتصار قيصر أثر الانتحار على أن يقع في يد أعدائه. راجع شكل رقم (١٨). Caesar, Bell. Afri 24.;

الشيوخ، ولكنه ما أن علم بقدم قوات قيصر بقيادة قوريو غادر المدينة متجها صوب الشرق ليلحق ببومبي. وبعد ذلك تقدم قوريو بأقصى سرعة ناحية أفريقيا على رأس فرقتين من فرقه الأربعة وبلغ عدد الجيش خمسمائة من الفرسان Equites وأكثر من عشرة آلاف جندي وكان مزودا بسفن الحرب وناقلات الجنود واستمر العبور من صقلية إلى شواطئ أفريقيا يومين وثلاث ليال، وفي هذا الوقت قام أنصار بومبي باحتلال شبه جزيرة رأس بون حتى يمنعوا قوريو من الإبرار عليها، ولذلك فقد اضطر إلى النزول في مكان يسمى أنكوليريا Anquillaria بين رأسين مرتفعين في خليج شمال شرق شبه جزيرة رأس بون، ثم إتجه بعد ذلك إلى معسكر كورنيليا Cornelia الذي أنشأه سقبيو الأفريقي أثناء الحرب البونية الثانية في شرق مدينة أوتيكاً^(١).

في هذا الوقت إنضم جميع أنصار بومبي إلى جانب فاروس في مدينة أوتيكاً في الوقت الذي قام قوريو بتنظيم قواته وإمتد معسكره إلى جنوب شرق المدينة ودارت معركة بين الجانبين تمكن قوريو فيها من هزيمة فاروس وحاول ضرب الحصار على أوتيكاً ولكنه لم يتمكن من ذلك لعدة أسباب منها: وجود أنصار بومبي في هذه المدينة لفترة طويلة مما أمكنهم تحصين المدينة تحصينا قويا، وعلى الرغم من أن سكان المدينة كانوا أنصارا لقيصر إلا أنهم لم يتمكنوا من فتح المدينة أمام قوات قوريو، السبب الآخر أن الملك يوبا ملك نوميديا كان قد تقدم مع قوات كبيرة من المشاة والفرسان لمساعدة فاروس في أوتيكاً، ولذلك فضل قوريو ألا يضع جيشه الصغير بين جيشين كبيرين وأنسحب إلى معسكر كورنيليا وأحس بضعف قواته فطلب الإمدادات من صقلية^(٢).

ظل قوريو مرابطا في معسكر كورنيليا إستعدادا للقيام بعمل شجاع يعزز بعض الإنتصار الذي حققه على فاروس وكان هذا قد جمع قوات كبيرة في أوتيكاً، ولكن ظهور سابورا Saburra قائد قوات الملك النوميدي يوبا كان بالنسبة لأنصار بومبي قوة جديدة

appian. Bell. civ. ii. 44.; Gsell. S. op. cit. viii. P.11.

Dio. Cassius. xli. 42.1.

(١)

(٢)

أعطتهم قوة الدفع لمواصلة القتال أمام قورريو، وكانت بالنسبة لقورريو حشدا جديدا أضعف أى عمل دفاعى حاول القيام به، وفعلًا تحققت نظرة الجانبين لأهمية اشتراك قوات يوبا عندما دارت المعركة بين أنصار بومبى بقيادة فاروس وأنصار قيصر بقيادة قورريو، حيث تقدم يوبا وسابورا من جانب، وفاروس من جانب، وأطبقوا على جيش قورريو، وفى البداية تمكن قورريو من قتل بعض الجنود النوميديين، ولكن سابورا أستطاع أن يستدرج قورريو إلى ساحل نهر مجردة وتمكن من محاصرة قوات قورريو من كل جانب وفى هذه المعركة قتل قورريو نفسه والعديد من قواته، وقطعت رأس نائب قيصر وأرسلت إلى يوبا عدو الشعب الرومانى واعترف بجاريه بوخوس وبوجود^(١).

بعد مقتل قورريو أدرك قيصر أن روما سوف تحرم من قمح ولاية أفريقيا وكان أمامه أحد أمرين: أما أن يتابع الصراع مع بومبى فى الشرق، أو يستولى على ولاية أفريقيا بنفسه ولكنه رأى أن القضاء على خطر بومبى وأنصاره فى الشرق واستعادة كل ولايات الشرق إلى قبضته أهم من ذهابه إلى ولاية أفريقيا، كما كان ينوى تخليص الولاية من أنصار بومبى فى وقت لاحق^(٢)، ولذلك بعد أن قضى على فرق بومبى فى أسبانيا لم ينس أن يتابع مطاردة أنصار بومبى فى أفريقيا وكلف التربيون (نقيب العامة) كاسيوس لينجنىوس Cassius longinius حاكم ولاية أسبانيا البعيدة بالعبور الى أفريقيا لمحاربة الملك يوبا ملك نوميديا وأنصار بومبى فى ولاية أفريقيا وترك له أربع فرق وآلاف من الفرسان، وقام لينجنىوس بعمل الاستعدادات اللازمة وكوّن أسطولاً من مائة سفينة من ناقلات الجنود وكثيراً من المؤن وعبر موريتانيا ثم نوميديا ولكنه ما أن وصل إلى ولاية أفريقيا حتى تعرض للهزيمة فعاد إلى أسبانيا^(٣).

(١) apian. Bell. Civ. ii. 45.; Dio Cassius xli. 42. 7.

(٢) Suetonius, Deified Julius. xxxv. 2.

(٣) Gsell. S. op. cit. viii. P.26.

ومن المحتمل أن كاسيوس لينجنوس كان قد تمكن من الحصول على بعض المساعدات من ملوك موريتانيا ولكنه على ما يرجح أنه لم يتمكن من اجتياز مملكة نوميديا حتى يصل إلى ولاية أفريقيا عن طريق البر، ومن ثم إستخدام، البحر لنقل جنوده إلى أفريقيا وكان مرور قوات قيصر على موانئ يوبا يعرضها للخطر مما سبب فشل غزو ولاية أفريقيا عن طريق أسبانيا، وبعد هذه الحملة الفاشلة التي أعقبت مقتل قوريو في أفريقيا ظلت الولاية الرومانية أفريقيا بيد أنصار بومبي فترة طويلة حتى إنتهى قيصر من هزيمة بومبي وتنظيم ولايات الشرق، وبعد ذلك قاد حملته الأفريقية. حملة قيصر على أفريقيا:-

بعد معركة فرسالوس هرب بومبي إلى الشرق إلى سواحل آسيا الصغرى وكان برفقته زوجته كورنيليا Cornelia أما ابنه سكستوس بومبيوس Sextus Pompeius فقد هرب إلى جزيرة قبرص^(١)، وحتى هذا الوقت لم يحدد بومبي إلى أين سيذهب للبحث عن المأوى، ولم يكن في قدرته الحصول على قوات جديدة لمواصلة الصراع مع قيصر، أشار عليه البعض أن يذهب إلى أفريقيا حيث يوجد العديد من أنصاره الذين كانوا يستقرون فيها منذ فترة سابقة على الحرب الأهلية فضلا عن مساعدة يوبا الأول ملك نوميديا الذي وسع هوة الخلاف بينه وبين قيصر بقتله قوريو، ولكن بومبي قرر الهروب إلى مصر^(٢).

كانت مصر تعاني في هذه الفترة أزمة داخلية نتجت عن الخلافات بين أبناء بطليموس الثاني عشر الشهير بالزمار الذي توفي في عام ٥١ ق.م، وترك وصية أن يخلفه على عرش مصر أكبر أبنائه بطليموس الثالث عشر وأخته كليوباترة السابعة، وعهد إلى الرومان بالإشراف على تنفيذ الوصية، لكن أعوان الملك حرصوه على عدم إشراك أخته في حكم مصر واضطروها إلى الفرار بعيدا عن مملكتها، وحدث في هذا الوقت أن وصلت سفن بومبي الذي قرر الهروب إلى مصر، والتمس بومبي ضيافة

(١)

Livy. Iv. cxii.

(٢)

Plutarch. Pompey. lxxvi.

ملك مصر فوضع رجال الحاشية وأعوان الملك في حرج شديد لأنهم إذا إستضافوا بومبى تعرضوا لإنتقام قيصر وإذا رفضوا الضيافة أغضبوا بومبى، وأستقر الرأى على خداع بومبى وقتله مرضاة لقيصر، وقد تمت المؤامرة بالفعل^(١).

أما باقى أعوان بومبى وعلى رأسهم كاتو وبوليوس سقبيو Publius Scipio صهر بومبى فقد فروا بعد موقعة فرسالوس إلى أفريقيا^(٢) وتجمع لديهم جيش كبير من قوات بومبى تحت قيادة لابينوس Labienus^(٣) وأفرانيوس Lucius Afrianus^(٤) وخلال وجود كاتو فى ولاية أفريقيا عرّف كل شئ عنها عن مصادر المياه والمرتفعات وظروف المناخ على ساحل أفريقيا وتعرف أيضا على سواحل سرت وظل بعض الوقت فى مدينة لبكس الكبرى حتى إنتقل إلى أوتيكا^(٥)، ومن خلال تعامله مع سكان مدينة أوتيكا علم أن سكانها يميلون إلى قيصر أكثر من ميلهم إلى بومبى وربما يرجع ذلك إلى قوة الحكام الرومان على عهد بومبى، ومع هذا فقد رفض كاتو فكرة يوبا ملك نوميديا تدمير هذه المدينة^(٦).

كان بوليوس سقبيو القائد العام لقوات بومبى، ويذكر أن أتيوس فاروس حاكم ولاية أفريقيا لم تكن لديه الرغبة فى أن يكون تحت قيادة سقبيو^(٧)، كما كان بتريوس Petreius^(٨) أحد الضباط الممتازين يخدم تحت قيادته فضلا عن لابينوس الذى انشق على قيصر منذ عام ٤٩ ق.م وهو أحد نقباء العامة فى عام ٦٣ ق.م أكتسب خبرة طويلة فى محاربة الغال وأكدت الحرب الأفريقية مهارته كقائد للفرسان^(٩).

(١) ابراهيم نصحي، مرجع سابق، ص ص ٦٣٧، ٦٣٨.

(٢) Suetonius. Deif. Julius. xxxv; Plutarch. Caesar. lii.

(٣) Plutarch. Cato Minor. Ivi.

(٤) Ibid. Caesar. liii.

(٥) Dio Cassius. xlii. 57. 1.

(٦) Appian. Bell. Civ. ii. 95.; Plutarch. Cato Minor. Iviii.

(٧) Plutarch. Cato Minor. Ivii.

(٨) Appian, Bell. civ. ii. 95.

(٩) Caesar. Bell. Afri. 13,52.

وكانت مدينة أوتيكا مركز قيادة الحرب ضد هجوم أنصار قيصر وكان بها ثمان فرق ومجموعة كبيرة من الفرسان تحت قيادة سقيبو أما كونسيديوس فكان يقود فرقتين من القوات في هادروميتوم وفي تابسوس (Thapsus حالياً) وباقي القوات متفرقة في العديد من المدن في يوزيتا Uzitta وروسبينا Ruspina وكولبيا Clupea وأمام توقع كاتوبان قيصر حتما سيأتي إلى أفريقيا لمواصلة الصراع معهم فقام بإعادة بناء الأسوار في مدينة أوتيكا وحفر الخنادق وأقام الأبراج وأنشأ مخازن الأسلحة^(١).

وقبل وصول قيصر كان أسطول أنصار بومبي في حالة سيئة ولكنهم تمكنوا من إصلاح سفن الأسطول القديمة وبلغ عدد سفن أسطول أنصار بومبي في هذا الوقت ما يقرب من ستين سفينة حربية كان فاروس يقود جزءا منها وكان قد تمكن من تجنيد عددا كبيرا من الأفريقيين والجيتوليين كمجدفين للسفن بالإضافة إلى اشتراكهم كمحاربين^(٢).

تحملت ولاية أفريقيا الكثير من النفقات في الفترة التي سبقت وصول قيصر مباشرة، وخاصة أن أنصار بومبي تمكنوا من تجنيد أعدادا كبيرة من الرومان والأفريقيين على حد سواء، ويذكر في هذا الشأن أن فاروس وكونسيديوس كانوا يقودون ما يقرب من ١٢ ألف جندي أما كاتوفكان تحت يده ما يقرب من عشرة آلاف جندي معظمهم من الرومان والجيتوليين^(٣).

أما الملك النوميدي يوبا الأول فقد قدم عددا كبيرا من الفرسان Equites والقوات المسلحة تسليحا خفيفا Armaturae ومعظمهم من المرتزقة والنوميديين، وبلغ عدد هذه القوات ما يقرب من ٣٥-٣٠ ألف مقاتل وكانوا مرتببين على النمط الروماني فضلا عن عدد غير قليل من الفيلة واجتمعت كل هذه القوات إلى جانب القوات الرومانية على أرض ولاية أفريقيا^(٤).

Caesar Bell. Afri. 82.

(١)

Ibid. 20.

(٢)

Ibid. 1.

(٣)

Appian. Bell. Civ. ii. 96.

(٤)

هكذا كان معسكر أنصار بومبي في أفريقيا قبل وأثناء حملة قيصر الأفريقية والذين كانوا يسيطرون سيطرة كاملة على ولاية أفريقيا، فضلا عن مساعدة الملك النوميدي يوبا الأول والذي كان يسيطر على كل مملكة نوميديا، أما معسكر قيصر في أفريقيا فكان يتمثل في القوات التي خصصها ملوك موريتانيا بوخوس وبوجود لمساعدة قيصر والتي كان لها دور فعال في إنتصار قيصر على أنصار بومبي^(١)، وترجع الأسباب التي أدت إلى إنضمام ملوك موريتانيا لقيصر إلى العداوة التي كانت قائمة بين يوبا الأول والموريين والتي نشأت في أعقاب التسوية التي قام بها ماريوس في نهاية حرب يوجورتا، أعطت هذه التسوية لبوخوس جزءا من مملكة نوميديا، وتمكن يوبا من إسترداده ولما كان يوبا قد إنضم إلى أنصار بومبي فكان أمرا طبيعيا أن ينضم بوخوس إلى قيصر^(٢) هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن قيصر كان قد أعترف بملوك موريتانيا أعداء يوبا بعد هزيمة قوريو مباشرة^(٣).

وبالإضافة إلى ملوك موريتانيا فاز قيصر بمساعدة المغامر الإيطالي ستيوس الذي كان موجودا في موريتانيا منذ عشرون عاما، وظهرت أهمية ستيوس عندما قام بغزو مدن يوبا مما شغل الملك النوميدي بعض الوقت في الدفاع عن مملكته وأعطى ذلك الفرصة لقيصر في التغلب على أنصار بومبي^(٤).

أما قوات قيصر نفسه فلم تكن تتجاوز عند وصوله إلى مدينة ليليبايوم Li-lybaeum^(٥) فرقة واحدة من المجندين وما يقرب من ستمائة من الفرسان Equites ولكنها ما لبثت أن زادت بعد عدة أيام إلى أربع فرق من المجندين وفرقة خامسة من الجنود المسرحين Veterani وأنضم إليه ما يقرب من مائتين من الفسان وست فرق

Caesar. Bell. Afri. 25.

(١)

Ibid. 28,32.

(٢)

Dio Cassius. xli. 42. 1.

(٣)

Caesar. Bell Afri. 25.

(٤)

(٥) تقع مدينة Lilybaeum في غرب جزيرة صقلية أبعد منها قيصر لضرب قوات بومبي عام ٤٧ ق.م وكانت

معظم الحملات الرومانية على أفريقيا تخرج من هذه المدينة. 6. Diodorus. xxxii.

أخرى، وكانت كل فرقة بمجرد الوصول تعتلى ظهر السفن الحربية في حين أن الفرسان كانوا يعتلون ظهر الناقلات، وقبل أن تكتمل قوات قيصر جازف بالإبحار إلى أفريقيا وبفضل الرياح المواتية وصل إلى أفريقيا بعد خروجه من ليليبايوم^(١) بثلاثة أيام، وبوصول قيصر إلى مدينة هادروميتوم وجدها محصنة تحصينا قويا ولم يتمكن من الاستيلاء عليها وخاصة مجموعة كبيرة من قواته كانت قد فرقها الرياح وضلت الطريق فانتظر بعض الوقت حتى وصول بقية سفنه على أن يتجه إلى مدينة أخرى^(٢).

وقبل الحديث عن أحداث الحرب التي خاضها قيصر في أفريقيا تجدر الإشارة إلى المدن التي رحبت بقيصر عند وصوله لأفريقيا، إما تضامنا معه أو رهبة منه وإنضمام هذه المدن سهل مهمة قيصر بدرجة كبيرة جدا أمام تكتل أنصار بومبي ضده، ويذكر أن مدينة لبكس الصغرى Lepcis Minor قد رحبت بقيصر عندما وصل إليها ووعد أهلها بنصرته فبادر إلى وضع سفنه أمام المدينة لحراسة الغلال^(٣)، ومن المدن التي أعلنت إنضمامها لقيصر مدينة أشولا Acholla ذكرها مصدر الحرب الأفريقية على أنها أكولا Acylla وهذه المدينة قدمت كميات كبيرة من القمح لذلك أمر قيصر بوضع حامية في هذه المدينة، التي تقع جنوب روسبينا Ruspina^(٤) بحوالى ٦٠ كم وربما يرجع السبب في إنضمام سكان أشولا إلى قيصر لخوفهم على مصالحهم التجارية التي تدهورت في الفترة التي سيطر فيها أنصار بومبي على هذه المدينة. ولقد ساعد إنضمام هذه المدينة إلى قيصر على نقل عملياته العسكرية نحو الجنوب^(٥).

(١) Caesar. Bell. Afri. 2.

(٢) Ibid. 3.

(٣) Caesar. Bell. Afri 7.

(٤) تقع مدينة روسبينا Ruspina (المستدير) إلى الشمال من مدينة لبكس الصغرى، على الساحل إلى جنوب خليج الحمامات. راجع الخريطة رقم (٦).

(٥) Caesar. Bell. Afri. 33.; Picard. G. "Acholla". op. cit. p. 559.

وثمة مدينة أفريقية أخرى رحبت بقيصر دون قتال هي مدينة ثيسدروس Thysdrus^(١) وقد خرجت منها الوفود لتخبره بوجود ما يقرب من ثلاثة آلاف طن من الحبوب قام بجمعها التجار الإيطاليون والفلاحون فطلب منهم إرسالها على وجه السرعة وعبر لهم عن شكره وأمرهم بالعودة الى مدينتهم، والظاهر أن المنطقة كلها كانت قد تعرضت لقحط من الحبوب فيلاحظ أن ستيوس كان يبحث عن الحبوب ليرسلها لقيصر كما كان يوبا يبحث أيضا عن نفس الشيء لإنقاذ بلاده^(٢).

وإذا كانت المدن السابقة قد رحبت بقيصر فإن مدينة أخرى قد استنجدت به وتلك المدينة هي مدينة ثابيننا Thabena ومكان هذه المدينة غير معروف بالتحديد، وهي على وجه التقريب في أقصى الشرق من ولاية أفريقيا وتقترب من الحد الروماني فوساريجا وورد ذكر لأسم من أسماء إحدى المدن في هذه المنطقة يقترب من أسم المدينة السابقة، هي مدينة ثينا Thina وكما يذكر أسترابون أنها تواجه جزيرة كيركينا Cercinna شمال خليج قابس على وجه التقريب^(٣)، وكان سكان تلك المدينة قد تعرضوا للتعذيب من حامية الملك النوميدي يوبا ولذلك خرجت الوفود من المدينة يطلبون الدخول في طاعة قيصر على شرط أن يرسل اليهم حامية، وعلى الفور أرسل قيصر ثلاث كتائب Cohorts وعددا من رماة السهام كقوات دفاعية عن هذه المدينة^(٤).

ولم يقتصر إنضمام المدن لقيصر على مدن الولاية الرومانية في أفريقيا ولكن هذا الإنضمام امتد إلى مملكة نوميديا أيضا فقد رحبت مدينة فاجا Vaga التي تقع في غرب الحد الروماني وشرق السهول الكبيرة، وأعلنت إنضمامها لقيصر، كما استعدت لتقديم أي مساعدة وتزويده بالمؤن^(٥).

(١) تقع مدينة ثيسدروس Thysdrus على بعد خمسين كيلو متر جنوب مدينة روسبينا وتعرف الآن باسم الجم.

Caesar. Bell. Afri. 36.

Strabo. xvii. iii. 12.

Caesar. Bell. Afri. 77.

Ibid. 74.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

وبعد إستعراض موقف أنصار بومبى وموقف قيصر ومدى القوة التى يعتمد عليها كل طرف من أطراف الصراع يحسن أن أتبع الأحداث التى صاحبت حملة قيصر حتى يمكن شرح النتائج التى ترتبت على هذا الصراع وأثرت بدورها على كل شمال أفريقيا .

عندما إستعصت مدينة هادروميثوم على قيصر قرر أن يتوجه إلى مدينة روسبينا بعد أن دخلت مدينة لبكس الصغرى فى طاعته كما سبقت الإشارة وتمكن قيصر من الإستيلاء على هذه المدينة وأقام فيها معسكرا كبيرا نظرا لتمتعها بموقع ممتاز لوقوعها على خليج الحمامات من جانب، ووقوع لبكس الصغرى إلى الجنوب منها من جانب آخر، وهذا كله جعل وصول الإمدادات عن طريق البحر أمرا ميسورا، وفى هذا الوقت تعرض قيصر لهجوم عنيف من أنصار بومبى وحليفهم النوميدي، وكاد قيصر يتعرض للهزيمة لولا أنه تمكن من الهروب إلى معسكره فوق هضبة روسبينا^(١) .

كان موقف قيصر حتى هذا الوقت ضعيفا لولا حدوث عدة أمور ساعدت على تحسين موقفه منها: أن بوخوس ملك موريتانيا أحتل مدينة كيرتا عاصمة يوبا، وعندما وصلت هذه الأخبار إلى يوبا ترك سقبىو وقصد عاصمته مباشرة لتخليصها من يد بوخوس وهذا الموقف أضعف موقف أنصار بومبى بعض الشئ والأمر الثانى هو وصول الإمدادات التى طلبها قيصر من صقلية، وسمحت هذه الأحداث لقيصر بمواصلة القتال^(٢) .

وفى أواخر عام ٤٧ ق.م نقل قيصر إهتمامه إلى مدينة يوزيتا Uzita إلى الجنوب من مدينة روسبينا، وهذه المدينة كانت تحت سيطرة سقبىو وحاول قيصر الإستيلاء عليها، ولكن قوات سقبىو كانت تسيطر سيطرة كاملة على هذه المدينة وألفت الحياة فيها، حيث وجدوا فيها حاجتهم من المياه والمؤن كما أن لابينوس فوّت على قيصر كل محاولة

Appian, Bell. Civ. ii. 95.

(١)

Ibid. ii. 96.

(٢)

للاستيلاء على المدينة بأن خف لمساعدة سقبيو بأعداد كبيرة من القوات^(١).

ومن المحتمل أن قيصر كان يرى أن التوجه إلى الجنوب سوف يعطيه فرصة التغلب على أنصار بومبي، فيلاحظ على تحركاته البعد عن مركز القيادة في أوتيكاً وهادروميثوم، ولكن وقوع الولاية الرومانية تحت سيطرة أنصار بومبي منذ فترة وقبل وصول قيصر سمح لهم بتحسين أغلب مدن الولاية تحصيناً كبيراً وهذا ما تأكد عندما نقل قيصر نشاطه إلى مدينة آجار Aggar والتي كانت تقع جنوب المدن السابقة حتى يتمكن من إحراز نصراً كبيراً على خصومه ولكنه فشل، واستمرت محاولات قيصر في السيطرة على آجار حتى تحقق له ذلك في بداية عام ٤٦ ق.م^(٢).

وفي شهر إبريل من عام ٤٦ ق.م ترك قيصر معسكره في مدينة آجار متجهاً إلى الشمال وبعد مسيرة مسافة ١٦ ميلاً (ما يقرب من ٢٤ كيلومتراً) وصل بالقرب من مدينة ثابسوس Thapsus (رأس الديماس) وهي أكبر مدينة على الساحل الأفريقي جنوب قرطاجة وقد عثر على بقايا مينائها وحوائطها الضخمة وكان لها نشاط تجارى ضخم في الفترة الباكرة من حكم قرطاجة، وأمام هذا الموقف نقل سقبيو معسكره بالقرب من هذه المدينة بما يقرب من ٨ أميال (حوالي ١٢ كيلومتراً) ويذكر أن هذه المدينة إلى جانب وقوعها تحت سيطرة أنصار بومبي كانت لا تميل إلى قيصر، وكان يقوم بإدارتها البرايكتور السابق فرجيليوس Vergilius الموالي لبومبي. ومما يدل على أهمية هذه المعركة أن المعسكر الروماني بقيادة كاتو كان في الغرب والمعسكر النوميدي في الشرق^(٣)، أما سقبيو فقد تعمق في المضيق الذي يصل المدينة بالبحر بغية نقل القوات التي تدعم حصار أنصار بومبي^(٤)، ولكن ما أن دارت المعركة حتى تفهقرت الجيوش الرومانية والنوميديّة الموالية لبومبي أما قادة الجيوش هربوا إلى مدينة أوتيكاً^(٥).

Caesar, Bell. Afri. 41.

Ibid. 67.

Dio Cassius. xliii. 8. 1.

Ibid. xliii. 8. i.

Caesar. Bell. Afri. 86; Plutarch. Cato Menor. lviii.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

وتعتبر معركة ثابسوس البداية الحقيقية لسقوط ولاية أفريقيا في يد قيصر، فبعد هذه المعركة هرب الكثير من أنصار بومبي إلى خارج أفريقيا متوجهين إلى أسبانيا ومنهم لابنيوس وفاروس وسكستيو بومبي، أما كاتو فقد توجه إلى أوتيكا عاصمة الولاية، وهرب بتريوس مع الملك يوبا في نوميديا^(١)، أما القائد العام للقوات سقبيو فقد حاول الهرب عن طريق البحر ولكن جنود قيصر لاحقوه، وعندما أحس بالهزيمة طعن نفسه وقفز في الماء^(٢).

قرر قيصر بعد ذلك إحتلال مدينة أوتيكا التي إستعصت عليه في بداية الحملة، وخلال مسيرته من ثابسوس إلى أوتيكا أستولى على مدينة هادروميتوم دون مقاومة ثم تركها وتوجه إلى أوتيكا التي كانت مهمة الدفاع عنها قد وقعت على عائق كانو الذي أثار الإنتحار عندما فقد كل أمل في المقاومة على أن يقع في يد قيصر، وبذلك وقعت عاصمة الولاية الرومانية^(٣)، وتعتبر نهاية كاتو نهاية للجمهورية الرومانية، فكانت الجمهورية *Res Puplica* في نظره شيئا عاما يمتلكه الشعب أى دولة تقع مسئولية حكمها على عائق الشعب، وعندما رأى كاتو أن الحكم أصبح مسئولية رجل واحد وكأنها ملكية خاصة، أثار الانتحار، وأطلق عليه منذ هذا الوقت كاتو الأوتيكي *Cato Uticensis*^(٤).

وفيما يخص مجموعة الثلاثمائة، وهى تسمية تعنى جماعة النبلاء الرومان من أنصار بومبي، ومعظمهم من التجار وأصحاب البنوك، فقد زاد خوفهم من قيصر بعد أن توالى إنتصاراته وتقدم جهة أوتيكا وفقدوا كل أمل في المقاومة بعد إنتحار كاتو، وبعد أن دخل قيصر المدينة أسرف فى نهب ممتلكاتهم وأموالهم ولذلك هرب البعض بما لديهم من أموال إنقاذاً لحياتهم أما الذين ظلوا فى المدينة فقد طلبوا العفو من قيصر^(٥)، ووافق

(١) Plutarch. Caesar, liii.

(٢) Appian. Bell. Civ. ii. 100.

(٣) Ibid. ii. 100.

(٤) عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩

(٥) Caesar. Bell. Afri. 88.

قيصر على هذا وأعطاهم الأمان^(١) نظير غرامة قدرت بحوالى مائتى مليون سسترتيوس Sestertius^(٢) يدفعونها على فترات لمدة ثلاث سنوات وإقتنعوا بذلك وإعتبروا أن هذا اليوم هو بداية حياتهم الجديدة^(٣).

أما عن مملكة نوميديا فقد سقطت فى يد قيصر ولكن بفضل مساعدة ستيوس وبوخوس الشاب ملك موريتانيا حيث كان لهما نشاط كبير فى الاستيلاء على مدن هذه المملكة، حيث تمكن ستيوس من هزيمة سابورا قائد جيوش يوبا وقتله^(٤)، أما الملك يوبا نفسه فبعد هروبه من معركة ثابسوس لم يتمكن من دخول عاصمته زاما التى استنجد سكانها بقيصر، ولذلك فضل الإنتحار على أن يقع فى يد أعدائه ودخل فى مبارزة بالسيوف مع بتريوس، وقتله بتريوس ثم قتل نفسه^(٥)، وكان من بين الذين قتلوا من أنصار بومبي بعد معركة ثابسوس فاوستوس وأفرانيوس^(٦).

وبعد أن باع قيصر ممتلكات الرومان فى مدينة زاما وترافق مع سكانها جزاء تمردهم ضد يوبا قرر ضم مملكة نوميديا إلى الرومان وعرفت باسم ولاية أفريقية الجديدة. "Provincia Africa Nova" وكان أول حاكم عليها هو سالوست المؤرخ المعروف تحت لقب بروقنصل Proconsul، وانتقل قيصر بعد ذلك إلى أوتيكا مرة ثانية وباع ممتلكات قادة الحرب، وفرض الضرائب على سكان ثابسوس قدرت بحوالى ٢ مليون سسترتيوس Sesteriues وفرض ضريبة معادلة على مدينة هادروميثوم قدرت بحوالى ٣ مليون سسترتيوس، أما مدينة لبكس الكبرى فقد فرض

Plutarch. Cato Minor. Lxv.

(١)

(٢) سسترتيوس Sestertius عملة رومانية قديمة من الفضة، كانت تساوي ٢,٥ أس ASS ثم صارت تساوي أربعة

أسات أي حوالى ٣٢ مليما وقد حلت محل الأس البرونزي كوحدة للحساب النقدي عند الرومان منذ الحرب البونية

الثانية. عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ٢٧.

Caesar, Bell. Afri. 90.

(٣)

Ibid. 90.

(٤)

Livy. Iv. cxiv.; Caesar. Bell. Afri. 94.

(٥)

Livy. Iv. cxiv.

(٦)

عليها غرامة كبيرة قدرت بما يقرب من ٣ مليون رطلاً من الزيت تدفع سنوياً جزاء تحالفها مع يوبا عند بداية الحرب وإمداده بالجيش والأموال، واستضافتها لكانو عند أول وصوله أفريقيا^(١).

وكان جزاء المغامر الإيطالي ستيوس أن حصل على ولاية صغيرة تقع بين موريتانيا والولاية الرومانية الجديدة، كما كان جزاء بوخوس ملك موريتانيا الشرقية أن حصل على بعض الأراضي النوميديّة. وهكذا أصبحت منطقة شمال أفريقيا على الوضع التالي: في الشرق ولاية أفريقيا القديمة التي أنشئت عام ١٤٦ ق.م وإلى الغرب منها ولاية أفريقيا الجديدة التي أنشأها قيصر في عام ٤٦ ق.م وتمتد حتى إمارة ستيوس ثم يليها مملكة موريتانيا الشرقية وعلى رأسها الملك بوخوس وعلى سواحل المحيط الأطلسي مملكة موريتانيا الغربية تحت حكم بوجود^(٢).

وبعد أن قام قيصر بعمل هذه التسويات السريعة أبحر من مدينة أوتيكا في يونيو من عام ٤٦ ق.م وما أن وصل إلى روما حتى أقيمت مواكب النصر إحتفالاً بانتصاراته على غالة ومصر وبونتس وأفريقيا، وكان يسير أمام عجلات النصر الطفل يوبا الثاني بن يوبا الأول ملك نوميديا تعبيرا عن نصره على أفريقيا، وهذا النوميدي الصغير سوف يصل إلى الحكم في أفريقيا بواسطة عفو أغسطس Augustus بعد هذا التاريخ بعشرين عاما^(٣).

وكان طبيعياً أن تتأثر ولاية أفريقيا ومملكة نوميديا من جراء إنتقال ميدان الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر إلى أفريقيا. ففي ولاية أفريقيا قام أنصار بومبي بتخزين كميات كبيرة من الحبوب حتى يحرموا قيصر الاستفادة منها، فتجمع في مدينة ثيسدروس ما يقرب من ثلاثة آلاف مكيال من القمح ووجدت في جزيرة كيركينا Cercina مخازن الغلال الواسعة ولذلك سير قيصر حملة بقيادة سالوست إلى

(١)

Caesar, Bell. Afri. 97.

(٢)

Appian. Bell. civ. iv.54.

(٣)

Ibid. ii. 101.

هذه الجزيرة للحصول على المؤن على اعتبار أن هذه الاحتياطات ضرورة من ضروريات الحرب^(١).

ثم أن الحروب عادة تترك أثارها السيئة على المدن التي تدور فيها المعارك، فتهدم المنازل، وتدمر الأسوار، وتخرب المزارع، ولذلك كانت بعض المدن تفضل التسليم إلى قيصر كما سبقت الإشارة، ولقد دعت ضرورة الحرب إلى أن كاتو كان من أجل الحصول على الجنود قد منح الجيتوليين بعض الإمتيازات مثل حصولهم على بعض الأراضي داخل ولاية أفريقيا^(٢).

وكما ورد في نصوص الحرب الأفريقية التي تنسب لقيصر أن كاتو حاكم مدينة أوتيكا أمام رغبته في تكتل أكبر عدد ممكن من المواطنين ضد قيصر اقترح ما يسمى بمنح الحرية (Ferre) للأفريقيين والعبيد وأي فرد مهما كانت طبقته الاجتماعية التي ينتمي إليها وخاصة عندما يصل إلى سن الجندية ولكن سكان أوتيكا كانوا لا يعيرون هذا الاقتراح أدنى إهتمام لأنهم كانوا يميلون إلى قيصر^(٣).

كما كانت الحرب الأهلية من الأمور التي أثرت على مملكة نوميديا أيضا فلقد أستغل الجيتوليون فرصة إنشغال الملك يوبا وقاموا بالإغارة على جنوب المملكة وأحدثوا فيها التخريب، وإذا كان هذا أمرا طبيعيا معروفا عن الجيتوليين وكل سكان المنطقة الجنوبية من ليبيا القديمة إلا أن قيامهم بالثورة في مثل هذه الظروف يعتبر دليل على غياب الأمن والنظام في مملكة نوميديا^(٤) وولاية أفريقيا فلقد تعرضت مدينة آجار قبل وقوعها تحت سيطرة قيصر وأثناء سيطرة أنصار بومبي عليها إلى مهاجمة الجيتوليين أيضا^(٥).

Caesar, Bell. Afri. 8,34.

(١)

Ibid. 35.

(٢)

Ibid. 36.

(٣)

Ibid. 55.

(٤)

Ibid. 67.

(٥)

ومن ناحية أخرى فإن إستنجاد مدينة ثابينا Thabena كما سبقت الإشارة بقيصر يعتبر دليل آخر عن الفوضى التي عمت ولاية أفريقيا لدرجة أن مدينة تقع ضمن الحدود الرومانية يتعرض سكانها للتعذيب من حامية الملك النوميدى يوبا الأول^(١)، وكما يذكر استرابون أن كل المدن التي كانت تحت سيطرة أنصار بومبى قد دمرت على أيديهم عندما فقدوا كل أمل فى النصر ضد قيصر، وإذا كان هذا حال مدن الولاية الرومانية فإن مدن نوميديا أيضا قد تعرضت للتدمير خلال الحرب^(٢).

وأهم أثر ترتب على إنتقال ميدان الحروب الأهلية إلى أفريقيا، أن صارت أفريقيا كما يذكر رستوفتزف مجالا للإستعمار الرومانى، وهذا الاستعمار لم تقم به الدولة وإنما قام به الإيطاليون أنفسهم وإحتملوا أعباءه وإستقروا فى شمال أفريقيا كتجار ومرابين وأصبحت كيرتا عاصمة مملكة نوميديا إحدى المراكز المفضلة عند رجال الأعمال من الرومان، فأقام فى هذه المدينة المئات والآلاف ونزل عدد آخر من التجار الرومان فى مدن أخرى فى نوميديا وأفريقيا الرومانية وقد إستثمر هؤلاء التجار أموالهم إما فى الأراضي الخصبة أو فى اقتناء العقارات، كما كانت أهمية ولاية أفريقيا ونوميديا ترجع أساسا إلى الضرائب التي تحصل عليها الحكومة الرومانية من هذه المنطقة وحقيقة فقد سار الاستعمار الرومانى بخطا واسعة أثناء الحرب الأهلية سواء من جانب أنصار بومبى أو قيصر^(٣)، ولكن الإستعمار المنظم فى أفريقيا لم ينشأ إلا بعد التنظيمات التي أحدثها قيصر فى شمال أفريقيا. كما سأوضحه فى الفصل التالى.

(١)

caesar. Bell. Afri. 77.

(٢)

Strabo. xvii. iii. 12.

(٣) رستوفتزف، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

الفصل الرابع

أفريقيا تحت حكم قيصر

- الحدود السياسية بعد حملة قيصر.
- تنظيمات قيصر في أفريقيا.



الفصل الرابع

أفريقيا تحت حكم قيصر

الحدود السياسية بعد حملة قيصر

كانت موقعة ثابسوس Thapsus موقعة هامة في تاريخ شمال أفريقيا فإذا أضفنا إلى ذلك تنازل بطليموس أبيون (Apion) آخر ملوك برقة من البطالمة عن قورينائية عام ٧٤ ق.م أصبحت أفريقيا فيما يلي مصر غربا حتى حدود موريتانيا تحت سيطرة الرومان^(١). وترتب على نصر قيصر تعديلات سياسية وأقليمية في شمال أفريقيا، فبالنسبة للملك بوخوس الشاب Bocchus ملك موريتانيا الشرقية والذي كان من أنصار قيصر، وكان بينهما اتفاقية تعاون خلال وجود قيصر في أفريقيا، فضلا عن دوافع العداء التي كانت بين يوبا الأول ملك نوميديا وبوخوس حول استيلاء الأخير على بعض الأراضي النوميديّة بعد حرب يوجورتا، فقد حصل بعد موقعة ثابسوس على الأرض الممتدة بين كيرتا وموريتانيا وهذه الأرض كانت تخص الملك ماستينسا Mastenissa^(٢) والذي كان من أنصار بومبي، واختفى أثناء حملة قيصر على أفريقيا، أما ابنه أرابيون Arabion فقد هرب إلى ولاية أسبانيا ليتابع الصراع إلى جانب أنصار بومبي ضد قيصر^(٣).

بعد هذا التعديل أصبحت حدود مملكة موريتانيا الشرقية التي ستسمى فيما بعد باسم موريتانيا القيصرية Mauritania Caesariensis^(٤) وتمتد من مصب الأمباساج Amasage

(١) مصطفى كمال عبد العليم، مرجع سابق، ص ٧٧.

Mazard. J. op. cit. P.55.

(٢)

Appian. Bell. Civ. iv. 54.

(٣)

(٤) سميت مملكة موريتانيا الشرقية باسم موريتانيا القيصرية Mauretania Caesariensis ابتداء من عصر يوبا

الثاني Juba II بن يوبا الأول الذي تولى الحكم عام ٢٥ ق.م بأمر من الإمبراطور أغسطس Augustus.

وقيصرية هو الاسم الثاني لمدينة أيول Iol الفينيقيّة القديمة، وأصبحت أيول إحدى عواصم الملك بوخوس Boc-

chus الشاب بعد عملية الضم التي تبعت نصر قيصر في عام ٤٦ ق.م. يقول استرابون أنها مدينة قريبة من

الساحل ولها ميناء صالح للملاحة وفي مدخل الميناء جزيرة صغيرة. ويقول بليني الكبير عنها أنها كانت عاصمة

الملك يوبا الثاني تحت اسم قيصرية. Strabo. xvii. 20.; Pliny. V., i. 20.; Mazard. J. op. cit. P. 166.,

iii. 12.; Julien. Ch. A. op.cit. p.20.

(الوادي الكبير) في شمال غرب كيرتا حتى حدود مملكة موريتانيا الغربية، وهذه الحدود ظلت ثابتة لمدة طويلة حتى أنها كانت نفس الحدود التي كانت عليها حدود مملكة يوبا الثاني بن يوبا الأول الذي ورث هذه المملكة بعد موت بوخوس بفترة طويلة والذي توفي في عام ٣٣ ق.م دون ورثته^(١).

القسم الثاني من المملكة هو موريتانيا الغربية التي كانت تحت سيطرة الملك بوجود، والذي كان مواليا لقيصر أيضا، ورغم أن معظم المصادر قد أثبتت عدم اشتراك بوجود في الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر في إفريقيا^(٢)، إلا أنه كان أداة فعالة في صد الهاربين من نوميديا تجاه موريتانيا، ثم ذهب بعد ذلك إلى أسبانيا لمحاربة أنصار بومبي في عام ٤٥ ق.م^(٣) وكما يذكر أن الملك بوجود وأبناء الملك بوخوس قد إشتراكوا في معركة موندا Munda في جنوب أسبانيا التي دارت بين قيصر وأنصار بومبي، وأن هجوم بوجود على أنصار بومبي تسبب في رجحان كفة قيصر في هذه الحرب^(٤). ومن المحتمل أن أولاد بوخوس قتلوا في هذه الموقعة حيث أن بوخوس عندما مات في عام ٣٣ ق.م، لم يترك وريثا لمملكته.

أما الإقليم الآخر فهو الولاية الصغيرة التي أعطاها قيصر للمغامر الإيطالي ستيوس في غرب مملكة نوميديا، وتبدأ من شرق مصب الوادي الكبير في الشمال وتمتد بطول مملكة موريتانيا^(٥). وكما تذكر المصادر أن قيصر قد قصد بهذه الولاية أو الإمارة الصغيرة أن تكون حدا فاصلا بين مملكة موريتانيا والولاية الرومانية الجديدة، ولا يعرف ماذا كان يهدف قيصر من هذا الإجراء على الرغم من إجماع المصادر أن ملوك موريتانيا شرقية وغربية كانوا موالين لقيصر وساعدوه في أفريقيا كما ظهرت من خدمات بوخوس، وفي أسبانيا بواسطة بوجود، فهل كان يخشى على

Pliny. V. i. 21.

(١)

Gsell. S. op. cit. viii. P.157.

(٢)

Fage. T.D. op. cit. P. 188.

(٣)

Dio Cassius. xliii. 36.1.

(٤)

Appian. Bell. Civ. iv. 54.; Gsell. S. op. cit. viii. P.158. (٦) راجع الخريطة رقم

(٥)

الولاية الجديدة من ملوك موريتانيا، وبذلك وضع ستيوس في مواجهتهم؟ من المحتمل ذلك، على أساس المنازعات بين النوميديين وملوك موريتانيا التي سبقت الإشارة إليها^(١). من ناحية ثانية هل كان ستيوس قويا لدرجة أنه كان يستطيع صد أى هجوم يمكن أن يقوم به ملوك موريتانيا ضد الولايات الرومانية؟ هذا أمر ربما يكون بعيد الاحتمال أمام صغر ولاية ستيوس وكبر حجم مملكة موريتانيا مجتمعة وما تتمتع به من مصادر طبيعية واقتصادية، والأقرب إلى الواقع أن قيصر كان قد وضع هذه الإمارة الصغيرة الفاصلة لدواعى الأمن لا أكثر ولا أقل.

وبعد أن حصل ستيوس على هذه المنطقة والأراضى المجاورة لها أقام فيها جنوده المرتزقة الذين عرفوا فيما بعد باسم رفقاء ستيوس Sittiani ومارس حقوقه السياسية كدولة حقيقية،^(٢) وبعد موته فى عام ٤٤ ق.م. إنضمت ولايته إلى ولاية أفريقيا الجديدة وبعد عدة سنوات إنضمت الولاية الجديدة إلى الولاية القديمة واتحدتا فى ولاية واحدة عرفت باسم ولاية أفريقيا البروقنصلية Africa Proconsularis^(٣).

كان الوادى الكبير (Ampsaga) يشكل الحد الثابت بين مملكة موريتانيا حسب وضعها الجديد ويقع معهم على نفس الجانب الجيتوليون وعلى الجانب المواجه له من جهة الشرق نوميديا وأفريقيا، أما نوميديا فقد أصبحت ولاية أفريقيا الجديدة منذ عام ٤٦ ق.م، وأما أفريقيا فكان يقصد بها ولاية أفريقيا القديمة التى أقيمت على ممتلكات قرطاجة ابتداء من عام ١٤٦ ق.م^(٤).

أصبحت الولاية الرومانية الجديدة تضم أكبر جزء من مملكة نوميديا بعد أن أقتطع عدة أجزاء منها لستيوس وبوخوس، وكان يحدها من جهة الشرق الخندق القديم المعروف الذى كان يسمى فوسا ريجيا Fossa Regia وفى عام ٤٣ ق.م وجد فى ولاية أفريقيا الجديدة جيش مكون من ثلاث فرق من الجنود المسرحين Veterani وهذه الفرق

Sallust. Bell. Jug. Lxxxviii.

(١)

Appian. Bell. Civ. iv. 56.

(٢)

Ibid. iv. 53.

(٣)

Pliny. V. ii. 22.

(٤) رراجع الخريطة رقم (٦)

Legiones كانت تحت قيادة قيصر في أفريقيا أثناء الحرب الأفريقية في عام ٤٦ ق.م، وهذا الجيش كان مخصصا لإقامة النظام بين النوميديين داخل الولاية الجديدة ومنع السلب والنهب الذي كان يسببه الجيتوليون (١) أما عن الضرائب التي كان يحصل عليها الملك يوبا الأول من مدينة زاما وغيرها من مدن مملكة نوميديا أبقي عليها قيصر دون تعديل، بالإضافة إلى الغرامة التي فرضها قيصر على بعض المدن التي كانت تناصر بومبي، ولقد كانت الضرائب هي المصدر الأساسي لدخل الرومان يحصلون عليها من التجارة واستثمار الأموال في شراء وبيع الأراضي (٢).

وكان أول حاكم على ولاية أفريقيا الجديدة هو المؤرخ سالوست تحت لقب بروقنصل Proconsul ولكنه خلال الفترة التي قضاها في أفريقيا قام بجمع الضرائب وكون ثروة شخصية بوسائل إجرامية (٣)، ثم كانت ولاية أفريقيا الجديدة بعد ذلك تحت قيادة سكستوس Sextus في الفترة التي أعقبت مقتل قيصر عام ٤٤ ق.م (٤) أما ولاية أفريقيا القديمة فقد عانت من جراء حملة قيصر الأفريقية حيث إستولت جيوش قيصر وبومبي على كل ما لدى السكان، هذا بالإضافة إلى فرض الغرامات على المدن التي كانت ترابط جيوش بومبي بها فيما عدا المدن المحررة منذ عام ١٤٦ ق.م.

أما عن ساحل خليج سرت والذي كان تحت سيطرة الملوك النوميديين منذ هزيمة قرطاجة فيما عدا مدينة لبكس الكبرى التي كانت حليفة لروما خلال حرب يوجورتا، ولكنها أثناء حملة قيصر الأفريقية كانت متحالفة مع أنصار بومبي ولذلك فقد تعرضت لغرامة حربية كبيرة وأصبحت من المدن التابعة لروما، ولكن هل وصلت ممتلكات الولاية الرومانية الجديدة إلى الظهير الخلفي لساحل خليج سرت؟ من المحتمل هذا، أما المعروف هو أن منطقة قورينائية كانت قد شكلت مع منطقة ساحل سرت ولاية واحدة (٥) ثم إنضمت بعد ذلك إلى ولاية أفريقيا البروقنصلية على عهد

(١)

Julien. Ch. A.op. cit. P.154.

(٢) رستوفتسوف، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٣)

Dio Cassius. xliii.9.

(٤)

Appian. Bell, civ. iv . 54.

(٥) مصطفى كمال عبد العظيم، مرجع سابق، ص ٧٧.

الامبراطور أغسطس^(١).

تنظيمات قيصر في أفريقيا:-

ظلت ولاية أفريقيا فترة طويلة من الوقت تأخذ شكل الاحتلال الحربي الدائم الذي يتولى تنظيم شئونها أحد الحكام يعينهم مجلس الشيوخ الروماني، ولقد فشلت كل محاولة رومانية لإقامة إستعمار منظم في ولاية أفريقيا، ففي فترة تربيونية جايوس جراكوس (١٢٣-١٢٢ ق.م) كان قد أقترح مشروعاً بإنشاء عددا من المستعمرات Coloniae منها اقترح بإنشاء مستعمرة في مكان قرطاجة التي ظلت خالية منذ عام ١٤٦ ق.م وكان الهدف منه هو إمتصاص الفائض من سكان العاصمة وفقراء الرومان والمتعطلين وهذه المستعمرة عرفت باسم يونونيا Iunonia وكانت ذات طابع زراعي^(٢).

وفي الواقع أن جايوس جراكوس كان قد أراد التخلص من فائض السكان في روما عن طريق تعمير مدينة قرطاجة، وأمام معارضة مجلس الشيوخ فشلت كل المحاولات التي كانت تهدف لإنشاء مستعمرات خارج إيطاليا كما سبقت الإشارة، ثم كانت محاولة ماريوس بإنشاء مثل هذه المستعمرات والتي قوضتها وأنهت عليها تماماً حروب يوجورتا^(٣).

وحقيقة الأمر أن هزيمة قرطاجة كانت قد فتحت الباب أمام الرومان والإيطاليين للتوطن والإستقرار في شمال أفريقيا وخاصة في أشهر المدن النوميدية مثل مدينة كيرتا، والمعروف أن مدينة كيرتا كانت من أهم المدن التي مارس فيها الإيطاليون نشاطهم بصورة واضحة، وهذا ما يؤكد المؤرخ سالوست أن أثناء حروب يوجورتا قُتل آلاف من الإيطاليين الذين كانوا يتولون الدفاع عن هذه المدينة^(٤).

Fage. T. D. op.cit. P.192.

(١)

(٢) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٢٥.

Caesar, Bell. Afri. 56.

(٣)

Sallust. Bell. Jug. xxvi

(٤)

والى جانب حركة الاستعمار المنظم التى تلت الحرب الأهلية كانت موجة الهجرة والاستقرار فى شمال أفريقيا والتى كان يقوم بها التجار الإيطاليون بوصفهم تجارا أو مرابين أو مندوبين عن جمعيات إحترفت بجباية الضرائب *Conductores* واستقرت هذه الجماعات فى المدن النوميدية والقرطاجية على حد سواء^(١).

كانت مهمة إقامة حكومة لولاية أفريقيا ليست بالأمر السهل فلا بد وأن تكون مقبولة من القوى الوطنية، ولا بد أن تراعى الاحترام الكافى لمعتقداتهم الدينية ولا بد أن تكون على حذر من القبائل الوطنية المقيمة فى الجنوب والتى تشكل خطرا حقيقيا على الوجود الرومانى، ويعتبر عصر قيصر بداية عصر جديد فى تاريخ أفريقيا، فقد نشطت حركة الإستعمار الرومانى لأفريقيا وأقيمت المستعمرات بشكل واضح، وفى الوقت الذى عارض فيه مجلس الشيوخ فكرة إنشاء مستعمرات خارج إيطاليا فى عصر جايوس جراكوس نجده فى هذه الفترة يشجع هذه الفكرة، وقام قيصر بإرسال ما يقرب من ثمانين ألف مواطن رومانى إلى الولايات منها ولايات أفريقيا^(٢) وقصد قيصر بذلك التخلص من فائض السكان الذين كانوا يتزاحمون فى روما بعد كل إنتصار، وقام قيصر أيضا بتسريح عددا كبيرا من جنوده القدماء وأسكنهم فى الولايات الأفريقية وقصد بذلك عدم القيام بثورة تمرد بين جنوده^(٣).

وكانت قرطاجة أهم المستعمرات التى حاول قيصر أقامتها فى منطقة قرطاجة القديمة، وكما يذكر أن قيصر قد سجل فى مذكراته بضرورة تعمير قرطاجة^(٤)، ومع أنه لم يكن قد أفصح بقراره عن إعادة بناء المدينة وتعميرها الا أنه كان ينوى أن يقيم فى هذا المكان مستعمرة للرومان وتمنى أن يتحقق المشروع الذى كان قد بدأه جايوس جراكوس Gracchus من قبل وأن قرار تخريب قرطاجة لا بد أن ينتهى^(٥)، ومن

(١) رستوفزف، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Suetonius, Deif Julius. Xlii. 1.

Dio Cassius. Xliii. 14. 1.

Gsell. S. op. cit. viii. 173.

Dio Cassius. Xliii. 50.

المحتمل أن اكتافوريوس وجد المشروع بين الوثائق التي تركها قيصر وكان ينوي إرسال ما يقرب من ثلاثة آلاف مستعمر روماني مما حدا به أن يرسل مثل هذا العدد في عام ٢٩ ق.م إلى مكان قرطاجة تنفيذًا للخطة التي تركها قيصر، إلا أن البعض يقول أن عدد المستعمرين الرومان الذين أوردتهم المصادر لتعمير قرطاجة هم بقية المستعمرين الإيطاليين والرومان الذين أتوا من قبل بواسطة جايوس جراكوس^(١).

ومع أن مشروع قيصر في إعادة بناء قرطاجة لم يتم في عهده إلا أن إنشاء هذه المدينة ظل ينسب إليه والمؤكد أن الموت قد فاجأ قيصر قبل تنفيذ خطته، وعندما قتل قيصر وجدت ضمن الوثائق التي تركها خطة إعادة بناء هذه المدينة، ونظرا لافتناع أغسطس بضرورة تعمير قرطاجة فقد أرسل عددا كبيرا من المواطنين الرومان عمروا المدينة، ولكن أغسطس لم يتمكن من تنفيذ هذا المشروع إلا في عام ٢٩ ق.م^(٢)، ولكن التساؤل هل المستعمرة الجديدة التي أنشئت في هذه الفترة كانت في مكان المدينة القديمة التي دمرها الرومان عام ١٤٦ ق.م ؟ وفيما يخص هذا الموضوع فقد ذكرت المصادر أن المدينة الجديدة أقيمت بجوار المدينة الأصلية^(٣).

ولقد اختلفت المصادر حول الوجود الحقيقي لمستعمرة قرطاجة Colonia Carthago^(٤) فالبعض يذكر أن هذه المستعمرة قد اكتمل وجودها في عصر أغسطس، ويذكر البعض الآخر أنه في الفترة التي تتوسط حكم قيصر وأغسطس، ويمكن الاستدلال على سنوات وجود قرطاجة المادى، حيث أن الزراعة في هذا المكان كانت مزدهرة في فترة حكم لبيدوس Marcus Lepidus^(٥) على أفريقيا عام ٤٠ ق.م. وعلى

Gsell. S. op. cit. viii. 175.

(١)

Suetonius. Deif. Julius. Xlii. 1.

(٢)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 166.

(٣)

Pliny. V. iii. 24.

(٤)

(٥) ماركوس أميليوس لبيدوس Marcus Aemilius Lepidus عضو الحكومة الثلاثية الثانية في عام ٤٣ ق.م مع

اكتافوريوس وأنطونيوس وكان لبيدوس من أنصار قيصر، حكم أسبانيا في عام ٤٨ ق.م تحت لقب برايتور، كما كان من قواد قيصر في عام ٤٧-٤٥ ق.م وأحد قناصل عام ٤٦ ق.م، حكم ولاية أفريقيا من عام ٤٠-٣٦ ق.م توفي

Plutarch. Aemilius Paulus. xxvii., xxxviii; livy. Lv. Cxxix. عام ١٣ ق.م

أى الأحوال فوجود أسم عشيرة قيصر "Iulia ضمن أسم هذه المستعمرة Colonia Iulia Carthago ينسب هذه المستعمرة إليه (١).

وتدل التنقيبات الأثرية التى اكتشفت فى هذا المكان على وجود آثار رومانية عديدة مثل الآبار الرومانية الواسعة ووجود تماثيل الآلهة الرومانية مثل فينوس ومارس فى هذا المكان، على أن المستعمرة الجديدة قد أقيمت مكان قرطاجة القديمة، ويمكن القول أيضا أن هذه الآثار تدل على أن هناك مستعمرة أخرى كانت قد أقيمت فيما بعد بجوار هذه المستعمرة، ومن الجائز أن يكون أغسطس قد أقامها تنفيذا لرغبة قيصر، ولما كان هذا المكان قد أصبح معمورا قرر أغسطس إنشاء مستعمرة أخرى بجوار هذا المكان نسب الاسم إليها وهنا حدث الخلط بين مستعمرة قرطاجة التى أقيمت بعد موت قيصر مباشرة وحركة الاستيطان التى حدثت بجوارها فى عهد الإمبراطور أغسطس (٢).

وعلى أرض ولاية أفريقيا القديمة وبالقرب من مدينة قرطاجة أقيمت عدة مستعمرات فى عهد قيصر أو بعد قليل من مقتله بناء على وصايا كان قد تركها ضمن أوراقه الخاصة، وكانت هذه المستعمرات ماكسولا Colonia Maxula (٣) ومكان هذه المستعمرة فى الأراضى المجاورة لمستعمرة قرطاجة Colonia Carthago حسب قول: بليني الكبير الذى أورد عددا من المدن داخل الولاية القديمة والتى أصبحت فيما بعد مستعمرات رومانية منها مستعمرة قوريبس Colonia Iulia Curubis ومستعمرة نيابوليس Colonia Iulia Neapolis وكلوبيا Clypea (٤) وتؤكد بعض المصادر أن هذه المستعمرات السابقة الذكر مستعمرات تنسب إلى قيصر دون شك ولكن لم يعرف على وجه التحديد الفترة الزمنية التى أقيمت فيها فوجود إسم عشيرة قيصر يجعلها تنسب إليه، ومن المحتمل أن إطلاق إسم مستعمرة كان فى فترة لاحقة على مقتل قيصر مباشرة (٥).

(١) Gsell. S. op. cit. viii. P. 175.

(٢) Gsell. S. op. cit. viii. P. 177.; Saumagne. C. op. cit. P. 289.

(٣) Pliny. Viii. 24.

(٤) Pliny. V. iii. 24.

(٥) Gsell. S. op. cit. viii. 178.

(٤) راجع موقع هذه المدن على الخريطة رقم (٦) بالملحق. و

ويذكر بليني الكبير أنه في المسافة بين نهر الألباساج وحدود الولاية الرومانية القديمة إنتشرت المدن والمستعمرات التي كان يسكنها الرومان منها مستعمرة يوثينا Colonia Uthina ومستعمرة ثوبوري Colonia Thuburbi فضلا عن كثير من المدن التي إنتشرت في هذه المنطقة وكان يسكنها الرومان^(١). وتذكر بعض المصادر أن المنطقة الساحلية لشمال أفريقيا كان بها العديد من المستعمرات الرومانية التي ينسب تأسيسها إلى قيصر من هذه المستعمرات هي بو دير هوتس "Colonia Iulia Hippo Diarrhytus" وتقع إلى الغرب من مدينة أوتيكا. وإلى الجنوب الغربي من رأس بون كانت مستعمرة كاريبتانا Colonia Iulia Carpitana^(٢).

وإلى الجنوب من قرطاجة وعلى ساحل أفريقيا أقيم عدد من المستعمرات نسبت إلى قيصر أيضا من هذه المستعمرات مستعمرة هادروميتوم Colonia Iulia Hadrumetina ومستعمرة ثانية عند ثيسدروس Colonia Iulia Thysdrus وترجع إقامة هذه المستعمرات في الفترة ما بين ٤٦ ق.م إلى ٤٤ ق.م^(٣).

ويلاحظ على إنشاء المستعمرات الرومانية على عهد قيصر أنها كانت تقام عند المدن الفينيقيّة القديمة التي كانت تسيطر عليها قرطاجة فيما سبق وربما يرجع ذلك إلى وجود وسائل المعيشة من مصادر المياه ووجود الأرض الزراعية الخصبة التي كانت يمارس فيها حرفة الزراعة على عهد قرطاجة، ثم أن هذه المستعمرات كانت تتمتع بمواقع هامة على سواحل أفريقيا وربما يرجع ذلك أيضا إلى أن معظم المستعمرين كانوا من التجار وبهمهم في المقام الأول الإستيطان في المواقع الهامة حتى تسهل عملية التجارة عبر مدن البحر المتوسط.

وعندما حاول قيصر أو شرع في إقامة المستعمرات في ولاية أفريقيا القديمة كان حصوله على الأراضي في هذه الولاية إما بالشراء أو مصادرة أملاك أنصار بومبي، وقام بتوزيعها على المستعمرين الجدد أو بيعها بالمزاد العلني، وكان هناك

Gsell. S. op. cit. viii. P. 179.

Ibid, P. 179.

Ibid. P. 181.

(١)

(٢)

(٣)

وسيلتين لتوطين المستعمرين: الوسيلة الأولى هو منح الأراضي للأفراد وليس للجماعات، والثانية عن طريق إنشاء المستعمرات حيث كانت توزع الأرض الزراعية بين المستعمرين^(١) ومع أن قيصر كان يفضل استخدام الإجراء الأول أكثر من الثاني ولكن الدلائل تشير إلى أن قيصر قد استخدم الإجراءين في وقت واحد، فإرسال قيصر لما يقرب من ثمانية آلاف مواطن روماني إلى الولايات يثبت الإجراء الأول وإنشائه للمستعمرات يؤكد الإجراء الثاني.

وتذكر المصادر أن معظم المستفيدين من قيام المستعمرات في أفريقيا هم العامة والجنود القدماء^(٢) ثم أنه من جانب آخر لم يوجد دليل على قيام مدن مستقلة ذات مجالس محلية على الطريقة البونية في ولاية أفريقيا القديمة كما فعل أغسطس فيما بعد، هذا فيما عدا مدينة أوتيكا التي كانت موالية لقيصر، ثم تغير وضعها من مدينة حرة إلى مدينة حرة تحمل اسم قيصر Municipium Iulium وذلك على عهد أغسطس^(٣).

أما نصيب ولاية أفريقيا الجديدة من هذه التنظيمات قد تمثلت في وقوع عاصمة نوميديا في يد قيصر وإنشاء هذه الولاية على جزء من أراضي مملكة نوميديا وإعطاء جزء آخر للملك بوخوس ملك موريتانيا وإقتطاع جزءا ثالثا كان من نصيب المغامر الإيطالي ستيوس^(٤) وقام قيصر بعد ذلك بمصادرة أملاك الملوك النوميديين والتي كانت تخص فيما بعد طبقة من أعضاء مجلس الشيوخ أو طبقة الفرسان، وكان منح الأراضي في الولاية الجديدة للجنود المسرحين والمواطنين الرومان في الفترة التالية لإنشاء هذه الولاية محدودا جدا وربما حدث توسع في منح الأراضي لغير طبقة الفرسان وأعضاء مجلس الشيوخ في عصر الإمبراطورية^(٥).

(١)

Gsell, s. op. cit. viii. P. 172.

(٢) إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص ٦٨٤.

(٣)

Gsell, S. op. cit. viii. P. 172.

(٤)

Appian. Bell. Civ. iv. 56.

(٥) رستوفتزف، مرجع سابق، ص ٣٩٦.

وعلى أرض الولاية الجديدة وجدت العديد من المدن منها التي أخذت شكل المستعمرات، ومنها ما ظل على حالته كمدينة حرة، وكانت مدينة كيرتا من أهم مدن الولاية الجديدة كما كانت من أهم المناطق التي أعطيت لستيبوس Colonia Cirta Sitianorum^(١) أنشأ فيها مصانع لصناعة الأسلحة واستقر فيها أنصاره بعد موته واحتفظوا بالأراضي المجاورة التي كانت ترتبط إداريا بولاية أفريقيا البروقنصلية، بعد ضم ولايتي أفريقيا.

ونلاحظ أن عملة مدينة كيرتا قد صنفت على سلسلتين الأولى والتي صدرت قبل عام ٤٦ ق.م وكانت تخص الملوك النوميديين الذين تعاقبوا على حكم مملكة نوميديا، وهذه العملة كانت تصدر وعليها كتابات بونية، أما السلسلة الثانية وهي التي صدرت بعد عام ٤٦ ق.م وكانت تحمل اسم ستيوس وعليها كتابات لاتينية، وكما يذكر أن إصدار العملة كان متوفرا وكفاية في هذه المدينة على عهد ستيوس،^(٢) ولكن البعض يرجح أن سك العملة في كيرتا والتي كانت تحمل اسمه كان في فترة لاحقة على موت ستيوس، وهذا ربما يكون مقبولا على قصر فترة حكم ستيوس (٤٦-٤٤ ق.م) ومن ناحية أخرى ربما يكون ستيوس قد اعتمد على عملة كانت متداولة في هذه المنطقة سابقة على وجوده^(٣).

وفي نفس المنطقة المجاورة لكيرتا أقيمت أربعة مستعمرات لأنصار ستيوس

هي:-

Minervia chullu Coloniae Iulia Iuvenalis Honoris et virtutis et virtutis cirta;

روسكادي^(٤) Veneria Rusicade ومليف Sarnensis Milev^(٥) ومن المحتمل أن إقامة

Pliny. V. ii. 22.

Mazard. J. op. cit. p. 155.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 158.

(١) كانت روسكادي مدينة ساحلية موطنًا فيليبيا قديما ولكن لم يوجد أي أثر عن هذه الفترة البونية وكانت مستعمرة لأنصار ستيوس بنيت مدينة فليبفيل (Philippeville) الحالية على الموقع القديم، كما بنيت أسوار - المدينة الجديدة بانقراض روسكادي، العملات التي صدرت فيها كانت قليلة الانشار وكلمة روسكادي تعني عند الوطنيين (رأس الثروة) راجع الخريطة رقم (٦) و. Mazard. J. op. cit. pp. 159-160.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 159.

هذه المستعمرات كان في فترة معاصرة لإنشاء مستعمرة كيرتا وأقيمت هذه المستعمرات بالقرب من المدن القديمة^(١).

كانت حكومة المستعمرات الأربعة في كيرتا ولها مستشار محلي واحد، كما كانت العملات تصدر لمجموعة المستعمرات وليس لكيرتا فقط كما كانت أوصاف المستعمرات الأربعة تكتب على عملات كيرتا التي تنتمي إلى ستيوس^(٢). ويرجع البعض أن إضافة بعض الأوصاف إلى جانب أسماء المدن التي أقيمت عندها هذه المستعمرات مثل Veneria وMinervia وعدم ذكر لفظة المستعمرة في الفترة الأولى من إنشاء هذه المستعمرات الخاصة بستيوس ربما يرجع إلى أن هذه المدن لم تكن ترفى إلى مستوى المستعمرة^(٣) وربما كانت بلديات Oppida أو قرى Pagi حسبما وردت عند بليني الكبير^(٤) أما لفظة مستعمرة Colonia فقد أضيفت لأسماء المدن السابقة بعد موت ستيوس الذي تبع موت قيصر بشهور قليلة فأصبحت تذكر مستعمرة كيرتا ومستعمرة روسكادي وشولو ومليف^(٥).

مرت كيرتا بثلاث مراحل خلال هذه الفترة الأولى في عام ٤٦ ق.م عندما أعطى قيصر هذا الجزء من نوميديا لستيوس مكافأة له على خدماته في الحرب الأفريقية، الفترة الثانية في عام ٤٤ ق.م وهي سنة موت ستيوس حيث حصل رفاء ستيوس على بعض الأراضي في هذه المنطقة، أما المرحلة الثالثة فهي التي إنضمت فيها منطقة كيرتا إلى ولاية أفريقيا البروقنصلية وما أدخله أغسطس من تنظيمات لشمال أفريقيا ككل^(٦).

Gsell. S. op. cit. viii. P. 161.

Mazard. J. op. cit. P. 155.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 160.

Pliny. V. ii. 22.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 160.

Mazard. J. op. cit. P. 155.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

وفيما يخص المستعمرة التي عرفت بأسم مستعمرة رفقاء ستيوس Colonia cirta Sittianorum فمن المحتمل أنها لم تشكل إلا بعد موت ستيوس، أما سكان هذه المستعمرة فقد أقاموا إقامة طبيعية في مدينة كيرتا والمدن المجاورة لها، وعلى الرغم من غياب الدلائل الفاصلة لذلك فإنه من المحتمل أن المستعمرات السابقة الذكر قد أقيمت في فترة معاصرة لكيرتا ويرجع ذلك إلى امتداد المنطقة التي كان يسيطر عليها ستيوس بطول مملكة موريتانيا الذي جعل من الضروري إنشاء عدة مراكز أساسية لإقامة المواطنين الرومان حتى يمكنهم التصرف في شئونهم الخاصة^(١).

وهذه المراكز سواء أكانت بلديات أو قرى أو أصبحت مستعمرات فيما بعد فإنها قد أقيمت بالقرب من المدن النوميدية أو الفينيقيّة القديمة وكما سبقت الإشارة أن الحاكم كان يقيم في مدينة كيرتا ويدلل على أن المستعمرات في ولاية أفريقيا الجديدة كانت ملحقة بمدينة كيرتا ولكن هذا أمر يحتاج لتأكيد^(٢).

ولم يقتصر توطين واستقرار الرومان في ولاية أفريقيا الجديدة على إنشاء المستعمرات فقط فكانت هناك المدن التي لم تأخذ صفة المستعمرة مثل مدينة سيكا Sicca وبولا ريجيا Bulla Regia^(٣) وكذلك مدينة طبرقة Tabraca^(٤) ويلاحظ خلال تلك الفترة التي أعقبت ضم مملكة نوميديا أن الولاية الجديدة حظيت باهتمام الرومان وخاصة في نواحي الاستقرار والتوطين الروماني، وربما كان يرجع ذلك إلى أن الولاية القديمة كانت منذ فترة طويلة تحت سيطرة الرومان ابتداء من عام ١٤٦ ق.م. والواقع أن مدينة قرطاجة في الولاية القديمة وكيرتا في الولاية الجديدة بعد أن أصبحتا مستعمرتين أعطيتا المدينتان مناطق خصبة واسعة وكانت كل مستعمرة

Gsell. S. op. cit. viii. P. 161.

(١)

(٢) رستوفتسوف. مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٣) يرجع تأسيس مدينة بولا ريجيا Bulla Regia إلى فترة حكم ملوك نوميديا وهذه المدينة كانت خارج مستلكات قرطاجة. راجع الخريطة رقم (٦) و. (Paris. "Bulla Regia" (Fauilles Recentes A. Quoniam. P., pp. 460. FF.; Pliny. V. ii. 22. 1952).

Pliny. V. ii. 22.

(٤)

تعتبر مركزا للعديد من المدن والقرى الأفريقية، وكانت بعض هذه المراكز يطلق عليها اسم القلاع الصغيرة Castella أقيمت بغرض الدفاع والأمن تحت مختلف الظروف، وخوفا من قيام أى ثورة تمرد فى هذه المناطق الواسعة. ولعبت قرطاجة دورا هاما فى حياة المدن التى بعثت من جديد يشهد بذلك بقاء عبادة مدينة قرطاجة فى بلدان كثيرة تحت الحكم الرومانى، وبالإضافة إلى الذين إستقروا فى المستعمرات من الرومان منح الكثير من قدماء المحاربين فى جيش قيصر قطعا من الأرض فى أفريقيا^(١).

أختلفت الطريقة التى تم بها إدخال شمال أفريقيا فى حوزة الرومان، ففي عام ١٤٦ ق.م كان إنشاء ولاية أفريقيا يعتبر عقابا لقرطاجة وإنهاء النفوذ الفينيقي فى أفريقيا كما سبقت الإشارة، وظل الإحتلال الرومانى لشمال أفريقيا يأخذ صفة الإحتلال الحربى لوقت طويل، وخلال هذه الفترة لم تحاول روما أن تغير من وضع أفريقيا وتجعل منها مستعمرة رومانية بالمعنى الذى إتبعه قيصر بعد عام ٤٦ ق.م وأكتفت الحكومة الرومانية بأن يتولى شئون هذه الولاية أحد الحكام تحت اسم البراياتور أو القنصل ثم تغير وضعهم إلى بروبراياتور أو بروقنصل، واكتفت روما بما تحصل عليه من ضرائب فرضتها على مدن الولاية فضلا عن موارد الغلال التى كانت تحصل عليها وتكفى لتموين روما لمدة ثمانية شهور^(٢). وهذا ما يبرر حرص روما على عدم ترك ولاية أفريقيا والأقاليم النوميديية المجاورة لها أن تقع تحت سيطرة الأفراد والجماعات الرومانية، لان هذا كان سيعرض روما لأزمة خطيرة فى التموين، من جانب آخر فان روما كانت تسعى بكل قوة لإحباط أى محاولة لإنشاء مستعمرات خارج إيطاليا مثلما قاومت محاولة جايوس جراكوس لإقامة مستعمرة يونونيا فى أفريقيا^(٣).

(١) رستوفتزنف، مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٢)

(٣)

Fage. T. D. op. cit. p. 203.

Appian. Bunic wars. Viii. 136.

أما بعد عام ٤٦ ق.م وبعد تكرار الثورات في مملكة نوميديا والتي سبقت الإشارة إليها والتي كانت تعرض ولاية أفريقية القديمة للخطر أو تهديدها بمعنى أدق، بل وأن هذه الثورات كانت تحرم روما من موارد نوميديا الاقتصادية لذلك كان ضم مملكة نوميديا على عهد قيصر من الأمور المستحسنة في نظر الرومان، وزيادة على ذلك فإن كثرة عدد الجنود المسرحين وتكديس العاطلين في روما كان الدافع وراء تشجيع روما لإنشاء المستعمرات خارج إيطاليا في هذا الوقت لإمتصاص الفائض من السكان.

وفكرة توطين الرومان في الأرض الأفريقية قديمة جدا، حتى قبل إنشاء الولايات الرومانية في أفريقيا، فيذكر لفيوس أن سقبيو الأفريقي كان قد وعد جنوده بمنحهم إقطاعيات في المدن الخاصة بقرطاجة في حالة إنتصاره على هذه المدينة، ولا يعرف بالضبط إذا كان سقبيو قد نفذ وعده بعد إنتصاره على قرطاجة في زاما عام ٢٠٢ ق.م أم أنها كانت عملية شحذ لهمم جنوده في حربيهم ضد القرطاجيين^(١).

أخذت المستعمرات الرومانية في شمال أفريقيا طابع إندماج الرومان مع الأفريقيين من سكان المدن التي أقيمت فيها هذه المستعمرات والمناطق المجاورة لها، وكان ذلك لابد أن يحدث بالضرورة لأن طابع المستعمرات، كان زراعيا أو صناعيا أو تجاريا حسب الأغراض التي أقيمت من أجلها المستعمرة ومن الأمر الطبيعي الاعتماد على الأفريقيين في الأعمال التي تحتاج إليها المستعمرات في الأعمال الزراعية أو حفر القنوات والآبار أو أعمال التشييد بمختلف أنواعها^(٢).

أما عن حقوق المواطنة الرومانية فقد منحت للكثير من الفينيقيين أو الوطنيين من أصل أفريقي (حتى قبل أن يصدر بها قرار في عام ٢١٢م)، وشمل الإمتياز كل الأقاليم المحررة، كما منحت المواطنة الرومانية للأفراد الأفريقيين كمكافأة على الخدمات التي قدموها لروما، الأمر الآخر هو منح الأفريقيين من سكان المدن حقوق المواطنة الكاملة، ثم

Livy. xxx. 9.

Fage. T. D. op. cit. P. 203.

(١)

(٢)

منحت بعض المدن الأفريقية ما يسمى بالوضع اللاتيني Latin Status على غرار المدن المجاورة لإقليم لاتيوم. من هذه المدن مدينة أوتيكا والتي حصلت على هذا الوضع في عام ٥٩ ق.م ومثل هذا النوع قد إنتشر بصفة كبيرة حتى أصبح شاملا في عهد أغسطس (١).

ويمكن الاستدلال على الدستور الخاص بالمستعمرات عن طريق التعرف على اتجاهات قيصر من دستور إحدى المستعمرات، هي مستعمرة جنيتيفا Colonia Genetiva Iulia التي أقيمت في أسبانيا، ويتضح منه أن قيصر هو الذي عين الفئة الأولى من حكام هذه المستعمرة وأحتفظ لنفسه بحق تعيين الحكام مستقبلا، ونص دستور هذه المستعمرة ألا يحق لأي عضو من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني أو لابن أحد من هؤلاء الأعضاء أن يكون راعيا Patronus للمستعمرة إلا إذا كان مواطنا عاديا في إيطاليا لا يتمتع بسلطة الأمبريوم Imperium (٢) وبشرط أن يوافق على اختياره ثلاثة أرباع أعضاء المجلس التشريعي المحلي. كما يتضمن الدستور عقوبات صارمة على جريمة الرشوة أثناء الانتخابات (٣).

وعلى الرغم من أن الدستور الخاص بإدارة المستعمرات والمجالس البلدية في شمال أفريقيا كان يسير على النظام الروماني (٤) إلا أن الجديد هو إدخال قيصر مبدأ دستوريا جديدا بأن أعطى الفرصة للعتقاء Liberti بعضوية المجالس التشريعية المحلية في المستعمرات ذلك أن دستور المستعمرة، السابقة الذكر نص على عدم الاعتراض على حق أي مواطن من مواطنيها في أن يكون عضوا Decurio في المجلس التشريعي على أساس أنه من العتقاء، وهذا المبدأ كان مطبقا في المستعمرات التي أسسها قيصر في أفريقيا مثل قوربيس وكلوبيا (٥).

(١)

Fage. T.D. op. cit., P. 202.

(٢) كانت سلطة الأمبريوم Imperium وهي أعلى سلطة إدارية يتمتع بها كبار موظفي الدولة الرومانية في منطقة نفوذهم وهي الولاية.

(٣) إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص ٦٨٦.

(٤)

Fage. T. D. op. cit. p. 202.

(٥) إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص ٦٨٦.

وإذا كان خصوم قيصر قد اضطروا لتجنيد أجناب من سكان الولايات في أفريقيا وأسبانيا أثناء الحروب الأهلية إلا أن قيصر لم يَقم بمثل هذا الإجراء لأن ذلك كان لا يتمشى وسياسة الدولة الرومانية، وفيما عدا الفرقة الخامسة الأوداي Legion V Alaudae التي تشكلت في غالة فيما وراء الألب عام ٥١ ق.م (١) والتي منحت حق المواطنة الرومانية لم يكن هناك فرقا عسكرية لقيصر تشتمل على نسبة كبيرة من الجنود غير الإيطاليين، وحتى الفرقة الخامسة alaudae الأوداي لم يجعلها قيصر فرقة نظامية ذات رقم ثابت إلا بعد قيام الحرب الأهلية (٢).

وليس هناك دليلا على أن قيصر قد جند فرقا عسكرية من الأفريقيين أثناء الحملة الأفريقية، وأن ما كان من جنود قد شاركوا في الحرب إلى جانب قيصر فهي إما أن تكون فرقا من المرتزقة تحت قيادة المغامر الإيطالي ستيوس كان قد شكلها قبل مجيء قيصر على أفريقيا وحصلت على أراض حول كيرتا، وإما أن تكون فرقا عسكرية تحت قيادة ملوك موريتانيا وهم بالطبع أفريقيون تحت قيادة بوخوس الشاب المعاصر لقيصر. وفيما بعد الحرب الأفريقية فإن مساعدة ملوك موريتانيا لقيصر في أسبانيا كما سبقت الإشارة ووجود قوات مورية في الحرب كانت تحت قيادة بوجود ملك موريتانيا الغربية وأبناء بوخوس.

ويعتبر عصر قيصر بداية فترة جديدة من تاريخ شمال أفريقيا ولكن مقتله في أوائل عام ٤٤ ق.م تسبب في إخفاء ما كان ينويه من أعمال وتنظيمات لروما والولايات الخارجية.

الفصل الخامس

أفريقيا تحت حكم أغسطس

- أوضاع شمال أفريقيا بعد مقتل قيصر.
- أفريقيا تحت حكم أغسطس.
- الاستعمار الروماني لأفريقيا على عهد أغسطس.



الفصل الخامس

أفريقيا تحت حكم أغسطس

أوضاع شمال أفريقيا بعد قتل قيصر:-

شهدت أفريقيا بعد مقتل قيصر سلسلة من الصراعات بين أنصار الجمهورية من جانب وبين أنطونيوس Marcus Antonius وجايوس أكتافيوس Gaius Octavius من جانب آخر. وقبل الحديث عن أوضاع شمال أفريقيا خلال تلك الفترة تجدر الإشارة إلى أهم الأحداث في روما بعد مقتل قيصر والتي أثرت بدورها على أفريقيا.

ففي السابع عشر من شهر مارس عام ٤٤ قبل الميلاد وبعد قتل قيصر مباشرة إنعقد مجلس الشيوخ الروماني وأظهرت غالبية كبيرة من أعضائه تأييدها للمتآمرين، وأمام خوف الحكومة الرومانية من أنصار قيصر وعلى وجه الخصوص من ماركوس أنطونيوس الفصل الوحيد والذي تركزت في يده كل السلطة ويرافقه في ذلك ماركوس ليبيدوس رئيس الفرسان، تم الاتفاق على العفو عن المتآمرين من قتله قيصر مقابل التصديق على تنظيمات قيصر وإقرار وصيته ^(١) والإحتفال رسمياً بجنائزته، ومع ذلك فلم يجرؤ قتلة قيصر على البقاء في روما فرحل دكيμος بروتوس Decimus Brutus إلى ولايته غالة القريبة وهرب كل من ماركوس بروتوس Marcus Brutus وجايوس كاسيوس Gaius Cassius من روما ^(٢).

وفي أبريل من عام ٤٣ ق.م كانت فرصة أكتافيوس للظهور على مسرح السياسة الرومانية، ومبعث ذلك أنه عندما أراد أنطونيوس إقصاء دكيμος بروتوس من ولايته غالة القريبة والاستيلاء عليها، قرر مجلس الشيوخ محاربة أنطونيوس ووقعت هذه المهمة على جانق بانسا Gaius Pansa وأولوس هيرتيوس Aulus Hirtius فنصلى عام ٤٣ ق.م ^(٣)

(١) أوصى قيصر بأن تكون حدائقه على الضفة اليمنى للنهر النيبير متنزهاً عاماً، وأوصى لكل مواطن روماني بهبة مقدارها ٣٠٠ سسترنيليوس، وتبلى جايوس أكتافيوس وهو ابن أختة جوليا وجعله وريثاً للثلاثة أرباع ثروته.

عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٣٤٢. وراجع شكل (٢٢) بالملحق.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣)

بمساعدة أكتافىوس بعد أن منحه مجلس الشيوخ سلطة بروبرايتور *Propraetore*، وتمكنت القوات المتحالفة من هزيمة أنطونيوس في معركة موتينا *Mutina* (١) وعندما قتل القنصلان في المعركة أسند مجلس الشيوخ الرومانى مهمة مطاردة أنطونيوس إلى دكىموس بروتوس متجاهلا بذلك أكتافىوس الذى أغضبه تصرف مجلس الشيوخ، وطالب بترشيحه قنصلا، وعندما رفض مجلس الشيوخ طلبه، دخل روما عنوة وتمكن من الفوز بقنصلية العام القادم (٤٢ ق.م) مع بديوس *Pedius* كزميل له والذى أصدر قانون *Lex Pedia* بمحاكمة قتلة قيصر ومعاقبة سكستىوس بومبى والغاء قرار مجلس الشيوخ باعلان أنطونيوس عدوا للدولة.

وكان مجلس الشيوخ الرومانى قد استدعى لبيدوس *Lepidus* من أسبانيا لنجدة دكىموس بروتوس، ولكن لبيدوس كان من أنصار قيصر فرفض المساعدة بل انضم الى أنطونيوس وتمكنا من قتل دكىموس بروتوس وتهيبا للزحف على إيطاليا التى كانت مهمة الدفاع عنها بيد أكتافىوس الذى أسرع بالزحف شمالا للدفاع ولصد قوات المتحالفين، ولما كان الفريقان من أنصار قيصر فقد تغلبت المصلحة على العداوة وانفقوا على توحيد جهودهم ضد ماركوس بروتوس وجايوس كاسيوس وتكوين حكومة يحكمون بمقتضاها روما والأقاليم التابعة لها، ومن هنا كان بدء تكوين الحكومة الثلاثية الثانية *Triumviri reipublicae Constituendae* لمدة خمس سنوات تبدأ من نوفمبر عام ٤٣ ق.م وتنتهى فى ديسمبر من عام ٣٨ ق.م وقسمت الولايات بين أعضاء الحكومة الثلاثية وأسندت ولايتا أفريقيا وصقلية وسردينيا الى أكتافىوس (٢).

سبقت الإشارة إلى التسوية التى وضعها بعد انتصاره فى عام ٤٦ ق.م على أنصار بومبى فى أفريقيا، وبمقتضى هذه التسوية قسمت مملكة يوبا الأول وماستينسا بين بوخوس وستيوس كما وأن ولاية أفريقيا الجديدة *Africa Nova* ضمت أجزاء منها، وأثناء وجود قيصر فى أفريقيا لجأ أرابيون *Arabion* ابن ماستينسا إلى أسبانيا ليتحالف

(١)

Cicero. Philipp. xi. ix. 21.; xi. x. 23.

(٢) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٣٤٦ وما بعدها.

مع سكستوس بومبي، مما مكنه من العودة إلى أفريقيا بعد مقتل قيصر مباشرة، وقام أرابيون بمحاولات جريئة لإسترداد ممتلكاته، وتمكن من طرد بوخوس من الإقليم الذى كان قد حصل عليه فى نوميديا الغربية، كما دخل فى صراعات مع ستيوس وتمكن من قتله عام ٤٤ ق.م (١) وأمام هذا الخطر الجديد تجمع رفاق ستيوس Sittiani فى مدينة كيرتا والمدن المجاورة لها، وانضمت المنطقة التى كانوا يقيمون فيها إلى ولاية أفريقيا الجديدة، وأصبحت مستعمرة رومانية (٢).

كانت ولاية أفريقيا القديمة تحت سيطرة كوينتوس كورنيفيكوس Quintus Cornificius فى الفترة التى أعقبت مقتل قيصر مباشرة، أما ولاية أفريقيا الجديدة فقد كانت تحت سيطرة تتيوس سكستوس Titus Sextius وبعد تقسيم الولايات بين أعضاء الحكومة الثلاثية الثانية كلف أكتافيوس نائبه تتيوس سكستوس بحكم ولايتى أفريقيا، ولكن كورنيفيكوس رفض الاعتراف بالحكومة الثلاثية كما رفض تسليم الولاية إلى النائب الجديد، وتعلل بأنه لا يعلم أى شئ عن قرارات الحكومة الثلاثية وأنه استلم الولاية من مجلس الشيوخ ولن يتنازل عنها إلا بأمر منه، ومن هنا دارت الحرب بين الجانبين، لعب فيها أرابيون Arabion دورا كاد أن يكون مهما ولكن تبدل أدواره بين سكستوس Sextius مرة وكورنيفيكوس مرة ثانية أفقده قيمته (٣).

وعند بداية الحرب بين الجانبين طلب كل فريق مساعدة النوميدي أرابيون Arabion، الذى قرر مساعدة كورنيفيكوس Cornificius ضد نائب عضو الحكومة الثلاثية، ومعروف سلفا مدى الخلاف بين ملوك نوميديا وقيصر، ولما كان سكستوس يمثل هذا الجانب من أنصار قيصر، فقد قرر أرابيون الوقوف إلى جانب كورنيفيكوس (٤)، قام سكستوس بالهجوم على مدن ولاية أفريقيا القديمة وأستولى على مدينة هادروميوم (٥) ومدن أخرى عديدة ولكنه لم يتمكن من الصمود أمام فنتديوس

Appian. Bell. civ. iv. 54.

(١)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 184.

(٢)

Appian. Bell. civ. iv. 53.

(٣)

Ibid. iv. 54.

(٤)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 189.

(٥)

Ventidius أحد قواد كورنيفكيوس ومنى بهزيمة كبيرة، وفي نفس الوقت تقدمت قوات خصومه بمساعدة أرابيون وحاصروا مدينة كيرتا^(١).

وأثناء عودة سكستوس إلى ولاية أفريقيا الجديدة لتخليصها من سيطرة قواد كورنيفكيوس رجحت كفته وزادت قوته بإنضمام أرابيون إليه، ولم يعرف لماذا تخلى أرابيون عن مساعدة كورنيفكيوس^(٢)؟ ولكن المعروف أن المساعدة الكبيرة التي قدمها أرابيون مكنت سكستوس من فك حصار مدينة كيرتا وتشتيت قوات كورنيفكيوس فضلا عن الهجوم الذي قام به سكستوس على مدينة أوتيكا وتشتيت قوات خصومه، التي هرب جانب كبير منها إلى صقلية لمساعدة سكستوس بومبي، بل أن كورنيفكيوس قد مات في هذه المعركة وبذلك خضعت ولايتا أفريقيا إلى نائب أكتافيوس^(٣).

وفي عام ٤٢ ق.م كانت موقعة فيليبى Philippi^(٤) بين قتلة قيصر ماركوس بروتوس وجايوس كاسيوس وأعضاء الحكومة الثلاثية أكتافيوس وأنطونيوس وفي المرحلة الأولى من المعركة ضعف جانب قتلة قيصر بموت كاسيوس، وفي اليوم الثاني من المعركة قُتل ماركوس بروتوس وتشتت جيشه وقتل من معه^(٥).

وفي نهاية المعركة وبعد الانتصار على قتلة قيصر حدث تقسيم جديد للولايات الرومانية فيما بين أكتافيوس وأنطونيوس وكان لبيدوس قد أستبعد مؤقتا للتشكك في نواياه واتهامه بالتحالف مع سكستوس بومبي، وخلال التقسيم الجديد للولايات أسندت ولايتا أفريقيا إلى أكتافيوس على أن تمنح لزميلهما لبيدوس لو أثبت حسن النية في المستقبل^(٦).

(1) Appian. Bell. civ. iv. 53.

(2) Gsell. S. op. cit. viii. P. 190.

(3) Gsell. S. op. cit. viii. P. 190.

(٤) دارت معارك موقعة فيليبى على مدينة بنفس الاسم تقع على الحدود بين مقدونيا و تراقيا في نهاية عام ٤٢ ق.م عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٥)

Livy. Iv. Cxxiv.

(٦) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٣٥٠.

وخلال عام ٤١ ق.م كانت ولايتا أفريقيا بمقتضى التقسيم الأخير من نصيب أكتافايوس وكان نائبه فى هذه المرة هو فانجو. Fuficius Fango وأصبح ضروريا أن يسلم تتيوس سكستىوس الولايات الأفريقية إلى الحاكم الجديد، ولكنه رفض قبول التغيير الجديد وعند هذا قرر فانجو مقاومة سكستىوس، ولكن الأخير كان قد التف حوله مجموعة كبيرة من جنود أرابيون النوميدي فضلًا عن أنصار ستيوس، واستمر أرابيون فى مساعدة سكستىوس إلى أن تغلب على خصمه فانجو وحقق كثيرًا من الانتصارات ودانت له الولايتان الأفريقيتان، ولكنه تشكك فى نوايا أرابيون فقتله، وبذلك إنتهت آخر مرحلة صارع فيها أرابيون الرومان على حكم نوميديا^(١).

عهد أكتافايوس فى عام ٤٠ ق.م الى زميله ليبدوس بولايتى أفريقيا حسب التعهد الذى أعقب موقعة فيليبى كما سبقت الإشارة، وفى العام الثانى أراد مهادنة سكستىوس بومبى فأعطاه ولاية صقلية على أن يكون حاكما عليها^(٢) ولكن سكستىوس بومبى كان قد صمم على إثارة المتاعب لأعضاء الحكومة الثلاثية من أنصار قيصر، فقاد نشاط قراصنة البحر المتوسط، وعرض تجارة روما والبحر المتوسط لأخطار عديدة^(٣)، وخشى أكتافايوس أن يزداد نشاط القراصنة الذين يقودهم سكستىوس بومبى ويعرضون روما للخطر يوما ما، فعزم على القضاء على هذا الخطر فى مكمته، وتطلب ذلك استدعاء ليبدوس من أفريقيا بما لديه من قوات والاستعانة ببعض سفن أنطونيوس، لى ليبدوس النداء ودارت المعارك بين الجانبين تمكن فيها إكتافايوس من هزيمة سكستىوس بومبى، الذى فر جهة الشرق لمتابعة الصراع مرة ثانية ضد أنصار قيصر ولكنه وقع فى قبضة أنطونيوس ولقى حتفه، ويرجع الفضل فى انتصار أكتافايوس على سكستىوس بومبى الى مهارة قائده أجريبا Marcus Vispanius Agrippa^(٤) وبعد الإنتهاء من هذه الحرب دب النزاع بين أكتافايوس وليبدوس على صقلية، وأسفرت هذه المنازعات عن تخرى قوات

Gsell. S. op. cit. viii. P. 192.

Livy. lv. cxxvii

Ibid. cxxviii.

(١) ولد أجريبا Agrippa فى عام ٦٣ ق.م، وكان من أهم الشخصيات العسكرية على عهد أغسطس، قام بعمل خريطة للعالم حفرها أغسطس على حجر من المرمر، توفى أجريبا فى عام ١٢ ق.م. Plutarch Demosthenes and Cicero. III.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ليبيدوس عنه وانضمامها إلى أكتافىوس، وانتزعت ولايات أفريقيا منه وأصبحت منذ عام ٣٦ ق.م تحت سيطرة أكتافىوس مباشرة^(١).

لم يقتصر تأثير الأحداث في روما على ولايتي أفريقيا، بل إمتد هذا التأثير على مملكة موريتانيا أيضا، ففي الوقت الذي كان فيه الملك بوخوس ملك موريتانيا الشرقية يناصر أكتافىوس، كان بوجود ملك موريتانيا الغربية يناصر أنطونيوس، وقام بوجود بتنظيم حملة قادها بنفسه على أسبانيا لصالح أنطونيوس في عام ٣٨ ق.م، وأثناء غيابه في أسبانيا قامت ثورة عنيفة ضده في مدينة طنجة Tingi^(٢) وانتهز بوخوس هذه الفرصة واستولى على مملكة بوجود، وانضمت المدينة الثائرة إليه. وعند عودة بوجود من أسبانيا لم يتمكن من دخول مملكته ولذلك فضل الاتجاه ناحية الشرق ليلحق بأنطونيوس^(٣).

أستمر بوخوس في حكم مملكة موريتانيا في الفترة التي أعقبت هروب بوجود إلى الشرق، ومن الواضح أن استيلاء بوخوس على الجانب الغربى من مملكة موريتانيا كان يعلم أكتافىوس، غير أن فترة حكم بوخوس على موريتانيا لم تدم طويلا فقد مات في عام ٣٣ ق.م دون ورثة شرعيين^(٤) ولم يحاول أكتافىوس ضم هذه المنطقة إلى الولايات الأفريقية كما أنه لم يعمل منها ولاية جديدة، وحسب ما يذكره ديون كاسيوس أن موريتانيا لم تكن بين الولايات الغربية التي كانت تحت سيطرة أكتافىوس حتى عام ٣٢ ق.م^(٥) والمرجح أنها كانت خاضعة لسلطة أكتافىوس مباشرة.

أفريقيا تحت حكم أغسطس:-

إتسعت هوة الخلاف بين أنطونيوس وأكتافىوس وبلغت مداها بسبب علاقة أنطونيوس بكليوباترة ملكة مصر وإعلانه رسميا الزواج منها واعترافه بقيصر ابن

(١) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

(٢)

Dio Cassius. xlviii. 45.2.

(٣)

Appian. Bell. civ. v. 26.

(٤)

Mazard. J. op. cit. p. 60.; Fage. T.d. op. cit. P. 190.

(٥)

Dio Cassius. xlix, 43. 7

يوليوس قيصر^(١)، وانتهى الخلاف بقيام الحرب بين الجانبين في غرب بلاد الإغريق عند خليج أكتيوم Actium في عام ٣١ ق.م، وكانت نتيجة الحرب قد تحددت في صالح أكتافيوس، ودخلت مصر في نطاق النفوذ الروماني^(٢) وأصبحت منطقة شمال أفريقيا من مصر حتى المحيط الأطلسي تحت سيطرة، روما مباشرة.

أصبح أمر روما وإمبراطوريتها بيد الإمبراطور أغسطس Augustus في عام ٢٧ ق.م. وهو نفس العام الذي منح فيه أكتافيوس لقب أغسطس، كما يعتبر هذا العام بداية الحكم الإمبراطوري الجديد^(٣) ووزع حكم الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ الروماني، فألحقت منطقة برقة بجزيرة كريت وكوننا معا ولاية مزدوجة مرة أخرى إذا كانت تكونان هذه الولاية من قبل في عام ٦٧ ق.م وكانت مسئولية هذه الولاية تقع على عاتق مجلس الشيوخ أما ولايتا أفريقيا فقد اتحدتا في ولاية واحدة عرفت باسم أفريقيا البروقنصلية Africa Proconsularis وعهد بإدارة هذه الولاية أيضا إلى مجلس الشيوخ^(٤).

وكانت مملكة موريثانيا بعد موت بوخوس الشاب في عام ٣٣ ق.م، كما تؤكد معظم المصادر تحت يد حاكمين رومانيين كان يقيم الأول في المنطقة الغربية والآخر في المنطقة الشرقية، وهذا الوضع ظل قائما لمدة ثمان سنوات هي فترة خلو العرش. ويذكر أيضا أن السلطات المحلية في مملكة موريثانيا قد شاركت الحاكمين في فترة خلو العرش^(٥).

وفي عام ٢٥ ق.م أراد الإمبراطور أغسطس توليه حاكم أفريقي على موريثانيا بعد أن ظلت فترة من الوقت تحت سيطرة حاكمين من الرومان (٣٣-٢٥) ق.م وكان هذا الحاكم هو يوبا الثاني بن يوبا الأول عدو قيصر في أفريقيا ومملك نوميديا القديم.

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الرابعة (القاهرة ١٩٧٦)، ص ٣٥٠.

Livy. Iv. Cxxxiv.

(٢) عبد الطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ٣٦١.

(٣)

Mazard. J. op. cit. p. 67.

(٤) مصطفى كمال عبد العليم، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٥)

ولقد أشار استرابون في وصفه لمنطقة ليبيا القديمة أن أغسطس كان قد منح يوبا الثاني بن يوبا الأول اقليما في أفريقيا أكبر من الأقليم الذي كان يسيطر عليه والده يوبا الأول، ولكنه لم يشر إلى حدود ونهايات هذا الأقليم وربما قصد بذلك مملكة موريثانيا^(١).

وإذا كانت بعض المصادر تذكر أن يوبا الثاني كان يحكم بعض المناطق من مملكة والده قبل أن يصدر قرار الإمبراطور بتوليته، وأنه سيطر على جزء من بلاد الجيتوليين التي كانت قد ضمت إلى الرومان بعد الاستيلاء عليها من يوبا الأول في نهاية الحرب الأفريقية التي قام بها قيصر عام ٤٦ ق.م، فإن الدلائل والاحداث التي جرت في أفريقيا في الفترة السابقة على عهد أغسطس تشير إلى أن يوبا الثاني لم يكن قد مارس سلطته في موريثانيا أو أفريقيا على حد سواء قبل عام ٢٥ ق.م، تلك السنة التي حكم فيها موريثانيا بصفة رسمية^(٢)، ومن المحتمل أن أغسطس كان قد أرسله إلى أفريقيا قبل هذا العام، ولكن بأي صفة؟! هل كموظف روماني، أم مواطن عادي؟ أو حاكم للمنطقة التي كان يسيطر عليها والده؟^(٣)

المعروف أن الإمبراطور أغسطس كان يعلم تمام العلم بحقيقة الأوضاع في شمال أفريقيا منذ إنتصار قيصر، فستيوس كان يسيطر على جزء من مملكة يوبا والتي ألحقت بولاية أفريقيا الجديدة بعد موت ستيوس، وبين أرض ستيوس وأفريقيا القديمة كانت الولاية الرومانية الجديدة Africa Nova منذ عام ٤٦ ق.م وكان لها حكامها التابعون لمجلس الشيوخ الروماني ثم ألحقت في النهاية وعلى عهد أغسطس بالولاية القديمة، ثم هناك جزء من مملكة يوبا الأول كان قد انضم إلى مملكة بوخوس إذن التسوية التي تبعت انتصار قيصر لم تدع مجالا لوجود يوبا الثاني في أفريقيا قبل عام ٢٥ ق.م^(٤).

(١) راجع شكل (٢٠) وراجع أيضا .

(٢)

(٣)

(٤)

Strabo. xvii. iii. 7

Gsell. S. op. cit. viii. P. 208.

Ibid. p. 209.

Ibid viii. P.209.

من المحتمل أن السبب في عدم ضم موريتانيا للولايات الرومانية في أفريقيا وإعطائها ليوبا الثاني يرجع إلى عدة أمور منها: أن الإمبراطورية الرومانية أرادت الارتباط مع مملكة وطنية حليفة تكون مهمتها حماية حدود الولاية الرومانية في أفريقيا، الأمر الثاني أن الولاية الرومانية الواسعة كانت من أهم مناطق إنتاج القمح والزيت، ولما كانت الإمبراطورية الرومانية حريصة على استمرار هذا الدخل أطول وقت ممكن، فلا بد من حراسة حدود هذه الولاية من الغرب والجنوب، وعهدت ليوبا الثاني بهذه المهمة، الأمر الآخر أن هذه المملكة وما تتمتع به من مصادر دخل عظيمة وأن السيطرة عليها كانت تحتاج إلى قوات كبيرة للاحتلال فضلا عن أن الأمبراطور أراد تخفيض عدد قواته، وفوق كل ذلك أن روما إذا أحست بضرورة ضم موريتانيا لباقي الولايات الأفريقية فإن هذا أمر ممكن أن يتم في أي وقت تشاء^(١).

لقد استمرت المناطق الجنوبية لولاية أفريقيا وجنوب مملكة موريتانيا في إثارة المتاعب للرومان في كل مكان لمدة طويلة، ولذلك فكروا في حماية هذه المناطق من غارات الأعداد الكبيرة من الرعاة المنتشرين في الصحراء الليبية وخاصة في الفترة الأولى من حكم أغسطس^(٢).

تطلب الأمن الروماني في شمال أفريقيا إحتلال هذه المنطقة إحتلالا عسكريا صريحا للقضاء على ثورة القبائل الليبية وخاصة في منطقة (سرت) حيث تقطن قبيلة النسامونيس القوية، وقد سبقت الإشارة إلى وجود نوعين من القبائل الليبية: قبائل عرفت الزراعة وألفت الاستقرار وخصوصا التي كانت على إتصال بالقرطاجيين فكانت مهمة الرومان في السيطرة عليهم أمرا سهلا، النوع الثاني هو القبائل الرعوية المتنقلة والتي تقوم بتحركات موسمية والتي كانت تسبب ضيقا لجباة الضرائب وملتزميها من الرومان لعدم تمكنهم من الحصول على الضرائب أمام كثرة تحرك هذه القبائل، وعند زوال سلطة قرطاجة ورث، الرومان علاقتها مع قبيلة الجرامنتيس

Gsell.s.op.cit. p. 214.

Fage. T. D. op. cit. P. 200.

(١)

(٢)

هذه القبيلة القوية التي عرفت الرعى والزراعة فضلا عن عملها كوسيط تجارى بين المناطق الداخلية والإقليم الساحلى وعندما أراد الرومان السيطرة على المناطق التى إعتادت قبيلة الجرامنتيس التحرك فيها بحرية كاملة واجهت العديد من الصعوبات والثورات حتى اضطرت السلطات الرومانية إلى القيام بالعديد من الحملات على هذه المناطق أشهرها الحملة التى قادها البروقنصل لوكيوس كورنيليوس بالبوس Lucius Cornelius Balbus فى عام ١٩ ق.م وتمكن من هزيمة هذه القبيلة والاستيلاء على عاصمتهم جراما Garama^(١).

أسفرت حملة بالبوس Balbus عن عدة نتائج منها: أن هذه الحملة هددت قوة الجرامنتيس حيث كانت أول مرة يهاجم فيها الرومان قبيلة الجرامنتيس فى عقرب دارهم، كذلك من الأمور التى ابتهج لها الرومان فى نهاية هذه الحملة هو اكتشاف إمكانية الوصول إلى فزان عن طريق الساحل، فضلا عن أن الجرامنتيس ظلوا بعد ذلك على حذر شديد من التدخل فى كل ما من شأنه أن يغضب روما بعد أن تعرفوا على قوة الرومان الحربية^(٢)، وألا يدخلوا فى خلاقات مباشرة معهم ولكنهم أسهموا فى أرجه النشاط المعادى الذى كان يبذله جيرانهم، فيلاحظ أن الجرامنتيس قد ساعدوا جيرانهم من المارمريداى فى برقة والذين قاموا بإثارة المتاعب للسلطات الرومانية، وتصدى لهذا الهجوم المشترك على برقة بولييكوس كويرينيوس بروبرايتور ولاية برقة وكريت^(٣).

ولم تكف القبائل الليبية عن الثورة ضد الرومان فى شمال أفريقيا، فقام تحالف بين قبيلة الموسولامى يساندهم الجيتوليون المقيمون فى النطاق الجنوبى من مملكة موريتانيا والولايات الرومانية الأفريقية، وهذا التحالف سبب الكثير من المتاعب لكورنيليوس كوسس Cornelius Cossus بروقنصل أفريقيا خلال عام ٦ ميلادية،^(٤)

(١) مصطفى كمال عبد العليم، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٧.

(٣) نفس المرجع، ص ٨٨.

(٤) ضريت عملات فى ذكرى الانتصار على الجيتوليين فى عام ٦، ٧ ميلادية، راجع Mazard. J. op. cit. p.88 وصور العملة فى ملحق الرسالة. وراجع أيضا Julien. Ch. A. op. cit. P. 143.

ولقد قامت هذه القبائل بالثورة ضد الملك يوبا الثانى، ورفضوا الإذعان للسلطة الرومانية، وزيادة على ذلك فقد قاموا بالإغارة على المنطقة الجنوبية من المملكة وأفريقيا البروقنصلية وخربوا البلاد وقتلوا العديد من الرومان، وتجدر الإشارة أن الملك يوبا قد ساعد الجيوش الرومانية حتى تمكنت من هزيمة الجيتوليين^(١) وأمام هذه الأخطار التى هددت الرومان، وضعف الملك يوبا وعجزه عن فرض النظام واحترام القبائل للرومان، أقامت الفرقة الثالثة الأوغسطية *Ligio III Augusta* معسكرها فى شمال شرق تبسة *Tebessa* فى قلب بلاد الموسولامى لحماية منطقة كيرتا وأفريقيا البروقنصلية^(٢).

والظاهر أن الإمبراطور أغسطس كان قد تخلى جزئيا عن سياسة الضرب الدفاعى ضد القبائل الليبية^(٣) وحاول اجتذابهم إلى الحياة المستقرة بأن دفع عنهم مظالم جباة الضرائب وكان الليبيون فى برقة قد ضاقوا بها ذرعا، ويعمل اختفاء نبات السالفيوم الذى أحكره ملوك قورينى ثم الرومان من بعدهم إلى اتباع وسائل خاطئة فى جنيه وربما إلى تحويل ملتزمى الضرائب أرض المراعى إلى أرض زراعية فلم تعد أرض برقة منتجة لهذا المحصول، وقد أعطى الرومان عناية خاصة للزراعة، وقاموا بتنفيذ الكثير من المشروعات التى تتطلبها الزراعة مثل حفر القنوات وبناء السدود والخزانات لتخزين المياه، ولقد كان الغرض من ذلك هو توفير الأمن والطمأنينة فتتحول القبائل من رعاة إلى مزارعين مرتبطين بالأرض^(٤)، وهذا ما حدا ببعض إلى القول بأن الإمبراطورية الرومانية كانت إلى جانب حرصها على وجود مصدر دائم لانتاج القمح، كانت ترى أن إجبار الليبيين فى شمال أفريقيا على زراعة القمح، يعتبر أحد عوامل نشر الأمن والسلام فى هذه المنطقة^(٥).

Gsell. S. op. cit. viii. P. 228.

Julien. Ch. A. op. cit. p. 155.

Ibid. p. 144.

Julien. Ch. A. op. cit. P. 160.

(١) مصطفى كمال عبد العليم. مرجع سابق، ص ٩٧.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

ويؤكد رستوفتسف (Rostovtzeff) أن الزراعة في شمال أفريقيا قد إنتشرت انتشارا كبيرا وخاصة في بداية القرن الأول الميلادي والقرون التالية له وكان يقوم بأمر هذه الحرفة التي كانت تشكل جزءاً هاماً من البلاد الفلاحون الذين يمتلكون بعض القطع الصغيرة أو يعملون في الضياع الكبيرة كمستأجرين Coloni وهؤلاء الفلاحون كانوا من السكان الأصليين ويسكن معظمهم القرى Vici^(١) وتشبه منطقة شمال أفريقيا مصر تماماً في أهميتها كمصدر للغلال، كما شهد العهد الروماني تقدماً ملحوظاً في إنتاج الزيتون والكروم وخاصة في أفريقيا البروقنصلية^(٢).

✖ وأمام خطر المناطق الجنوبية من ولاية أفريقيا البروقنصلية ومملكة موريتانيا قام الرومان بإنشاء الطرق التي ربطتهم بالمناطق الداخلية البعيدة عن السيطرة الرومانية^(٣) وكان الغرض الاساسي من إنشاء هذه الطرق في بداية الأمر غرضاً حربياً للمحافظة على الحدود الجنوبية، ولكن وصول الرومان إلى الجنوب أدى إلى تعرفهم على الموارد الطبيعية لهذه المناطق وحصولهم على الأخشاب والحيوانات البرية، وخاصة النوع الخطير منها من أجل استخدامها في الألعاب الرومانية^(٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السبب الرئيسي في إنقراض أو نقص الحيوانات من شمال أفريقيا في الفترة من نهاية القرن الأول قبل الميلاد وخلال القرن الأول الميلادي، ربما يرجع إلى زيادة طلب الرومان على هذه الحيوانات مثل الفيلة والأسود، من أجل إستخدامها في ألعاب الحلقة فقد أطلق قيصر ما يقرب من أربع مائة أسد ليصارعها المصارعون، وفعل نفس الشيء أغسطس عندما قتل ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمسمائة حيوان في الاستعراضات التي أقامها^(٥).

وإذا كانت الفيلة لم تحظ بإعجاب الرومان في ألعاب المصارعة، لأن بومبي

(١) رستوفتسف، مرجع سابق، ص ٤٠٦ .

(٢)

Fage. T. D. op. cit. P. 204.

(٣)

Strabo. xvii. iii. 12.

(٤)

Fage. T. D. op. cit. P. 204.

(٥)

Bovill. E. W. op. cit. P. 6.

عندما أستحضر أحد الجيتوليين لمصارعة الفيلة خاف الرومان من منظر الفيلة المقتولة، الا أن اشتداد طلب الرومان للعاج كان من أحد الأسباب في نقص هذا الحيوان من شمال أفريقيا خلال القرن الأول الميلادي (١).

عمل الرومان على التوسع فى إنشاء الطرق الموصلة إلى المناطق الداخلية وكانت قرطاجة مركزا للعديد من الطرق التى إنتشرت فى جميع أنحاء أفريقيا البروقنصلية، مثل الطريق الذى يبدأ من قرطاجة إلى هيبورجوس مرورا بمدينة طبرقة، وطريق آخر يسير موازيا الساحل الأيسر لنهر مجردة، وطريق من قرطاجة إلى لبكس ماجنا Lepcis Magna ويمر على المدن الهامة مثل هادروميتوم^(٢) ومن لبكس ماجنا يبدأ طريق آخر ينتهى فى منطقة الجرامنتيس ويوصل الرومان إلى المناطق الداخلية حصلوا على الأحجار الكريمة واليواقيت وأحجار البناء، وهذه الموارد كانت بديلا عن العاج الذى بدأ فى التلاشى^(٣).

وإذا كانت المناطق الجنوبية قد حظيت بقسط كبير من إهتمام الرومان خلال عصر أغسطس فإن الملك يوبا الثانى ملك موريتانيا قام بعملية كشف منظم لسواحل المحيط الأطلسى، وأقام العديد من المحطات التجارية على هذه السواحل، وأرسل الحملات الكشفية إلى الجزر المواجهة لمملكته فوصلت إلى جزر ميجادور، حيث أنشأ هناك محطة لاستخراج الصبغة الأرجوانية، التى تهافت عليها تجار روما وصدروها إلى المدن الإيطالية^(٤).

وفيما يختص باللغة في شمال أفريقيا على عهد أغسطس، فإنه على الرغم من دخول اللغة اللاتينية مع الاستعمار المنظم الذي قام به الرومان لهذه المنطقة إلا أن اللغة الفينيقية الحديثة كانت قد احتفظت بقوتها في المدن الساحلية كما كانت اللغة الرسمية الثانية بعد اللاتينية وخاصة في أوائل القرن الأول، ومع الافتراض أن اللغة

Bovill. E.w. op. cit. P. 7.

Julien. Ch. A. op. cit. P. 174.

Fage, T. D. op. cit. P. 204.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 234.

الفينيقية كانت قد فقدت بعض مكانتها أمام مقاومة اللغة اللاتينية، إلا أنه من الصعب التسليم باختفائها من شمال أفريقيا تماما بعد القرن الأول، ويمكن القول أن اللغة الفينيقية كانت قد استطاعت مقاومة اللغة اللاتينية في المناطق الداخلية، وإن كانت هذه المناطق قد تأثرت بقدر من مظاهر الحضارة الرومانية إلا أنهم في مجال اللغة لم يعرفوا عن اللاتينية سوى أبجديتها^(١).

وفضلا عن اللغة ظل التأثير الفينيقي فيما يختص بالنواحي الدينية في شمال أفريقيا خلال القرن الأول من عصر الإمبراطورية واضحا، فكانت تانيت Tanit وبعيل حامون Baal Hammon أهم المعبودات القرطاجية التي استمرت عبادتها في شمال أفريقيا، وإن كان البعض منهم قد استتر تحت أسماء لاتينية مثل الإله بعيل حامون الذي عرف تحت اسم ساتورنيوس Saturnus (اله الزراعة عند الرومان)^(٢). ولم تنجح محاولة الرومان في فرض ديانتهم على سكان الشمال الأفريقي، وهذا ما أثبتته النقوش التي اكتشفت في تونس عن وجود الآلهة المحلية على النقوش اللاتينية جنبا إلى جنب الآلهة الرومانية، وقد عثر في مدينة هنشير متكيد Henchir Metkides في غرب تبسة Tebessa على معبد أقيم تكريما للإمبراطور أغسطس، وعلى نقش معبد هذه المدينة وجد خمسة آلهة اختلفت الآراء حول صفتها، هل هي آلهة ليبية فينيقية أم هي آلهة محلية؟ ونظرا لعدم وجود قرائن لهذه الآلهة في النقوش الليبية والفينيقية لشمال أفريقيا فقد رجح البعض أنها آلهة محلية مساعدة للإله الأعلى الليبي الفينيقي بعيل حامون الذي عرف تحت اسم ساتورنيوس^(٣).

ومن المحتمل أن عبادة الإلهة المصرية إيزيس Isis كانت قد إنتشرت في مملكة موريثانيا على عهد الإمبراطور أغسطس، فزوجة يوبا الثاني ملك موريثانيا كيلوباترة سيليني كانت سليفة أسرة البطالمة في مصر، وقد أكدت مصادر العملة وجود رمز إيزيس على عملات الملك يوبا^(٤) ولم يعرف على وجه التحديد عما إذا كانت عبادة

(١) مصطفى كمال عبد العظيم، مرجع سابق ص ص ٩٨-٩٩.

(٢)

Fage. T. D. op. cit. P. 203.

(٣)

Merlin. A. op. cit. P. 362. (١١) راجع شكل رقم

(٤)

مراجع شكل (٢١) راجع أيضا. Mazard. J. op. cit. p. 93.

إيزيس قد أخذت شكلا رسميا في مملكة موريتانيا، غير أن البعض يؤكد أن عبادة إيزيس كانت قد تركزت في قيصرية عاصمة موريتانيا ولم تتعد البلاط الملكي^(١). وظل الأمر هكذا بالنسبة للأوضاع الدينية في شمال أفريقيا حتى تحول سكان المنطقة إلى الديانة المسيحية في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

الاستعمار الروماني لأفريقيا علي عهد أغسطس:-

امتازت فترة حكم أغسطس على أفريقيا عن الفترة السابقة لها بالتوسع في إنشاء المستعمرات الرومانية في طول البلاد وعرضها، فضلا عن المستعمرات السابقة التي أقيمت في عهد قيصر أنشئت عدة مستعمرات في ولاية أفريقيا البروقنصلية ومملكة موريتانيا، وتجدر الإشارة إلى أن هناك جزء من هذه المستعمرات قد بدأ العمل فيها أثناء حكم قيصر وأكمل إنشائها في فترة أغسطس ثم أن هناك بعض المستعمرات كانت تحمل اسم عشيرة قيصر ظلت كما هي في عصر الإمبراطورية وزاد عليها اسم الإمبراطور أغسطس.

وخلال عصر أغسطس أقيمت عدة مستعمرات في ولاية أفريقيا البروقنصلية وكان أغلب الظن أنها أقيمت لتوطين جنود أغسطس المسرحين في Sicca uthina وThuburbo^(٢)، كانت واحدة منها تسمى Colonia Iulia veneria cirta nov a sicca، وقد افترض البعض أنها قد أقيمت في فترة سابقة على حكم أغسطس ولكن بليبي الكبير يؤكد أنها أقيمت في عهد أغسطس وإن كانت تحمل في بعض الأحيان اسم عشيرة قيصر، ودليله على ذلك أنها كانت موجودة في خلال حكم الإمبراطور نيربوس (١٤-٣٧م)^(٣) وحتى إذا كانت قد أقيمت في فترة سابقة على أغسطس فإنها قد أكملت في عصره حيث إنصفت معظم هذه المستعمرات باسم Iulia Augusta مثل مستعمرة Colonia Iulia Augusta Numidica Simitthensium^(٤).

Gsell. S. op. cit. viii. pp. 241-242.

Ibid. P. 197.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 168.

Ibid. P. 169.

(١) راجع صور العملة و

(٢)

(٣)

(٤)

وفضلا عن المستعمرات أنشأ العديد من البلديات مثل الذى أقامها أغسطس عند مدينة أوتيكا Municipium Iulium uticenes، وحول نيابوليس وجدت البلاد الحرة Op- pidum Liberum فضلا عن المستعمرة التى أنشئت فى هذا المكان أثناء عصر قيصر^(١) وكانت هذه المناطق خاصة بتوطين جنود أغسطس المسرحين وأمام هذا التدفق المستمر للمستعمرين على شمال أفريقيا تذكر بعض المصادر أن التمييز بين السكان المحليين والمستعمرين الرومان أصبح أمرا صعبا، وهذا يدل على الاندماج الكامل بين السكان خلال هذه الفترة^(٢).

توسع أغسطس فى إنشاء المستعمرات، وفى هذه الفترة كان فى أفريقيا عدد كبير من المدن والمستعمرات، وكان الغرض من هذا هو الرغبة فى توطين عددا كبيرا من المحاربين القدماء، وتسكين الكثير من سكان إيطاليا الذين فقدوا أراضيهم خلال فترة الحروب الأهلية والتى أعقبت مقتل قيصر^(٣)، وقد إنقسمت المستعمرات فى شمال أفريقيا إلى ثلاثة أنواع: مستعمرات يسكنها عدد كبير من الوطنيين أنتظموا فى شكل حكومات Civitas إلى جانب المستعمرين الرومان^(٤). وفى هذا النوع من المستعمرات كان نظام الحكم يتسم بالطابع الفيني المعروف بنظام الشوفيت Sufetes وهذه السلطة كانت قضائية إلى حد كبير تعادل سلطة القناصل فى بعض الأحيان، وظل هذا النظام معمولاً به خلال القرن الأول الميلادى ليس فقط فى المدن الفينيقية القديمة مثل لبكس ماجنا Lepcis Magna^(٥) وهادروميثوم وهيودير هوتس^(٦) ولكن أيضا فى مدن نوميديا القديمة مثل تيميس^(٧) Timici^(٨).

Gsell.S. op. cit. p. 180.

Ibid. p. 198.

Fage. T.D. op. cit. P. 201.

(٤) رستوفتسوف، مرجع سابق، ص ٣٨٧.

Fage. T. D. op. cit. P. 203.

(٦) رستوفتسوف، مرجع سابق، ص ٣٨٧.

(٧) مدينة تيميس Timici: ظهر أسم هذه المدينة فى مؤلفات بلينى الكبير وبطليموس الجغرافى، ومحمّل أن يكون موقعها فى منطقة دهرا Dahra الجبلية بالجزائر تقريبا، وقد عثر على بعض قطع من العملة تحمل اسم هذه المدينة يرجع تاريخها الى عهد خلفاء ماسينسا.. Mazard. J. op. cit. P. 176.

Pliny. V. i. 21.

(٨)

النوع الثانى من المستعمرات كان بها هيئات مختلطة فالى جانب السكان الأصليين الذين كان لهم حكوماتهم Civitas الخاصة كان يوجد المستعمرون الرومان والذين لهم منطقتهم ونظام قريتهم Pagus الخاص، حيث التقى المستعمرون الذين إستقروا فى عصر أغسطس وقيصرب بالمستعمرين الأوائل الذين سكنوا المنطقة منذ عصر ماريوس ومن هذا النوع مدينة ثوجا^(١) Thugga^(٢).

النوع الثالث من المستعمرات كان يتمثل فى المستعمرات الكبرى مثل مستعمرة سيكا Sicca والتي أطلق عليها فى عصر أغسطس كيرتا الجديدة وأضيف اليها بعض المناطق الواسعة مثل التى أعطيت لمدينة قرطاجة وكيرتا القديمة استمر النظام الإدارى فيها على النمط الفينيقي القديم واستمر حكامها المحليون يحملون ألقابا فينيقية قديمة^(٣).

تطلب التوسع فى إنشاء المستعمرات فى ولاية أفريقيا البروقنصلية إنشاء العديد من الحصون والقلاع Castella ليس داخل المدن فقط ولكن على الحدود الجنوبية للولاية والتي تجاور مباشرة القبائل الليبية أيضا، وقد كانت المشكلة الأساسية التى واجهت الرومان فى هذه المناطق هى ثورة القبائل وهجومها على سكان الشمال، ولم يكن البديل لذلك سوى خلق نطاقا عسكريا منظما وإنشاء سلسلة من الحصون تمتد على الحدود الجنوبية للولاية وبدأ فعلا العمل بهذا الإجراء منذ الاستقرار الرومانى ولم يأخذ الصفة الجدية إلا فى بداية عهد الإمبراطورية الرومانية^(٤) وقد حرص الرومان على إقامة الحصون والقلاع وحفر الخنادق وبناء الأسوار حول المدن، وحتى فى المناطق التى لم يستغلها الرومان خوفا من هجوم القبائل الليبية أو تجمعها للقيام بفعل مضاد للسلطة الرومانية^(٥).

(١) تقع مدينة ثوجا Thugga شمال مدينة زاما ريجيا Zama Regia على أحد روافد نهر مجردة، راجع موقعها على الخريطة رقم (٦).

(٢) رستوفتسزف، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

(٣) رستوفتسزف، نفس المرجع، ٣٨٨.

(٤)

(٥)

Leschi. L. op. cit. Limes. P. 259.

Strabo. xvii. iii. 25.

وإذا كان الإستغلال الاقتصادي لشمال أفريقيا كان قد تطلب تطوير الزراعة والتوسع في مشروعات الري وحفر القنوات وما يرتبط بهذا من إجراءات. كما أن الاستعمار الروماني المنظم لشمال أفريقيا كان قد تطلب التوسع في إقامة المستعمرات وإتمام مبدأ العمل فيه منذ عصر قيصر، فإن الحفاظ على هذا كان قد تطلب إنشاء العديد من الطرق وإقامة الحصون والقلاع داخل الولاية البروقنصلية وعلى حدودها^(١).

لم يقتصر إنشاء المستعمرات الرومانية في أفريقيا البروقنصلية وإنما شمل مملكة موريثانيا، فهناك مستعمرات أقيمت على سواحل المملكة، وربما كان الهدف من ذلك وجود بعض المناطق لإستقرار التجار الرومان، وهناك مستعمرات أقيمت في داخل المملكة وكان الهدف من ذلك تسكين الجنود المسرحين من قوات أغسطس، وبلغ عدد المستعمرات ما يقرب من إثنى عشر مستعمرة في مملكة موريثانيا، ذكرهم بليني الكبير، والذي إقتبس معلوماته من وثيقة أو وثيقتين لأغسطس وحدد سنوات نشأة هذه المستعمرات ما بين ٣٣ ق.م حتى عام ٢٥ ق.م وهي بداية فترة حكم يوبا الثاني لمملكة موريثانيا^(٢).

أقيمت المستعمرات بالقرب من المدن القديمة وخصوصا الساحلية منها، وتجدر الإشارة إلى أن معظم المستعمرات كانت تحمل أسم *Julia Augusta* وهنا يمكن القول أن لقب *Julia* وهو أسم عشيرة قيصر والتي كانت دائما تكتب إلى جانب أسماء المستعمرات سواء في عصر قيصر أو عصر أغسطس في أفريقيا البروقنصلية، لا يكون بالنسبة لمستعمرات موريثانيا إلا اعترافا ضمنيًا من أغسطس بفضل قيصر عليه، حيث أنه ليس هناك أى دليل على أن سلطة قيصر قد امتدت حتى شملت مملكة موريثانيا في هذا الوقت القصير بعد الحملة الأفريقية ومن جهة أخرى فإن مملكة موريثانيا كانت في وقت سيطرة قيصر على مقاليد الأمور في روما تحت حكم بوخوس وبوجود، ومن هنا فإن إطلاق اسم عشيرة قيصر على مستعمرات أغسطس في موريثانيا هي من فعل الإمبراطور.

(١)

(٢)

Julien. Ch. A. op. cit. p. 150.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 202.

وعلى بعد ٤٠ ميلا من مدينة لكسيوس كانت توجد مستعمرة بابا^(١) Colonia Iulia Augusta Carnestris Babba^(٢) وثمة مستعمرة أخرى داخلية أنشأها أغسطس وكانت تقع على بعد ٧٥ ميلا من لكسيوس هي مستعمرة بناسا^(٣) Colonia Iulia valentia Ba-nasa^(٤) ومن المستعمرات الداخلية مستعمرة تبوسبتو Colonia Augusta Tubusuptu^(٥) وكانت هذه المستعمرة مخصصة لتوطين جزءا من الفرقة السابعة Legiones VII im-unis^(٦) أما بقية جنود الفرقة السابعة فقد تم توطينهم في مستعمرتين أخريين الأولى في سالدا^(٧) Colonia Augusta Saldae، والثانية في روسازوس Colonia Augusta Ru-sazus^(٨) وهذه مدينة ساحلية عرفت باسم أزفون أو ميناء جيدون على ساحل البحر المتوسط وهي في موريتانيا الشرقية^(٩).

(١) Pliny. v.i. 5.

(٢) تقع مدينة بابا Babba في المناطق الداخلية، وجدت في مؤلفات بلينى الكبير وبطليموس الجغرافى، ولكن موقعها غير معروف على وجه التحديد، ويقول جوليان أنها في موقع غير معروف في منطقة أوزان Ouezzan بموريتانيا الغربية وقد وضعت عدة افتراضات على أن بابا في الأطلال الواقعة في مولاى عبد السلام غير أن مولاى عبد السلام يقع في منطقة جبلية، ويبدو أن صفة بابا بـ Campestris يجعل موقع بابا قبل كل شئ في منطقة سهلية ومن جهة أخرى فإن سيدى عبد السلام لا يجاور أى مجرى مائى هام في الوقت الذى ظهرت عملية بابا وعليها قنطرة بثلاث أقواس الأمر الذى يجعل الافتراض أنها كانت مجاورة لنهر متسع يجعل من الضرورى بناء قنطرة ذات ثلاث أقواس. (روجية، دايموند، مرجع سابق ص ٢٠، Julien. Ch. A.op. cit. P. 139).

(٣) حدد موقع بناسا Banasa على أنه موقع سيدى على بوجنون على الضفة اليمنى لنهر سيبو (روجية، دايموند، مرجع سابق ص ٢٠).

(٤) Pliny. v. 1.5.

(٥) Ibid. v., 1.21.

(٦) Gsell. S. op. cit. viii. P. 203.

(٧) كانت مدينة سالدا Saldae موقعا فنيقيا قديما، تقع على ساحل البحر المتوسط عرفها البحارة الفينيقيون منذ فترة طويلة، ورد أسمها في معظم النصوص القديمة، وهي حسب قول استرابون تقع في المسافة بين مدينة أبول (قيصرية) ورأس تريتوم Tretum بوجارون Bougarun، وعثر على بعض قطع العملة في مكان سالدا يفترض البعض أنها عملة خاصة بهذه المدينة. Strabo. Xvii. Iii. 12.; Mazard, J, op. cit. P. 161.

(٨) Pliny. vi. 20.

(٩) Gsell. S. op. cit. viii. P. 202.; Julien. Ch. A. op. cit. p. 139.

واستمرارا لسياسة أغسطس فى توطين جنوده المسرحين فقد خصصت مستعمرة أخرى لجنود الفرقة الثانية الأوغسطية هى مستعمرة كارتينا Cartenna Colonia Augusti Legione Secunda، وثمة مستعمرة رومانية أخرى ساحلية تقع بالقرب من الجزائر بين ولاية أفريقيا البروقنصلية وموريتانيا الشرقية هى مستعمرة روسجاني Colonia Augusta Rusguniae^(١) تعرف باسم رأس ماتيفو فى مدخل خليج الجزائر^(٢) وهناك مستعمرة رومانية أخرى قد أقيمت فى عصر أغسطس فى موريتانيا الشرقية هى مستعمرة جونجو Colonia Augusta Gunugu^(٣) وبنيت هذه المستعمرة على بعد ٣٣ كيلو مترا غرب مدينة شرشال فى مدينة من أصل قرطاجى هى مدينة جونجو الساحلية وتعرف اليوم باسم سيدى إبراهيم، عرفها التجار الفينيقيون منذ فترة طويلة، وكان بها سوق يتردد عليه التجار الإيطاليون والسكان المحليون، وقد كشفت التنقيبات التى أجريت فى هذه المدينة عن الإقامة الطويلة للقرطاجيين، ولكن هذه المدينة فقدت بعض أهميتها بعد قيام مدينة قيصرية عاصمة مملكة يوبا الثانى، وعلى عهد أغسطس أقيمت فيها مستعمرة للجنود المسرحين. Colonia Augusti Deducta Cohorte Praetoria Gunugu^(٤) وثمة مستعمرة أخرى أقيمت بالقرب من الساحل فى موريتانيا الشرقية هى مستعمرة اجليلى Colonia Augusta Igilgili^(٥)، والى الجنوب من مدينة طنجة على بعد ٢٥ ميلا توجد مستعمرة زيليا الساحلية Colonia Augusti Iulia Constantia Zulil^(٦) وقد كشفت قطع العملة التى عثر عليها فى هذا المكان عن وجود مؤثرات فينيقية على ساحل مملكة موريتانيا منذ فترة طويلة^(٧). كما أقيم فى المناطق الداخلية من مملكة موريتانيا مستعمرة أكواي Contonia Augusta Aquae^(٨)

(١)

Pliny. v. 1. 20.

(٢) راجع الخريطة رقم (٧)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 202.

(٣)

Pliny. v. 1. 20.

(٤)

Mazard. J. op. cit. p. 172.

(٥)

Pliny. v. 1.20.

(٦)

Ibid. v. 1. 2.

(٧)

Mazard. J. op. cit. P. 188.

(٨)

Pliny. v. 1. 21.

وتعرف باسم (حمام ريرحا Hammam Rirha) وهذا المكان مشهور منذ القدم، بمياهه المعدنية ويقع على وجه التقريب في جنوب شرق شرشال^(١). ثم أقيمت مستعمرة داخلية أخرى هي مستعمرة سوشابار Colonia Augusta Succhabar^(٢) مليانة Miliana في مكان يطل على وادي شليف^(٣).

وبالإضافة إلى المستعمرات الرومانية في أفريقيا، والتي أقيمت بواسطة الدولة. كان هناك عددا كبيرا من التجار والرأسماليين الذين أرادوا استثمار أموالهم في أفريقيا، ويلاحظ أن روما لم تمنع في هجرة العدد الكبير من التجار إلى أفريقيا خلال تلك الفترة بل أن أغسطس نفسه لم يصادر أملاك النبلاء من الجمهوريين التي بقيت من إجراءات قيصر، فضلا عن ذلك فقد كان هناك الضياع الواسعة Latifundia التي كان يملكها أفراد من أثرياء الرومان^(٤).

وإلى جانب وجود الرومان منذ فترة طويلة في أفريقيا البروقنصلية، كان يوجد أعداد كبيرة من المستعمرين الرومان في مملكة موريتانيا. كما كانوا يقيمون في هذه المملكة حتى قبل تولية يوبا الثاني مقاليد الحكم. ولقد قصد أغسطس بإقامة المستعمرات توطيد الجنود المسرحين، ويلاحظ في ذلك إقامة مستعمرات خصصت لهؤلاء الجنود، وراعى أغسطس أن تكون ذات مواقع هامة بالنسبة للمستعمرات الساحلية والتي سبقت الإشارة إليها. أما المستعمرات الداخلية فقد كانت في مناطق خصبة تتوفر فيها وسائل المعيشة، فضلا عن إقامتها في مناطق محصنة يمكن من خلالها السيطرة على أمور السكان المحليين^(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن مهمة الدفاع عن المستعمرات في مملكة موريتانيا كانت قد وقعت على عاتق الملك يوبا الثاني بالإضافة إلى القلاع والحصون التي أقامها

Gsell. S. op. cit. viii. P. 203.

(١)

Pliny. V. 1. 21.

(٢)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 203.

(٣)

Gsell. S. op. cit. viii. P. 205.

(٤) رستوفنزف، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

(٥)

الرومان على الحدود الجنوبية من ولاية أفريقيا البروقنصلية وامتدت حتى جنوب موريتانيا، وعند موت يوبا الثاني في عام ٢٣ ميلادية، كان ابنه الوحيد هو بطليموس الذي تولى حكم المملكة بعد والده مباشرة، وتذكر بعض المصادر أن بطليموس قد شارك والده في السلطة في الفترة الأخيرة من حياته^(١)، وبعد اعتقال بطليموس عرش مملكة موريتانيا صدر قرار مجلس الشيوخ الروماني بالموافقة عليه والاعتراف بسلطته، غير أن مصادر العملة تثبت أن اعتراف روما به لم يتم إلا في السنة الرابعة من حكمه حيث ظهر شعار السلطة على عملات هذه السنة^(٢).

سار بطليموس على سياسة والده مواليا للرومان وشهدت مملكة موريتانيا عهدا من الرخاء والتقدم تحت حكمه، إلى أن استدعاه الإمبراطور كاليجولا Caligula (٣٧-٤١م) في عام ٤٠م إلى روما وقتله. ويقتل بطليموس إنضمت مملكة موريتانيا إلى الإمبراطورية الرومانية وانقسمت إلى ولايتين Provincias^(٣) ولاية موريتانيا القيصرية وكانت عاصمتها مدينة قيصرية، وولاية موريتانيا الطنجية وعاصمتها مدينة طنجة. وكان يتولى أمور كل ولاية برايتور. ويضم موريتانيا أصبحت أفريقيا بأسرها تحت النفوذ الروماني حتى دخول الوندال ٤٣٠م.

Gsell. S. op. cit. viii. P. 278.

Mazard. J. op. cit. P. 217.

Pliny. V. 1.2.

(١)

(٢)

(٣)

الخاتمة



الخاتمة

تبين من دراسة تاريخ شمال أفريقيا خلال القرون الثلاثة قبل الميلاد عدة أمور منها: أن اهتمام قرطاجة بالنشاط التجاري قد أدى إلى قيام علاقات سياسية واقتصادية مع مدن البحر المتوسط، فسيطرت على جزيرة صقلية بالإضافة إلى مدن وموانئ شمال أفريقيا. وقد أدى التنافس التجاري بين روما وقرطاجة إلى تغير العلاقات بين الجانبين وخاصة عند بداية التوسع القرطاجي في أسبانيا والتي كانت تعتبر محاولة من محاولات تعويض بعض الأملاك التي فقدتها قرطاجة بعد الحرب البونية الأولى.

ويعتبر عصر هانيبعل من أخرج فترات تاريخ قرطاجة حيث يمكن اعتباره بداية النهاية لإمبراطورية القرطاجيين، فقد وضعت قرطاجة كل مواردها تحت تصرف هانيبعل خلال الحرب البونية الثانية، وحدث نفس الشيء بالنسبة للرومان، وبهزيمة هانيبعل في هذه الحرب خسرت قرطاجة كل أملاكها خارج أفريقيا وتحدد نشاطها على تراب أفريقيا نفسها كما تخرج موقفها لدى الرومان، أما في روما فقد تسببت الحرب البونية الثانية في تشتيت جهود الرومان، واضطروا إلى القيام بالحرب على أكثر من جبهة وتطلب هذا الموقف تحمل الشعب الروماني أعباء جديدة كان في غنى عنها.

ويلاحظ أن روما كانت تنظر نظرة واعية للقوى الوطنية في شمال أفريقيا فهي تعرف مدى التأثير القرطاجي على القبائل الليبية، ثم أن روما كانت لا بد أن تعتمد على إحدى القوى الوطنية التي ظهرت خلال الحرب البونية الثانية متمثلة في سيفاقس Syphax زعيم نوميديا الغربية وماسينسا Masinissa زعيم نوميديا الشرقية، واستغلت فرصة النزاع بين الزعيمين وتمكنت في النهاية من ضم ماسينسا لها. وكان مبعث رغبة روما في الإرتباط بإحدى القوى الوطنية هو عدم ترك الفرصة لتوحيد الجهود ضدها في شمال أفريقيا كما لاحظت في هذا الشأن أن روما قد استفادت من جهود ماسينسا ضد قرطاجة ووضعت خطتين لذلك: الأولى أن تترك الفرصة أمام

ماسينسا لضعاف قوة قرطاجة حتى يسهل تدميرها، والثانية هي التدخل في الوقت المناسب لمنع الزعيم النوميدي من جني ثمار الجهود الرومانية في أفريقيا ثم أنها من ناحية أخرى كانت تخشى حدوث اتفاقا بين قرطاجة وماسينسا ضدها، وعلى هذا الأساس كانت تشجع أى عمل عدوانى يقوم به ضد قرطاجة دون أدنى اهتمام لشكوى قرطاجة، وفوق هذا فقد أقامته ملكا على نوميديا حتى يظل شوكة في جنب قرطاجة وأحد عيونها في أفريقيا.

وكانت روما ترغب في إستنفاد الجهود القرطاجية عن طريق المنازعات الداخلية مع القبائل الليبية وعلى رأسها ماسينسا ولذلك لم تعجل بضرب قرطاجة بعد أن كبلتها بقيود معاهدة ٢٠١ ق.م ، وتركت الفرصة لماسينسا ليحد من نشاطها مستندا على مساعدة روما له، وبالفعل نجحت خطة روما في هذا الشأن حتى أن قرطاجة كانت في الفترة الأخيرة لا تملك سوى إرسال البعثات الى مجلس الشيوخ الرومانى للشكوى من إعتداءات ماسينسا.

وبعد تدمير قرطاجة في نهاية الحرب البونية الثالثة وضعت روما تسوية للموقف في شمال أفريقيا احتفظت لنفسها بتمتلكات قرطاجة ووزعت مناصب كل فرد من أولاد ماسينسا ويلاحظ على هذه التسوية عدة أمور منها: أن روما بإنشاء ولاية أفريقيا الرومانية قد قطعت خط الرجعة لقيام أى قوة تنازعها من جديد قد تنبعث من منطقة قرطاجة. ثم أن روما لم تترك أرض القرطاجيين لأحد أبناء ماسينسا، ولم تول عليها أحد الأمراء النوميديين حتى لا تخلق منازعا لها من جديد، أما بالنسبة لمملكة نوميديا فلم تترك روما السلطة في يد فرد واحد حتى لا يقوى ويشكل خطورة في المنطقة المجاورة لولاية أفريقيا ولذلك وزعت السلطة بين أبناء ماسينسا الثلاثة غولوسة Gulussa ومقبسا Micipsa ومستنبعل Mastanabal، كما كانت تنظر بعين الارتياح الى ضعف هؤلاء الأمراء المجاورين لولاية أفريقيا، وهذا الضعف كان يسهل مهمتها في الحصول على الموارد الاقتصادية من نوميديا دون معارضة، ومن ناحية أخرى فهي لم تحاول ضم مملكة نوميديا في هذا الوقت لأن

ذلك كان سيكلفها نفقات حربية جديدة ويضطرها إلى خوض غمار حرب جديدة بلا داع.

ولقد كانت نوميديا على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لروما، وكانت تفضل أن تظل هذه المنطقة أداة طيعة في يدها ولذلك عندما قام الزعيم النوميدي يوجورثا Jugurtha بشق عصا الطاعة في وجه روما قامت على الفور بإعداد الجيوش للقضاء على هذا الزعيم وإنهاء الاضطرابات التي حدثت في نوميديا وهدد مصالحها في أفريقيا.

وعند بداية الحرب الأهلية بين بومبي Pompey وقيصر Caesar كانت ولاية أفريقيا بل وشمال أفريقيا معقد آمال القوتين المتنازعتين، فكل طرف كان لديه الرغبة في السيطرة على أفريقيا حتى يستطيع حرمان الطرف الآخر موارد أفريقيا من الغلال، ولذلك قام قوريو بحملته على أفريقيا لتخليص الولاية الرومانية من أيدي أنصار بومبي، ولذلك الغرض كانت حملة قيصر، وحتى يضمن قيصر استمرار هدوء الشمال الأفريقي وحصوله على حاجته من الحبوب قام بإنشاء ولاية أفريقيا الجديدة في عام ٤٦ ق.م وأعطى للمغامر الإيطالي ستيوس إمارة جعلها بمثابة دولة حاضرة بين ولايتي أفريقيا ومملكة موريتانيا.

ويلاحظ أن اتجاه مجلس الشيوخ الروماني بالنسبة لإفريقيا هو العدول عن الرأي القديم في منع أية محاولة لإنشاء المستعمرات الرومانية في أفريقيا مثلما حدث أيام جايوس جراكوس، فوافق على إنشاء هذه المستعمرات وكان يرجع ذلك إلى محاولة روما التخلص من فائض السكان والأعداد الكبيرة من الجنود المسرحين الذين تزايدت أعدادهم بعد الانتصارات المتتالية، وانطلاقاً من هذا المبدأ قرر قيصر إنشاء العديد من المستعمرات في ولايتي أفريقيا وفتح الباب أمام التوسع الروماني في أفريقيا، وكان هذا بداية القوطن الاستعماري للرومان في شمال أفريقيا.

وبعد مقتل قيصر تعرضت منطقة شمال أفريقيا لسلسلة من الصراعات بين، حكام ولايتي أفريقيا أثناء الصراع بين أنطونيوس Antonius وأغسطس Augustus ويعتبر أفراد

أغسطس بالحكم فى روما بداية النهاية للمتعاب التى شهدتها الرومان فى المنطقة وخاصة من النواحي الحربية. أما عن أعمال أغسطس فى هذه المنطقة فيلاحظ إهتمامه بإنشاء العديد من المستعمرات فى ولاية أفريقيا البروقنصلية ومملكة موريتانيا التى ظلت تحت الحماية الرومانية فى الفترة من ٣٣-٢٥ قبل الميلاد حتى تولى الملك يوبا الثانى الحكم فيها وفى هذه الفترة زاد إقبال التجار والمرايين وأصحاب رؤس الأموال من الرومان على أفريقيا حيث وجدوا مجالا خصبا لإستثمار أموالهم أو الإشتغال بالتجارة والعمل فى المستعمرات.

والحقيقة أن السلطة الرومانية فى شمال أفريقيا قد أحدثت شوطا من التقدم بين سكان المنطقة وخاصة بين قبائل المورى الذين كانوا يتركزون فى غرب أفريقيا وظلوا بعيدين لفترة طويلة من الوقت عن تيارات الثقافة الفينيقية، هذا من جانب ومن جانب آخر فانه أمام شمول الإستعمار الرومانى فى شمال أفريقيا فقد الفينيقيون شخصيتهم التى اكتسبوها تحت حكم القرطاجيين وحلت اللغة اللاتينية شيئا فشيئا محل اللغة الفينيقية لغة الوظائف فى العديد من مدن شمال أفريقيا حتى أثناء القرن الأول الميلادى.

ويلاحظ أيضا أن عصر قيصر أمتاز بمنح الكثير من الإفريقيين حقوق المواطنة الرومانية، ومنحت بعض المدن الأفريقية ما يسمى بالوضع اللاتينى ولكن التوسع فى هذا الأمر كان فى عصر أغسطس. ومما يذكر لقيصر هو إتاحة الفرصة للعتقاء بعضوية المجالس التشريعية فى المستعمرات.

ومن الأمور الهامة أن إستمرار وجود القبائل الليبية الجنوبية خارج السيطرة الرومانية، رغم ما قامت به من إنشاء الطرق فى كل أنحاء البلاد وربطها المناطق الساحلية بالداخل. فقد سببت هذه القبائل المتعاب الكثيرة للرومان. وانفجرت العديد من الثورات والتى كانت أحد العوامل التى هزت كيانهم وزعزعت سلطتهم فى هذه المناطق. وحاول الرومان إيجاد حلا لهذه المشاكل بأن ينشروا حرفة الزراعة بين هذه القبائل كعامل من عوامل الإستقرار. ومن جهة ثانية فقد كان الرومان يحاولون التغاى من الدخول فى حروب مع القبائل بوضع القوى الوطنية كحاجز بينهم وبين الولايات الرومانية مثلما فعلت أثناء حكم الملك يوبا الثانى.

(إيمان بالله والآخرى)

الملاحق



(بيان بالملاحق)

- ١- الخرائط.
- ٢- صور العملة.
- ٣- صور الآلهة والشخصيات الهامة.



أولاً: الخرائط

شكل رقم (١) : خريطة توضح قارات العالم القديم كما تصورها هيرودوت: مأخوذة
بتصرف عن:

Herodotus. IV: Translated by; Godley. A.D. (London 1950)

شكل رقم (٢) : خريطة توضح تضاريس شمال غرب أفريقيا. مأخوذة بتصرف عن:
Stamp. D. Africa Astudy in tropical development. (London
1959). P. 233.

شكل رقم (٣) : خريطة تبين مناطق القبائل الليبية القديمة. مأخوذة بتصرف عن:
Strabo. XVII. Translated by; Horace.J. (London. 1954).

شكل رقم (٤) : خريطة تبين أهم معالم ساحل موريتانيا الأطلسي. مأخوذة بتصرف
عن: Gsell. S. Histoire aneienne de L' Afrique du Nord. (Par:
is. 1972). Tome II.P. 153.

شكل رقم (٥) : خريطة تبين وضع أفريقيا خلال حرب يوجورتا. مأخوذة بتصرف
عن: Gsell. S. op. cit. vii. P. 185.

شكل رقم (٦) : خريطة تبين وضع أفريقيا تحت حكم قيصر. مأخوذة بتصرف عن:
Gsell. S. op. cit. II. P.97.

شكل رقم (٧) : خريطة تبين موقع المستعمرات الساحلية في موريتانيا الشرقية على
عهد أغسطس. مأخوذة بتصرف عن: Gsell. S. op. cit. II. P.153.

ثانيا - صور العملة*

ص (٩٣) :-

تحمل هذه الصفحة صور عملة الملك سيفاقس Syphax ملك نوميديا الغربية في الفترة من ٢١٣-٢٠٢ ق.م. وعملة فيرمينا Vermina بن سيفاقس الذي حكم في الفترة من ٢٠٢ الى ١٩٢ قبل الميلاد.

أولا : عملة سيفاقس - (Syphax)

تتكون عملة هذا الملك من سلسلتين : الأولى تحمل الأرقام من ١ إلى ٩ وأهم ما يميز هذه السلسلة صورة الملك على النقود مجردة وشعر كثيف مسرح على وجه من العملة وعلى الوجه الآخر حصان يعدو إلى اليمين وعلى ظهره فارس (يحمل الملك) يرتدى سروالا طويلا. أوزان هذه العملة غير متساوية. القطعة رقم ١، ٢، ٣ وزنها ١٢ جراما. والقطعة ٤ وزنها ٧ جرامات ورقم ٥ وزنها ٦ جرامات، ورقم ٦ وزنها ٤ جرامات، ورقم ٧ وزنها ٥ جرامات ورقم ٨ وزنها ٤ جرامات، ورقم ٩ وزنها ٣ جرامات، أما السلسلة الثانية من عملة الملك سيفاقس فيلاحظ عليها أن صورة الملك على العملة متوجة وذو شعر مزين وملتح وعلى الوجه الثاني من العملة فارس يعتلى جوادا ملجما يتجه الى اليسار. وتحمل الأرقام من ١٠ - الى ١٢ وزنها ١٠ جرامات لكل قطعة.

ثانيا : عملة فيرمينا - (Vermina)

وتحمل صور عملة فيرمينا الأرقام من ١٤-١٦ وعليها صورة الملك متوجة وغير ملتح ومشابهة لعملات سيفاقس وتختلف عنها في الوجه الثاني للعملة أن الفرس بدون فارس يتجه الى اليسار مكتوب أسفله فيرمينا ملك المملكة يتراوح وزن العملة بين ١٨ جراما. القطعة رقم ١٥ و ١٠ جرامات القطعة رقم ١٦ .

من ص (١٩٤) الى (١٩٧) :-

تحمل هذه الصفحات صور عملة الملك ماسينسا Masinissa ملك نوميديا الشرقية في الفترة من ٢٠٨-١٤٨ ق.م. وخلفاؤه وتحمل الأرقام من ١٧ إلى ٧٢، وتمتاز هذه العملة بوجود صورة الملك على العملة متوجهة وعلى الوجه الثاني فرس ملجم يسير نحو اليسار فيما عدا القطعة رقم ١٧ فقط التي صور عليها الفيل الأفريقي، ويلاحظ على عملات هؤلاء الملوك وجود علامة تانيت إلهة قرطاجة الفينيقية مما يدل على وجود التأثير الفينيقي في النواحي الدينية، فهذه العلامة وجدت على القطع رقم ٣٤، ٣٨، ٥٣، ٥٤، ٦١، وأوزان هذه العملات مختلفة. القطعة رقم ١٨ وزنها ٣٥ جراما ورقم ٤٢ وزنها ٦٥ جراما ورقم ٦٢ وزنها ١ جراما أما رقم ٦٤، ٧٢، فالوزن ٣ جرامات ورقم ٧٠ وزنها ١٥ جراما وهكذا ولكن أهم ما يميز هذه المجموعة هو كتابة اسماء الملوك النوميديين بلغة فينيقية مثل ماسينسا ومقييسا وغيرهم.

ص (١٩٧) :-

تحمل صور عملة الملك يوجورثا Jugurtha (١١٨-١٠٥ ق.م) وهمبسال الثاني Himepsal II (١٠٥-٦٢ ق.م).

أولا: عملة يوجورثا - Jugurtht :-

وتحمل قطع العملة الخاصة به رقم ٧٣-٧٥ وصورة الملك على العملة مجردة بدون لحية محاطة بأكليل مجدول على اليسار وعلى الوجه الآخر صورة فيل يسير نحو اليمين. أوزان العملة مختلفة القطعة ٧٣ وزنها ٧ جرامات رقم ٧٤ وزنها ٦ جرامات. أما القطعة رقم ٧٥ فوزنها ٣ جرامات.

ثانيا: عملة همبسال الثاني Hiempsal II

تولى همبسال الثاني السلطة في مملكة نوميديا بعد القضاء على تمرد يوجورثا ضد الرومان وتحمل عملاته الأرقام من ٧٦-٨٣. صورة الملك على العملة مزينة بغصن الزيتون، وحصان يسير في اتجاه اليمين ويلاحظ وجود عملة ذهبية لهذا الملك

وهي التي تحمل الأرقام ٧٦، ٧٧ وأوزانها واحدة ٧ جرامات لكل قطعة، النوع الثاني من عملات هذا الملك فهي عملات فضية وهي التي تحمل الأرقام ٧٨، ٧٩، ٨٠، عليها صورة الملك مزينة، وحصان يعدو إلى اليمين أوزانها مختلفة. القطعة رقم ٧٨ وزنها ٤ جرامات، رقم ٧٩ وزنها ٢ جراما ورقم ٨٠ وزنها ١ جراما.

النوع الثالث من عملة همبسال الثاني هي العملة البرونزية وتحمل الأرقام من ٨١-٨٣ عليها صورة الملك متوجة ومزينة وعلى الوجه الثاني صورة لحصان يجرى نحو اليمين مكتوب أسفله حرف يرمز لأسم الملك همبسال تتراوح أوزان هذه المجموعة البرونزية ما بين ٨ جرامات مثل القطعة رقم ٨١، ٦ جرامات رقم ٨٢، ١ جراما للقطعة ٨٣.

صفحة (١٩٨) :-

وتحمل عملات ثلاث ملوك يوبا الأول Juba I ٦٠-٤٦ ق.م، حيرباص Hiarbas وماستينسا Mastenissa (١٠٨-٤٨) ق.م.

أولا : عملات يوبا الأول Juba I :

تنقسم عملات يوبا الأول إلى نوعين : عملات فضية وأخرى برونزية بالنسبة للعملات الفضية والتي تحمل الأرقام من ٨٤ إلى ٨٩ عليها صورة الملك المتوج وأسمه، وعلى الوجه الثاني من العملة صورة محراب لمعبد على الطراز الفينيقي مثل العملات رقم ٨٤-٨٦ ووزنها ٣ جرامات. وبقية المجموعة الفضية (٨٧-٨٩) عليها صورة الملك يوبا الأول وصورة حصان حر يعدو جهة اليمين على الوجه الآخر مثل القطعة ٨٧، ٨٨ أما القطعة رقم ٨٩ فعليها صورة الملك على وجه وعلى الوجه الآخر صورة أسد ووزن هذه القطع ١ جراما.

المجموعة الثانية من عملة يوبا الأول هي العملات البرونزية وتحمل الأرقام من ٩٠-٩٣ فالقطعة رقم ٩٠ عليها صورة الإله المصري آمون متوجة ومقرنة وعلى الوجه الثاني فيل يمشى جهة اليمين ويبلغ وزن هذه القطعة ٥٢ جراما، وتذكر مصادر

العملة أن هذا النوع من العملات ذات التأثير المصري قد أنتشر في منطقة قورينائية وساحل سرت وربما في شمال أفريقيا (راجع Mazard, J. op. cit. P. 51) أما القطعة رقم ٩١ فعلى وجه رسمت صورة معبد وعلى الوجه الثانى صورة قصر يحتمل أن يكون أحد قصور الملك فى زاما أو كيرتا وزن هذه القطعة ٤٦ جراما. أما القطعة رقم ٩٣ فعليها صورة أفريقية مزينة بجلد فيل وعلى الوجه الآخر أسد يمشى الى اليمين وهذه القطعة وزنها ٩ جرامات.

ثانياً: عملات حيرياص - Hiarbas:

عليها صورة حيرياص بشعره المجدول فى صفائير وذقن ملتحية خفيفا وعلى الوجه الثانى صورة رأس أفريقية مزينة بجلد فيل وزنها ٧ جرامات مثل القطعة رقم ٩٤ وتشبهها القطعة رقم ٩٥ وتختلف عنها فى الوزن ٣ جرامات وعلى القطعة رقم ٩٦ صورة حيرياص بنفس الصفات السابقة وعلى الوجه الثانى حصان ملجم.

ثالثاً: عملة ماستينيسا - Mastenissa:

تحمل صور هذه العملة رقم ٩٩-١٠٠ وعليها صورته ذو شعر طويل ولحية خفيفة وعلى الوجه الثانى كتب اسمه فى الوسط وفى أعلى القطعة سنبله قمح وأسفلها عقود عنب. والكل محاط بغصن شجر ويبلغ وزن هذه القطع ٥ جرامات. صفحة (١٩٩):

وتحمل هذه الصفحة صور عملات أرابيون ٦٠-٤٠ ق.م وبوجود ٤٩-٣١ ق.م وبخوس ٤٩-٣٣ ق.م.

أولاً: عملة أرابيون - Araboin:

صور عملة أرابيون تحمل الأرقام ١٠١ - ١٠٢ وعليها صورته على العملة غير ملتح والشعر ينسدل فى صفائير مجدولة مزينة وعلى الوجه الآخر صورة لالهة محلية مغطاة مثل القطعة رقم ١٠١ والتي تزن ٥ جرامات. أما القطعة رقم ١٠٢ فعليها صورة الملك أرابيون ملتحمياً وعلى اليمين علامة تانيت Tanit إلهة قرطاجة الفينيقية. وعلى الوجه الثانى صورة الهة محلية متوجه تزن هذه القطعة ٦ جرامات.

ثانياً: عملة بوجود - Bogud:

قسمت عملات بوجود ملك موريتانيا الغربية إلى مجموعتين: عملات فضية وتحمل الأرقام من ١٠٣ إلى ١٠٥ وعلى هذه العملات صورة أفريقية مزينة بجلد فيل وعلى الوجه الثانى صورة حيوان خرافى مجنح ويلاحظ على هذا النوع من عملة بوجود تأثيرات فنية فينيقية ومصرية. كما يلاحظ أيضاً أن كتابة المسكوكات على العملة كانت بلغة لاتينية. راجع (Mazard.j.op.cit.p.61).

وزن هذه العملة ما بين ٢ جراما القطعة ١٠٣ و ٣ جرامات للقطعة ١٠٤ و ١٠٥ المجموعة الثانية من عملات بوجود هى العملة البرونزية وعليها صورة الملك ملتحيا وعلى الوجه الثانى مقدمة سفينة كتب أعلاها كلمة ملك وأسفلها كلمة بوجود وهذا ما يظهر على القطعة رقم ١٠٦ التى يبلغ وزنها ١٢ جراما.

ثالثاً: عملة بوخوس - Bocchus:

تشمل عملة بوخوس ملك موريتانيا الشرقية إصدارين متميزين: الأول يتبع ورشة مدينة سيجا والثانى يتبع ورشة مدينة لكسيوس وذلك بعد عملية ضم مملكة موريتانيا الغربية سنة ٣٨ قبل الميلاد.

ورشة سيجا: وتحمل عملات بوخوس التى ضربت فى هذه المدينة الأرقام من ١٠٧-١١٢ وعليها صورة الملك بوخوس ذو شعر طويل مموج ولحية بارزة للامام وعلى الوجه الآخر صورة شخص عار بيده اليمنى ترس وبيده اليسرى ثور صغير. تتراوح أوزان هذه القطع ما بين ٩ جرامات و ٧ جرامات وكما يذكر أن صورة الشخص العارى ربما تكون صورة أحد الآلهة المحليين (Mazard. J. Op. cit. p. 64)، النوع الثانى من عملات بوخوس هو إصدار ورشة لكسيوس وتحمل الأرقام من ١١٣-١١٧، وعليها صورة الملك بوخوس على وجه من العملة وعلى الوجه الآخر كوكب فى الوسط وعلى اليمين سنبله وعلى اليسار عنقود عنب ويتراوح وزن العملة ما بين ٢،٤ جرامات.

تحمل هذه الصفحة عملات فترة خلو العرش في مملكة موريثانيا من ٣٣-٢٥ ق.م. وبعض قطع عملات الملك يوبا الثاني. أولاً، عملات فترة خلو العرش:-

تحمل هذه العملات الأرقام من ١١٨-١٢٤ وتنقسم الى مجموعتين: الأولى تحمل اسم الملك بوخوس على وجه من العملة وعلى الوجه الآخر صورة فيل قطعة رقم ١١٩ أو أسد القطعتين ١٢٠، ١٢١ أما المجموعة الثانية من عملات فترة خلو العرش فعليها اسم وصورة أغسطس (قيصر) وعلى الوجه الثاني صورة أفريقية مزينة بجلد فيل مثل القطعة رقم ١٢٢، أو تحمل اسم قيصر أغسطس وصورة الإله آمون على وجه وعلى الوجه الثاني صورة فيل أفريقي يسير الى اليمين مثل القطعة ١٢٣. أو صورة اسد على وجه من العملة وعلى الوجه الثاني صورة ثور متحفر (القطعة ١٢٤) وتختلف أوزان قطع العملة فالعملة التي صدرت باسم بوخوس يتراوح وزنها ما بين ١١ جراما القطعة ١١٨ و ٦ جراما للقطعة رقم ١١٩ و ١٢٠ و ٢ جراما للقطعة ١٢١.

أما العملات التي حملت أسم قيصر أغسطس فأوزانها غير متساوية أيضا ٢٤ جراما للقطعة ١٢٤ و ٨ جرامات للقطعة ١٢٣ و ١٠ جرامات للقطعة ١٢٢.

ولاحظ على هذه المجموعة عدة أمور منها:-

- ١- استمرار ضرب العملة باسم الملك بوخوس في فترة خلو العرش.
- ٢- ظهور عملة باسم أغسطس مما يؤكد سيطرته على هذه المنطقة خلال تلك الفترة (راجع الفصل الخامس من الرسالة).
- ٣- وجود التأثيرات المصرية على عملات هذه المنطقة وهذا ما يؤكد وجود صورة الإله آمون.

بقية من ص (٢٠٠) والصفحات من (٢٠١) - (٢٠٧) :-

تحمل هذه الصفحات صور عملات الملك يوبا الثانى ملك موريتانيا، قسمت هذه العملات الى أكثر من نوع :-

أولاً: عملات فضية:

وقسمت بدورها إلى أكثر من نوع حسب الغرض منها.

(١) أنواع محلية :-

أ- عملات باسم يوبا الثانى عليها صورته على وجه، وعلى الوجه الثانى صورة أفريقية وتحمل الأرقام من ١٢٥ - ١٣٣ . وهذه العملات متساوية الوزن ٣ جرامات لكل قطعة.

ب- عملات باسم يوبا الثانى عليها صورته على وجه، وعلى الوجه الثانى صورة فيل أفريقى وتحمل الأرقام من ١٣٥ - ١٣٩ وأوزانها مختلفة ٣ جرامات للقطع من ١٣٥ - ١٣٩ و ٢ جراما للقطع من ١٣٧ - ١٣٨

ج- عملات باسم يوبا الثانى عليها صورته، وعلى الوجه الثانى صورة أسد وتحمل الأرقام ١٤٠ - ١٤٣، وأوزانها واحدة ٣ جرامات ما عدا القطعة رقم ١٤٣ فوزنها ٢ جراما.

(٢) أنواع دينية:

أ- عملات عليها صورة الملك يوبا الثانى وصورة معبد على الوجه الثانى، ويرجح البعض أن هذا المعبد كان للالهة المصرية ايزيس أو نتيجة التأثير الفينيقي أو كان مكرسا لعبادة أغسطس راجع (Mazard. J. op. cit. P.80) وتحمل قطع العملة الخاصة بهذا النوع، الأرقام من ١٤٤ - ١٥٦ وأوزان، هذه القطع متساوية ٣ جرامات فيما عدا القطعة رقم ١٤٧ فوزنها ٢ جراما.

ب- عملات عليها صورة يوبا الثانى، وعلى الوجه الثانى صورة محراب مكتوب

أسفل المحراب أسم أغسطس، وهذا النوع من العملة ضرب تكريماً للإمبراطور أغسطس وتحمل الأرقام من ١٥٧ - ١٦١. وهناك مجموعة من العملات التي صور عليها المحراب صورة حية فوق المحراب وهذا النوع ذو تأثير مصري وتحمل الأرقام ١٦٢ - ١٦٥ وهي متساوية الوزن ٢ جراماً لكل قطعة فيما عدا القطعة رقم ١٥٧ فوزنها ٣ جرامات.

ج- عملات دينية ليوبا الثاني عليها صورته وعلى الوجه الثاني مزهريات مقدسة تحيط بها الزهور من الجانبين وتحمل الأرقام من ١٦٦ الى ١٦٨ أوزانها متساوية ٢ جراماً.

د- عملات عليها صورته على وجهه، وعلى الوجه الثاني أكليل من الغار وتحمل الأرقام من ١٦٩ - ١٧٥ وأوزانها مختلفة ٢، ٣ جرامات.

هـ- عملات ليوبا الثاني وعلى الوجه الثاني صورة جلد أسد يحيطها سهم على اليسار ورمح على اليمين وتحمل الأرقام من ١٧٦ - ١٨٨ أوزانها ما بين ٢، ٣ جراماً.

و- النوع الأخير فيظهر على وجهه من العملة هلال يتوسطه نجمة ويذكر أن هذه العلامات لها دلالات خاصة فالنجمة ترمز الى ثقافة بعل والهلال يرمز الى زوجته كليوباترا راجع (Mazard. J. op. cit. p88).

(٢) أنواع حربية:-

قسمت عملات يوبا الثاني الحربية الى عدة أنواع منها:-

أ - العملات التي تحمل الأرقام من ١٩٣ - ١٩٥ وعليها صورة يوبا، وعلى الوجه الثاني كرسى عليه تاج الملك وبجواره شعار السلطة وعلى اليمين رمز ايزيس الإلهة المصرية ووزن هذه العملات متساوية ٢ جراماً فيما عدا القطعة رقم ١٩٥ فوزنها ٣ جرامات.

وهذا النوع من العملات الحربية قد ضربت في ذكرى انتصار القائد الروماني كوسس Cossus على قبيلة الجيتوليين (الفصل الخامس من الرسالة).

ب- عملات عليها صورة الملك يوبا الثانى وعلى الوجه الثانى علامة النصر عبارة عن شخص يقف فوق رأس فيل بيده غصن شجرة وتاج وتحمل الأرقام ١٩٦-٢٠٣ وضربت هذه العملة بمناسبة انتصار الرومان على الجيتوليين فى عام ٦، ٧ ميلادية وأوزانها ما بين ٢، ٣ جرامات.

(٤) أنواع مكرسة لأغسطس:

أ- صورة الملك يوبا على وجه من العملة وعلى الوجه الثانى عقاب، يرمز لقوة الإمبراطور أغسطس ويجواره شعار السلطة. وتحمل الأرقام من ٢٠٤-٢٠٧ وأوزانها متساوية ٢ جراما.

ب- صورة الملك يوبا الثانى على وجه من العملة، وعلى الوجه الثانى برج الجدى وهو يرمز إلى برج الإمبراطور أغسطس وتحمل الأرقام من ٢٠٨-٢٢١ وأوزانها متساوية ٢ جراما لكل قطعة.

(٥) أنواع مصرية:-

صورة الملك يوبا الثانى وعليها علامات لتأثيرات مصرية مثل الإلهة إيزيس وحتحور أو تجمع بين ايزيس وحتحور. وهذه العملات تحمل الأرقام من ٢٢٢-٢٢٦ أوزانها متساوية ٣ جرامات.

أما العملات التى تحمل الأرقام من ٢٢٧-٢٦٩ فهى ذات أغراض مختلفة ضربت فى مناسبات عديدة تراوحت أوزانها ما بين ٣ جرامات و ٢ جراما.

ثانيا: العملات البرونزية:-

العملات البرونزية ليوبا الثانى عديدة أيضا صنفت الى عدة أنواع كالآتى:-

أ- عملات عليها صورة يوبا الثانى وعلى الوجه الثانى صورة أسد أو ثور مثل القطعة رقم ٢٧٠ وزنها ٧ جرامات.

ب- عملات عليها علامة إيزيس المصرية وتحمل الأرقام من ٢٧١-٢٧٤

وأوزانها غير متساوية. القطعة رقم ٢٧١ وزنها ١١ جراما ورقم ٢٧٢ وزنها ٨ جرامات والقطعة رقم ٢٧٣ وزنها ٧ جرامات و٢٧٤ وزنها ٢ جراما.

ج- عملات عليها صورة يوبا الثانى وعلى الوجه الثانى أكليل الغار كتب فى الوسط أسم الملك يوبا، القطعة رقم ٢٧٥ وزنها ١٨ جراما.

د- عملات عليها صورة يوبا الثانى وعلى الوجه الثانى صورة فيل يسير الى اليمين. القطعة رقم ٢٧٦ وزنها ٨ جرامات. والعملات التى تحمل رقم ٢٧٧-٢٧٩ رسم عليها صورة ثور ووزنها ما بين ٣ جرامات و٢ جراما.

هـ- العملات من ٢٨٠-٢٨٩ تحمل علامة النصر تتراوح أوزانها ما بين ٦ إلى ٤ جرامات.

و- عملات ليوبا الثانى من البرونز رسم عليها برج الجدى مثل السابقة وتحمل الأرقام من ٢٩٠-٢٩٢ وزنها ما بين ٧ إلى ٥ جرامات.

ز- أما القطعة رقم ٢٩٣ فعليها صورة يوبا، وعلى الوجه الثانى صورة يوبا وعلى رأسه تاج يرمز إلى مدينة قيصرية العاصمة. وزن هذه القطعة ٢٦ جراما.

ح- عملات تحمل أسم يوبا بجوار صورة أفريقية وعلى الوجه الثانى صورة عقاب يرمز لأغسطس وبجانبه شعار السلطة. القطعة رقم ٢٩٦ وزنها ٢٧ جراما.

وتمثل العملات من رقم ٢٩٧-٣٥٥ عملات مشتركة ليوبا الثانى وزوجته، وإيزيس وصورة التمساح يرمزا إلى النيل المصرى. وهذه العملات تتراوح أوزانها ما بين ٣-٢ جراما.

ص (٢٠٧) و (٢٠٨) :-

تحمل عملات الملكة كليوباترا زوجة يوبا الثانى. وانقسمت الى نوعين: عملات فضية وتحمل الأرقام ٣٥٧-٣٧١ عليها اسم وصورة يوبا الثانى، وعلى الوجه الثانى اسم وصورة كليوباترا، وتتراوح أوزان هذه العملات ما بين ٣-٢ جراما.

النوع الثاني هو العملات البرونزية . وعليها إسم وصورة يوبا الثاني وعلى الوجه الثاني صورة واسم كليوباترا وتحمل الأرقام من ٣٧٢-٣٧٤ وأوزانها مختلفة. القطعة رقم ٣٧٢ وزنها ١٦ جراما أما القطعتين ٣٧٣ و٣٧٤ فالوزن متساوى ١١ جراما لكل قطعة .

ثالثا، صور الآلهة والشخصيات الهامة

شكل رقم (٨) :علامات تانيت، إلهة قرطاجة . مأخوذة عن: Cintas. P., Le Signe de "Tanit", Archeologie vivante, (Paris: (1968-1969)). P. 7.

شكل رقم (٩) :تمثال للإله بعل حامون Beal Hamon مأخوذة عن: Foucher. L., les Représentations de Baal Hammon., Archeologie vivante, (Paris 1968-1969). P. 137.

شكل رقم (١٠) :لوحة قرطاجية يظهر فيها كاهن يحمل بيده طفل لتقديمه كضحية بشرية . مأخوذة عن: Bisi. A. M., Les Steles Puniques. Archeologie vivant, (Paris 1968-1969). P.114.

شكل رقم (١١) : لوحة عليها تمثال الاله ساتورنيوس . مأخوذة عن: Slim. H., Histoire de la Tunisie L'Antiquite. Tunis (?) p. 230.

شكل رقم (١٢) :صورة القائد القرطاجي هملقار برقة Hamilcar Barca مأخوذة عن: رشيد الناصوري، المغرب الكبير، الجزء الأول. القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٥٦,

شكل رقم (١٣) : صورة الملك النوميدي ماسينسا Masinissa مأخوذة عن: رشيد الناصوري، نفس المرجع ص ٢٧٠,

شكل رقم (١٤) :تمثال نصفي للقائد الروماني سقبيو الأفريقي . مأخوذة عن: Julien. Ch. A., Histoire de L'Afrique du Nord. (Paris. 1931) P.75.

شكل رقم (١٥) :صورة فوتوغرافية للوحدات السنتورية فى ولاية أفريقيا الرومانية مأخوذة عن :

Saumgne. C., la photographie Aerienne au :

service de L'Archeologie en Tunisie, (Paris 1952.) p. 295.

شكل رقم (١٦) :تمثال نصفى لبومبى الكبير. مأخوذة عن: ولز هـ.ج، معالم تاريخ الإنسانية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. المجلد الثانى الطبعة الثالثة القاهرة. ١٩٦٩ ص ٥٨٦ .

شكل رقم (١٧) : تمثال نصفى لقيصر. مأخوذة عن : Julien. Ch. Op. cit. P. 123. :

شكل رقم (١٨) : تمثال نصفى لكاتوالأوتيكى . مأخوذة عن: Julien. Ch. A. op. cit. : P.125.

شكل رقم (١٩) :تمثال نصفى للملك يوبا الأول. مصنوع من المرمر مأخوذة عن:

Mazard. J. et Leglay. M.; Les Portraits antiques du Musée

Stephane Gsell (Alger. 1958.) P.15.

شكل رقم (٢٠) :تمثال نصفى للملك يوبا الثانى: مصنوع من المرمر . مأخوذة عن:

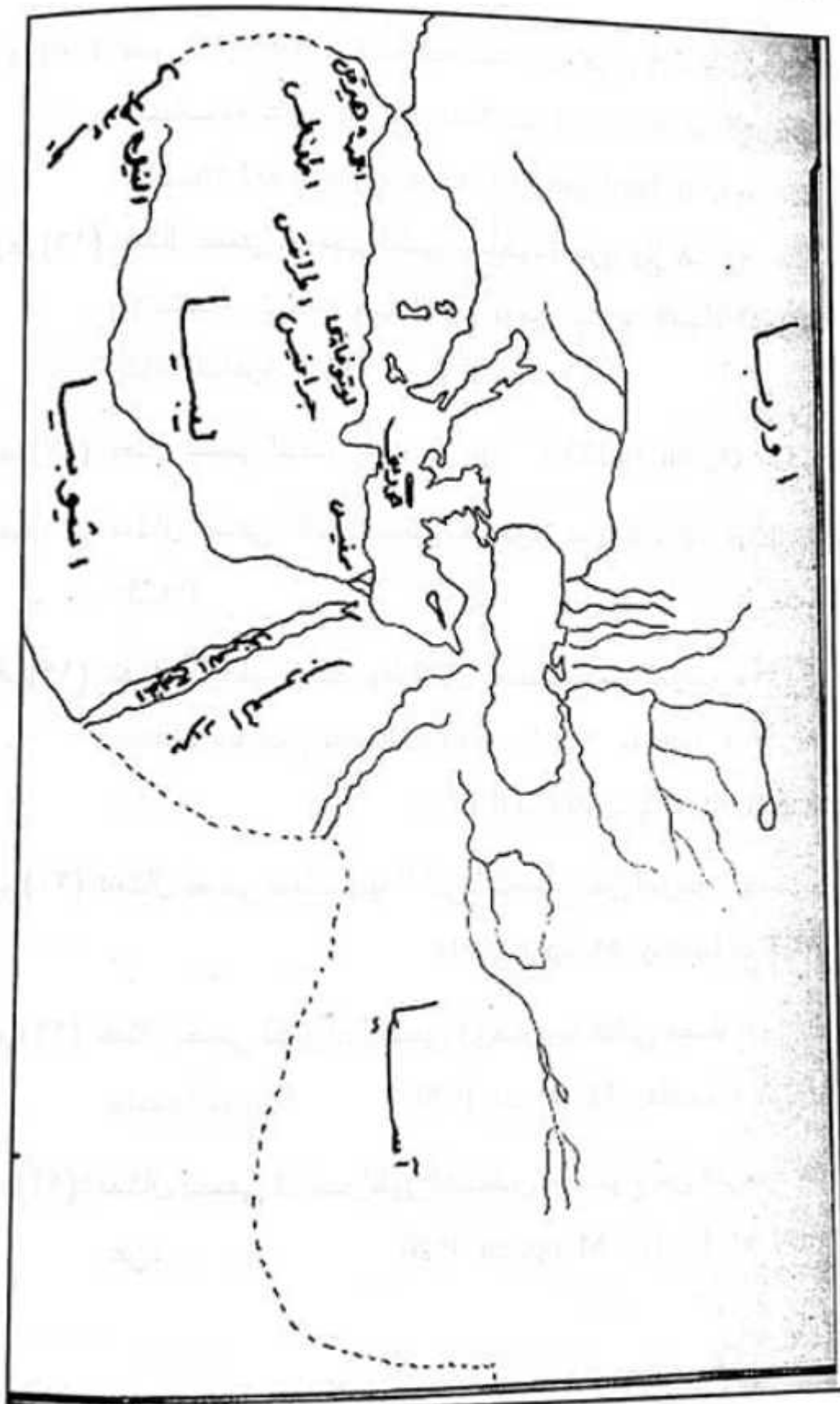
Mazard. J. et Leglay. M. op. cit. P18.

شكل رقم (٢١) :تمثال نصفى لكليوباترا سلينى زوجة يوبا الثانى مصنوع من المرمر.

Mazard. J. et Leglay. M. op. cit. P.20. مأخوذة عن:

شكل رقم (٢٢) : تمثال نصفى للامبراطور أغسطس مصنوع من المرمر. مأخوذة

Mazard. J. et Leglay. M. op. cit. P.26. عن:

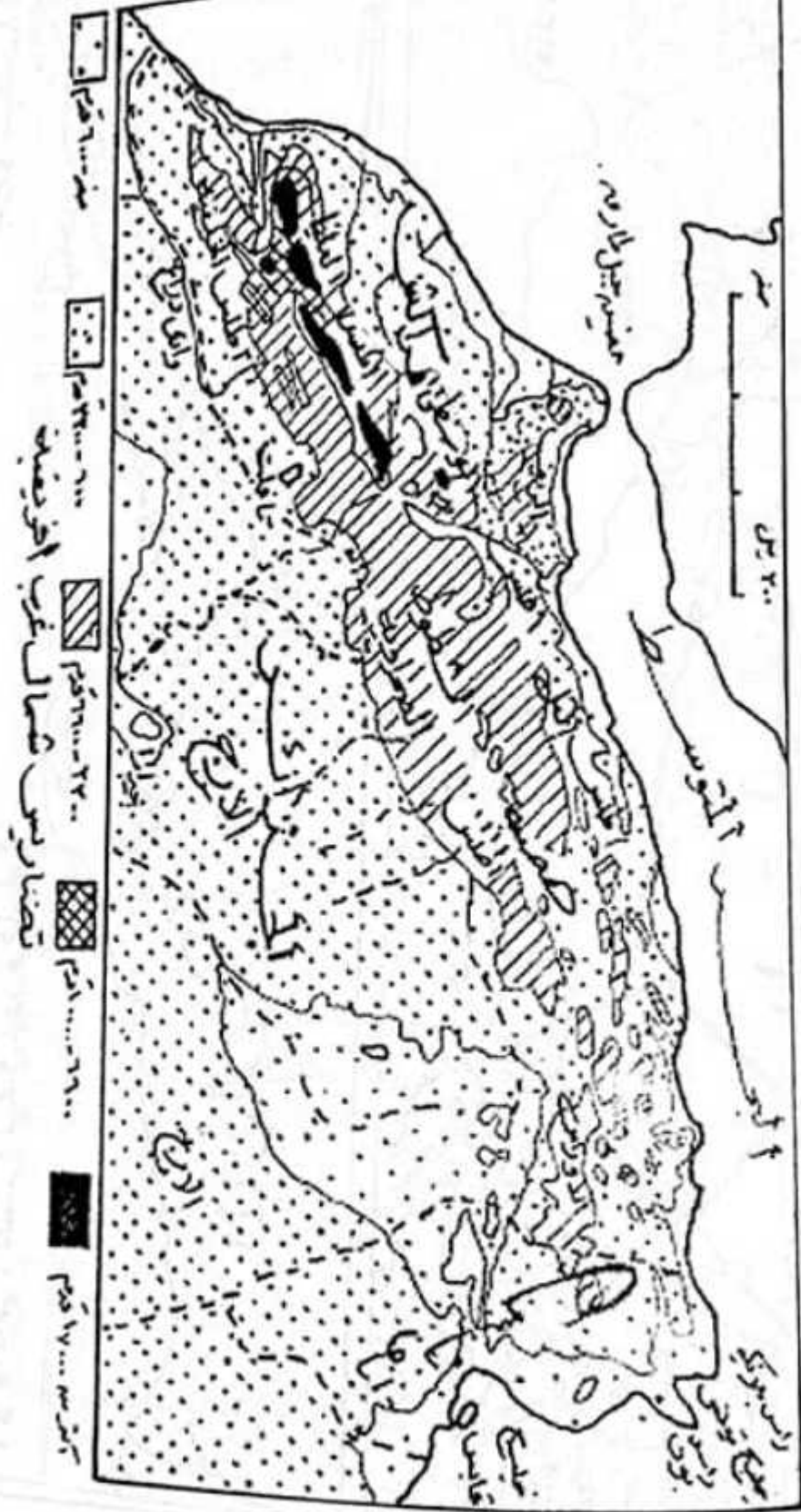


العالم طبقاً لهيروتوت ٤٤٠ ق.م

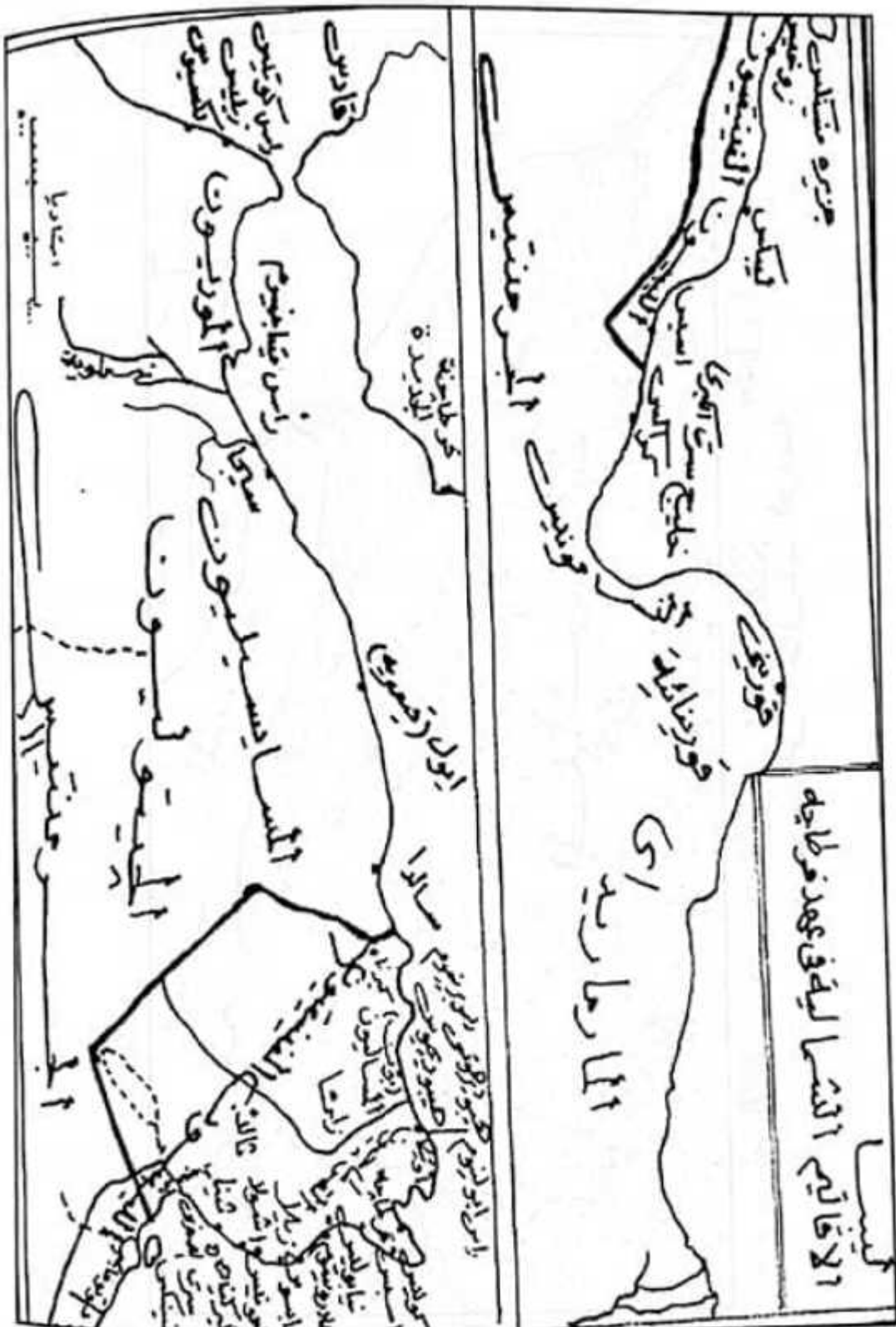
شکل رقم (۱)

Herodotus. IV. Translated by Godley.: بتصرف عن
A.D. (London 1950)

A.D. (London 1950)



شكل رقم (٢)
Stamp. D., Africa A study in tropical development. (london. بنصره عن: ١٩٥٩.) p. 233.

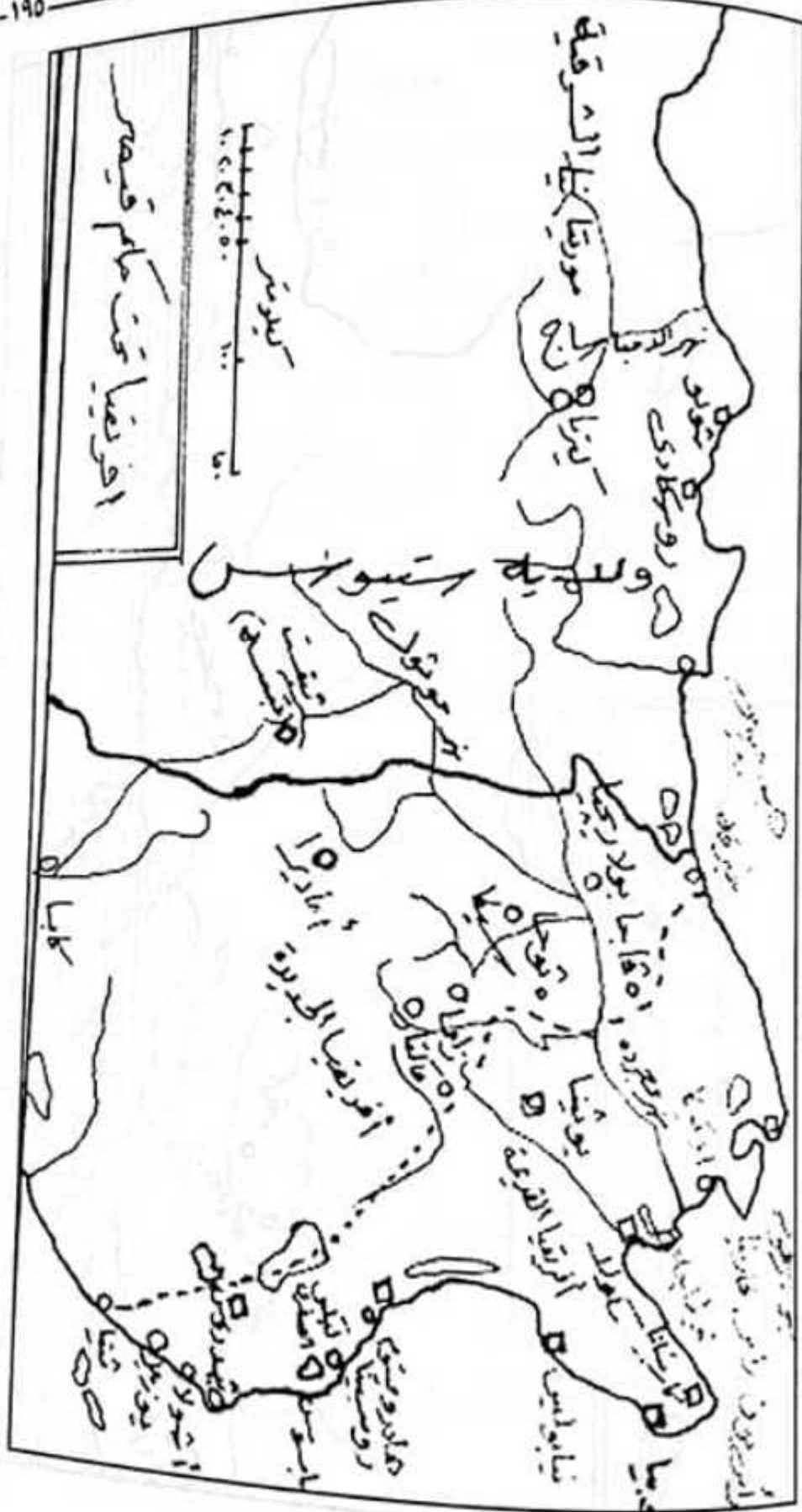


شكل رقم (٢)

بتصرف عن، (Strabo, XVII. Translated by Horace, J. (London 1954)



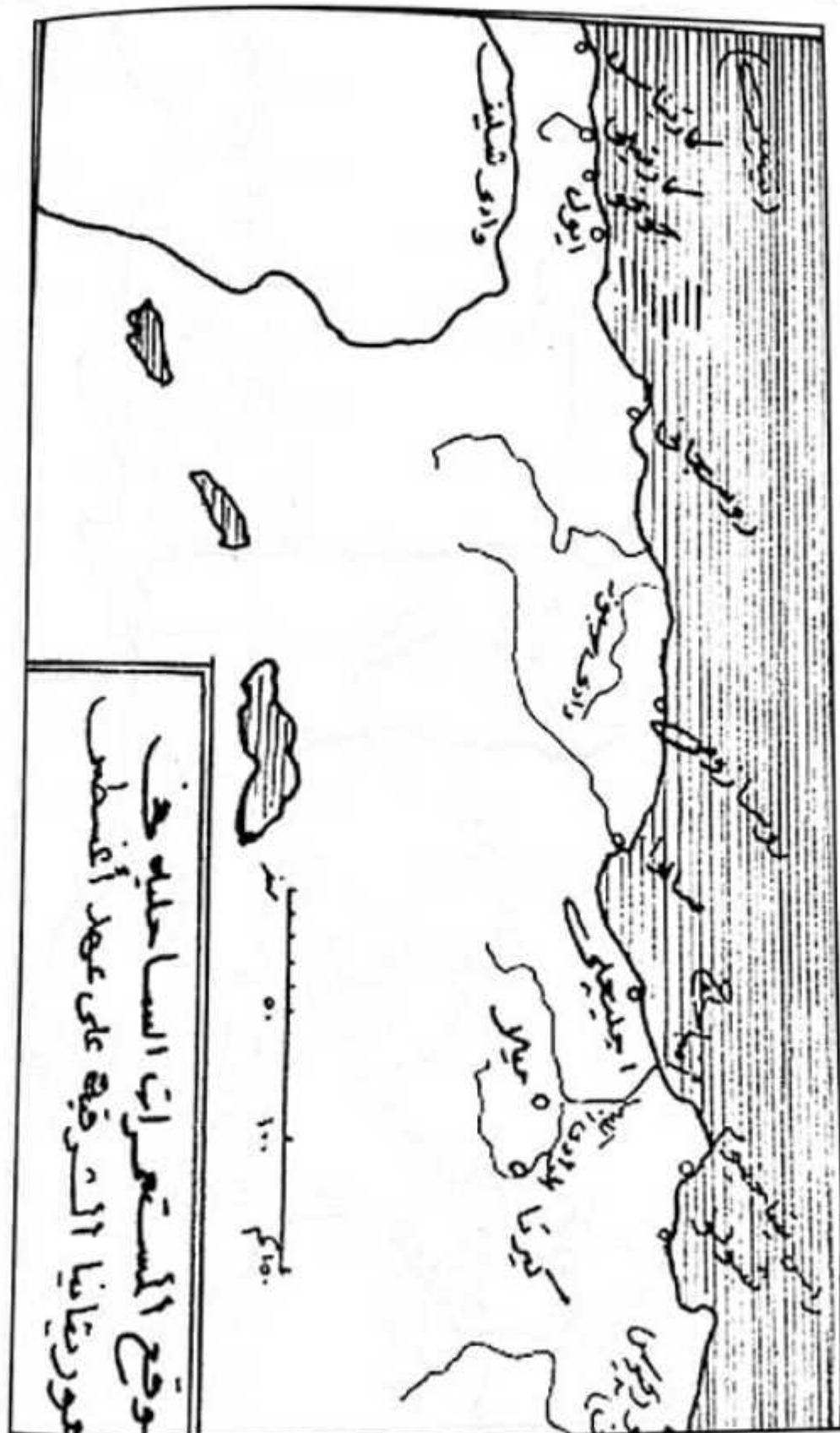
شكل رقم (٤)
 Gsell. S., Histoire ancienne de l' Afrique du Nord (Parids، بنصر فاعن،
 1972.) Tome II. p. 153.



الحد الروماني القديم ١٤٦ ق.م
الحد الروماني الجديد ٤٦ ق.م
المستمرات التي اقيمت في عصر قيصري

شكل رقم (٦)

بتصرف عن: Gsell. S, op. cit. II. p. 97.



شكل رقم (٧)

بتصرف عن: Gsell. S, op. cit. II. p. 153.

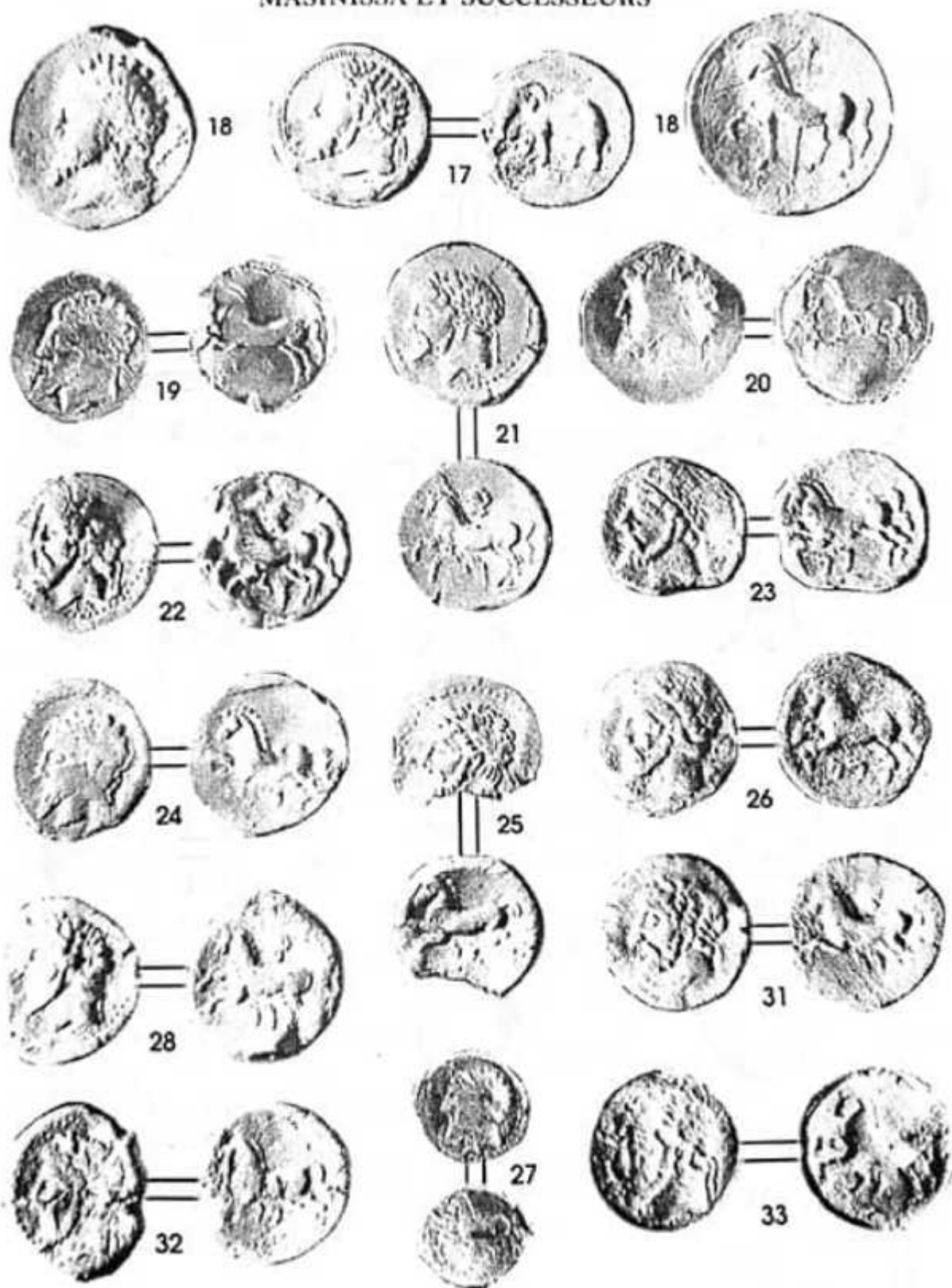
SYPHAX

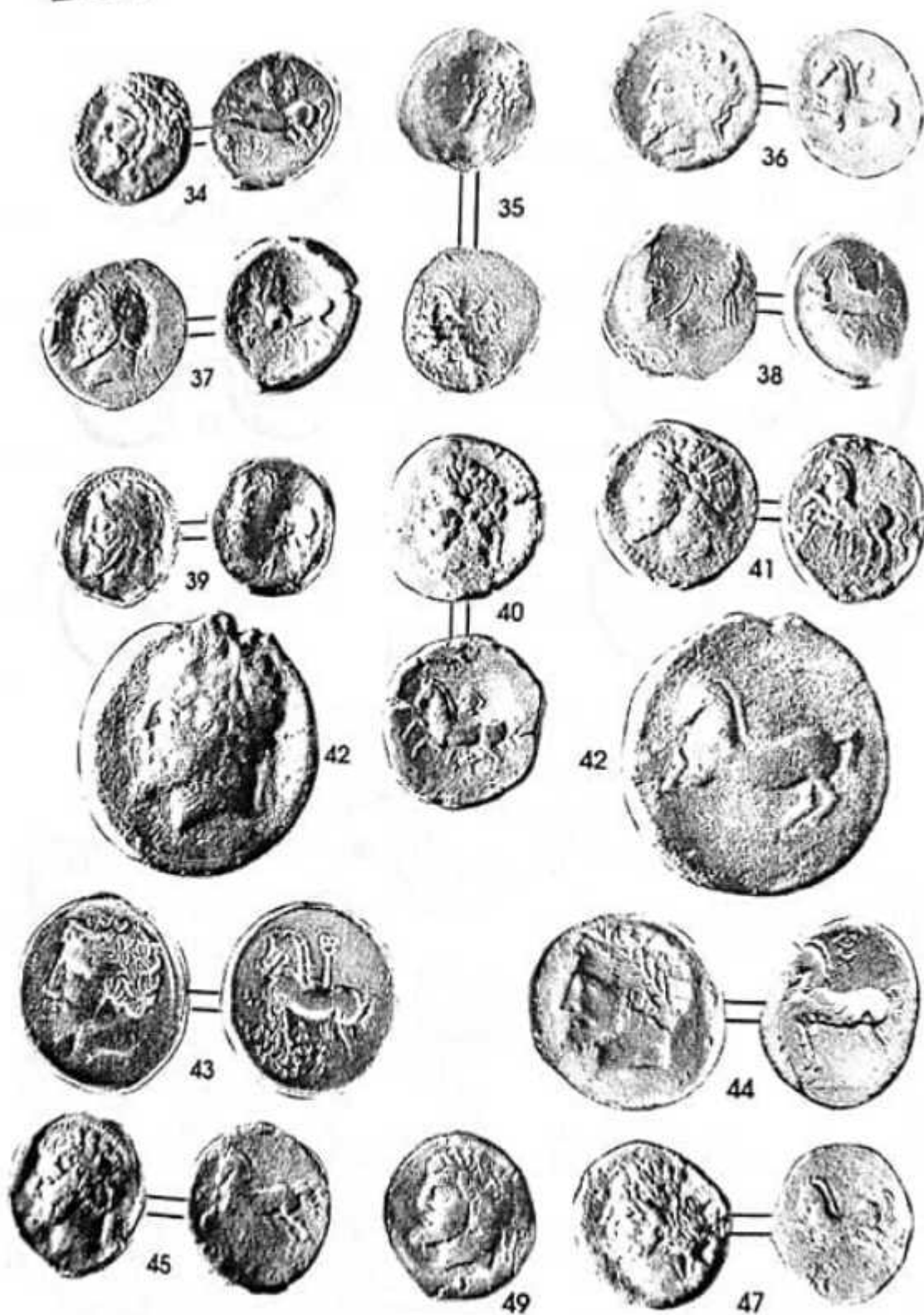


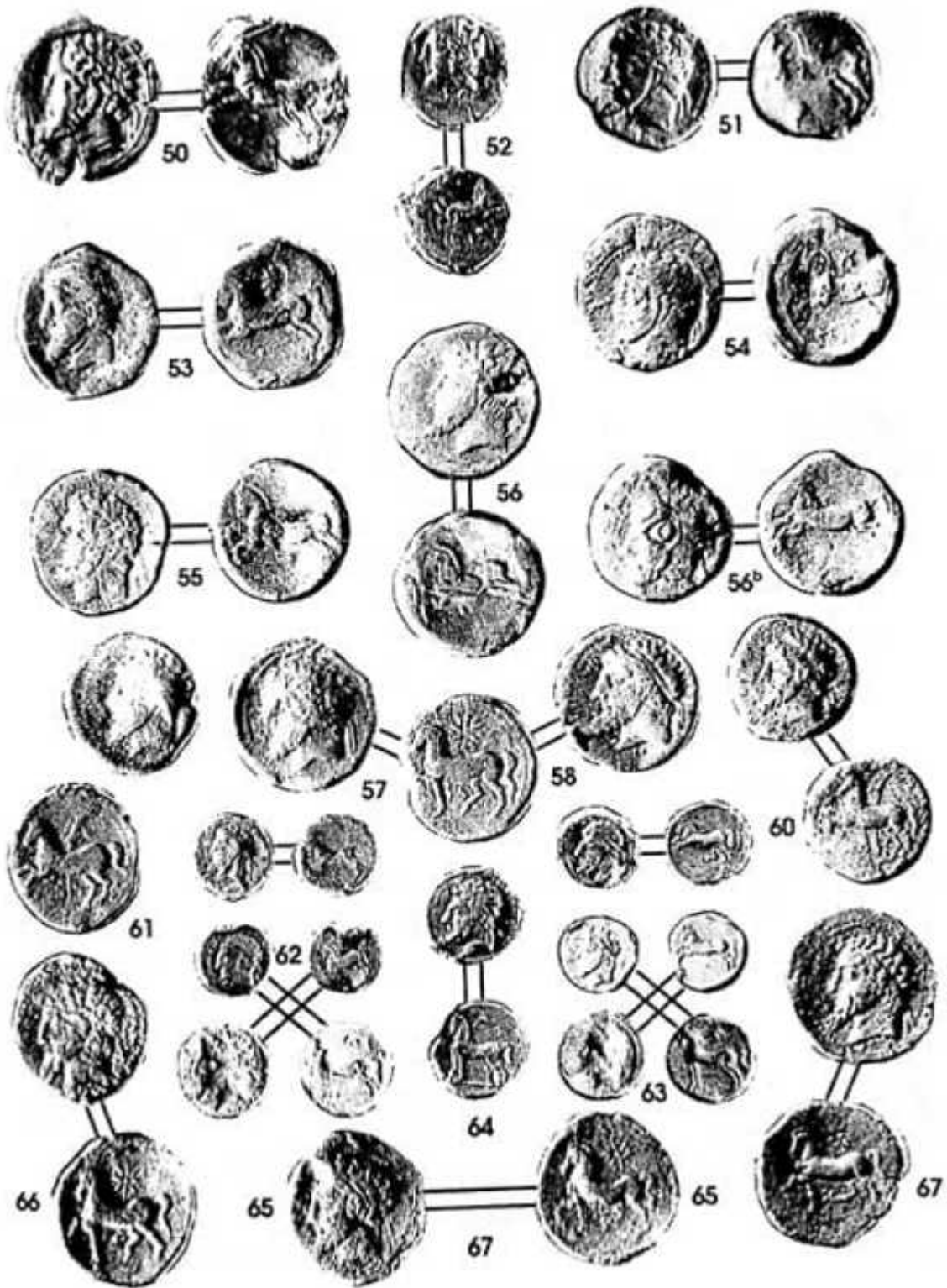
VERMINA

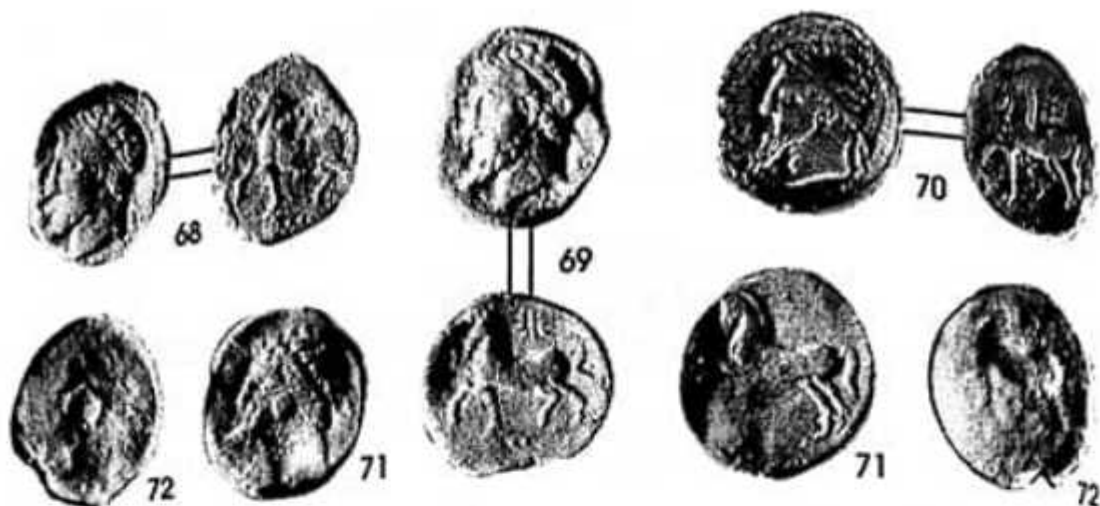


MASINISSA ET SUCCESEURS





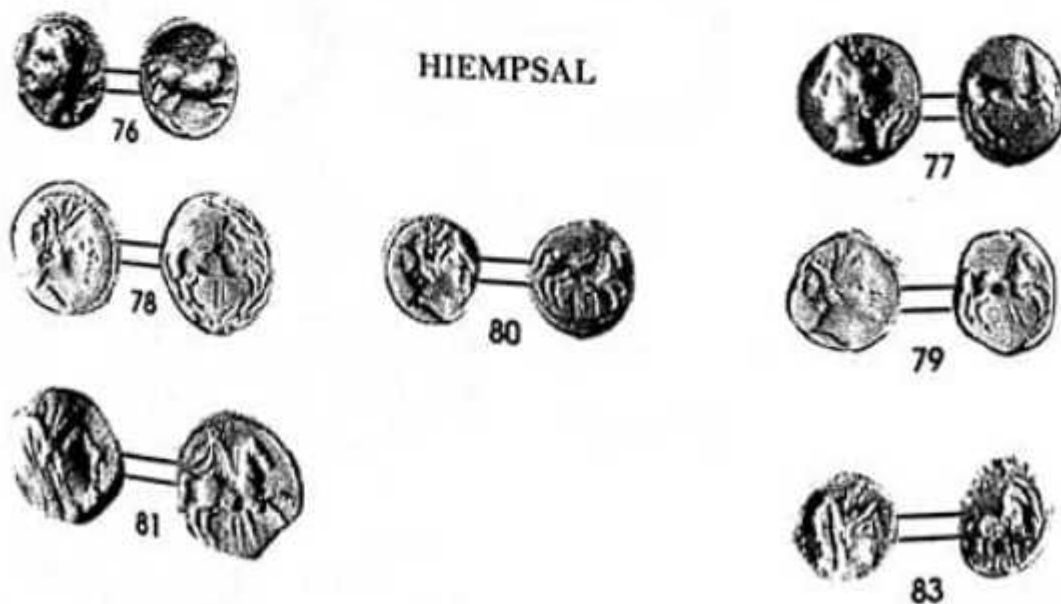




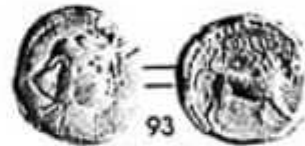
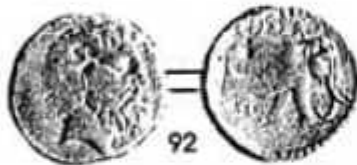
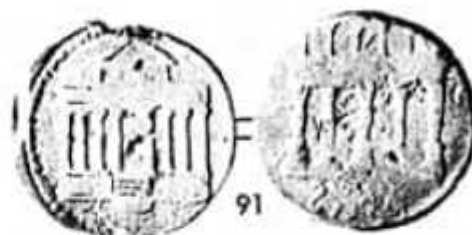
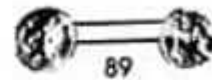
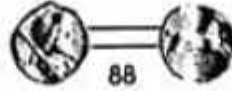
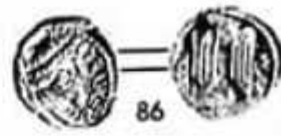
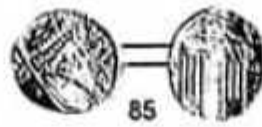
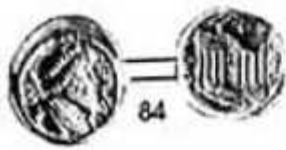
JUGURTHA



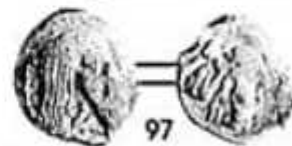
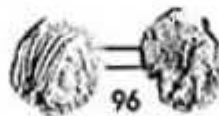
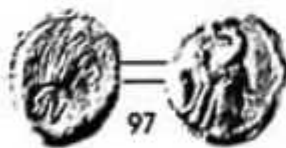
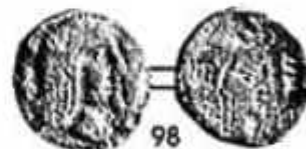
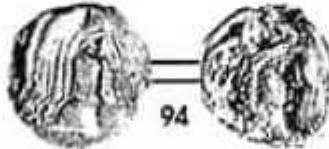
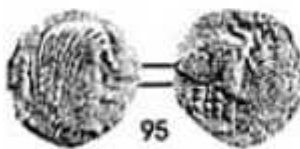
HIEMPSAL



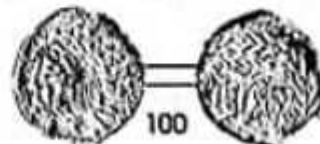
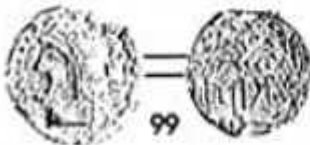
JUBA Ist



HLARBAS



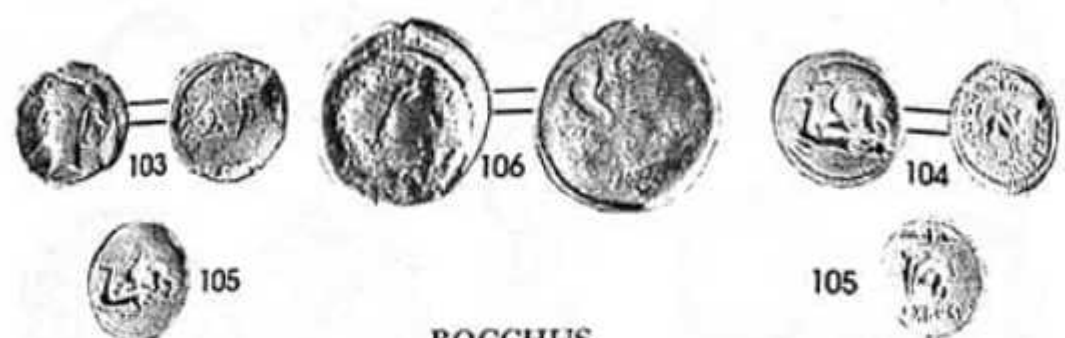
MASTENISSA



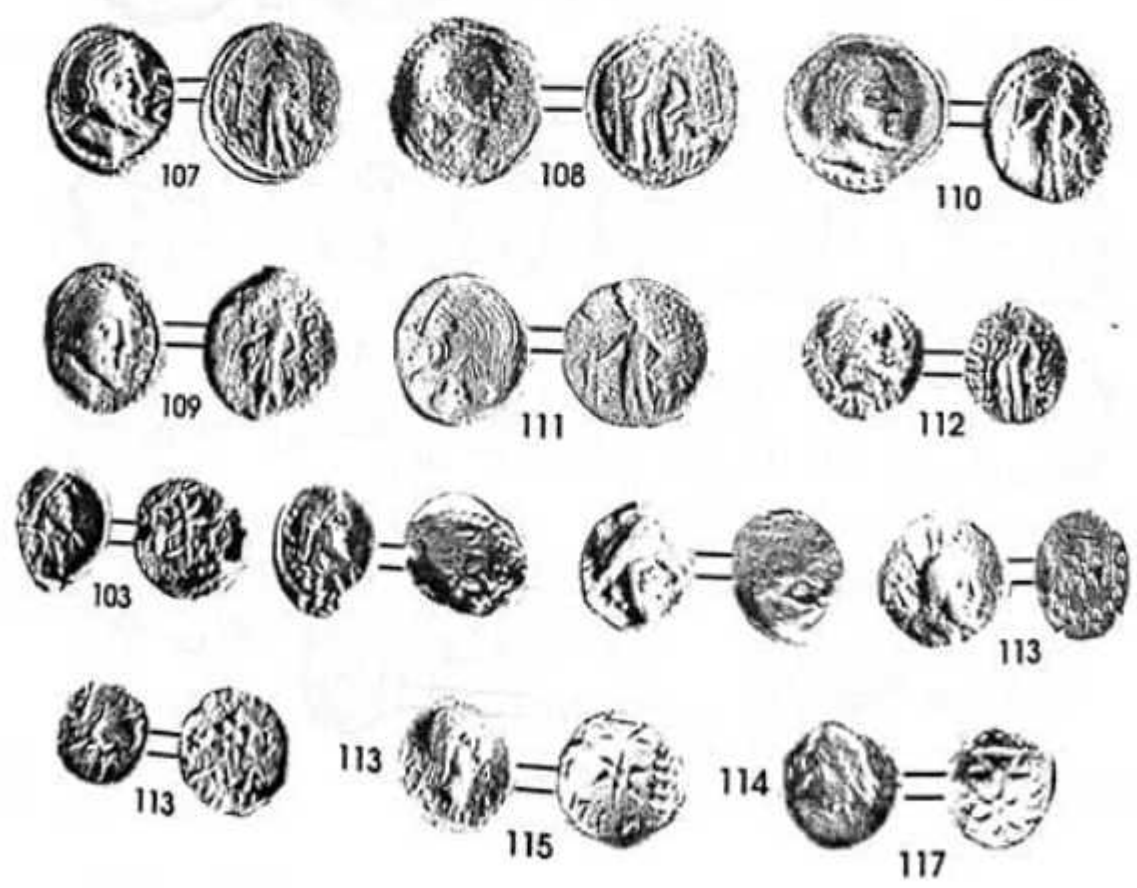
MASTENISSA II (ARABION)



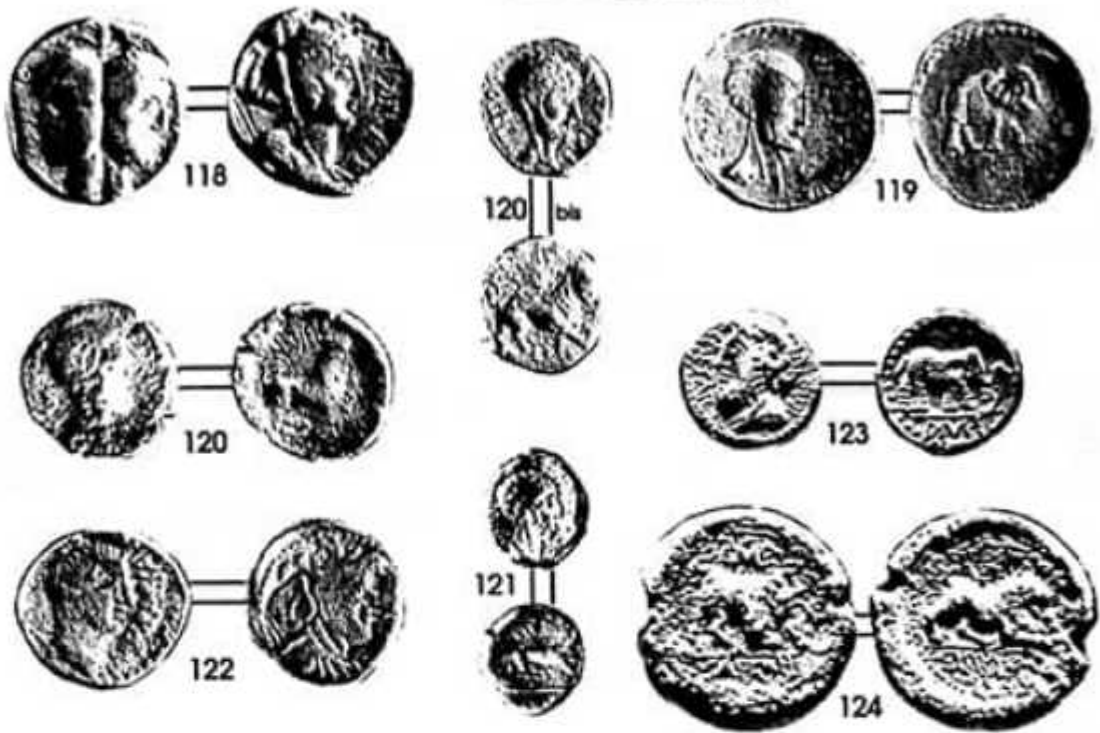
BOGUD



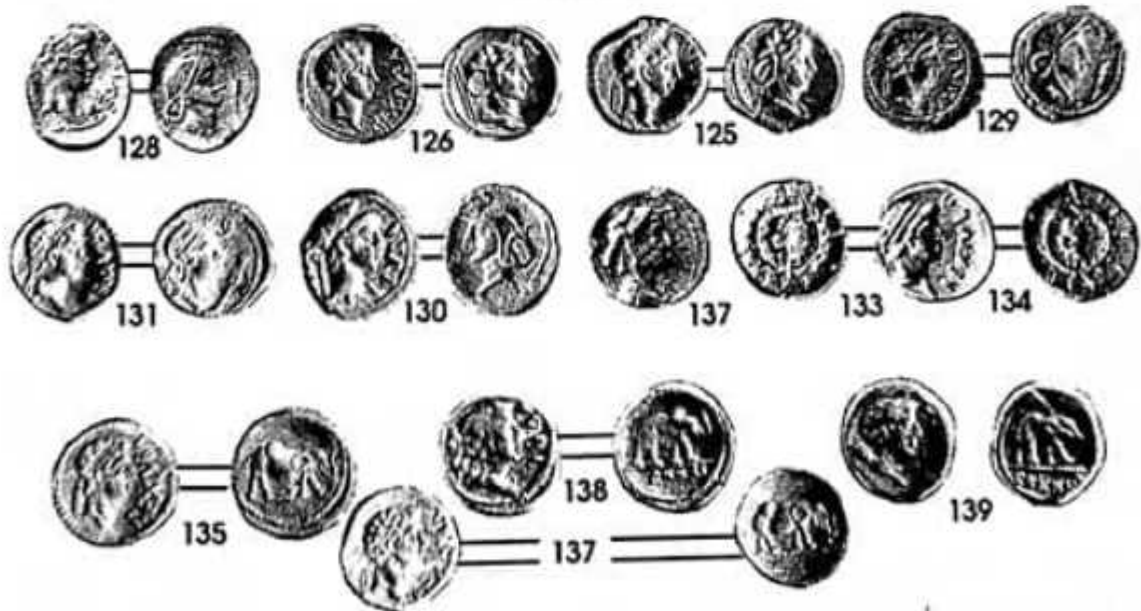
BOCCHUS



MONNAIES DE L'INTERREGNE



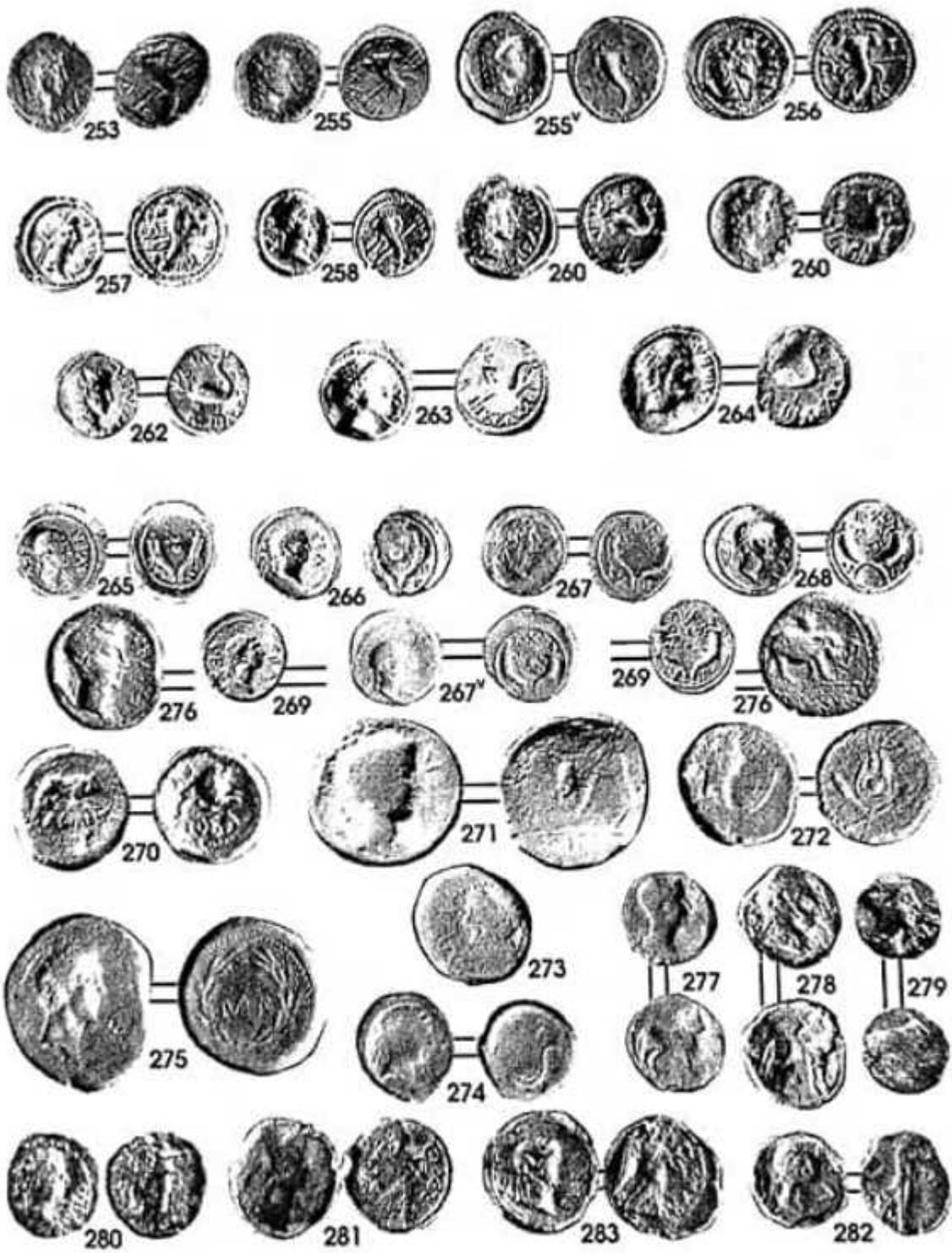
JUBA II

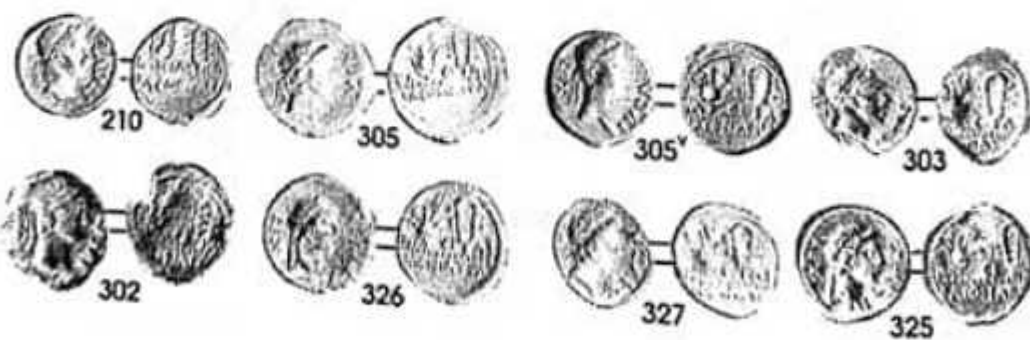
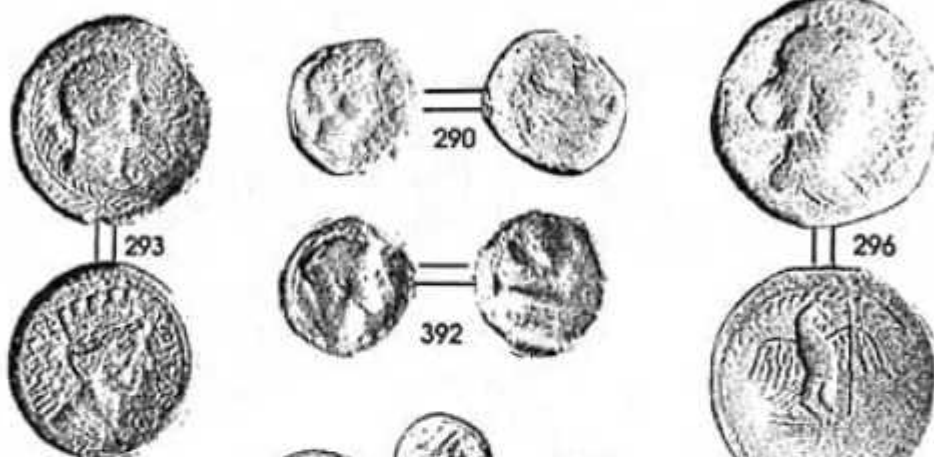
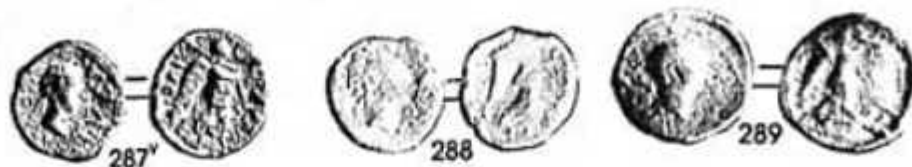














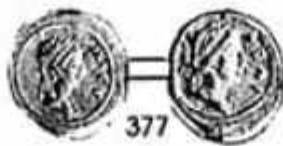


MONNAIES A VEC L'EFFIGIE DE CLEOPATRE





375



377



378



376



377



379



381



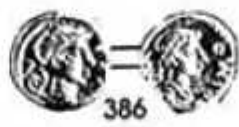
380



382



383



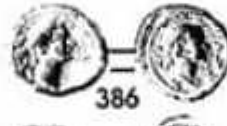
386



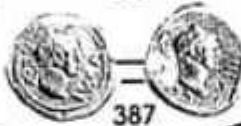
385



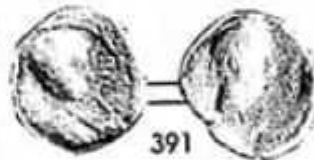
388



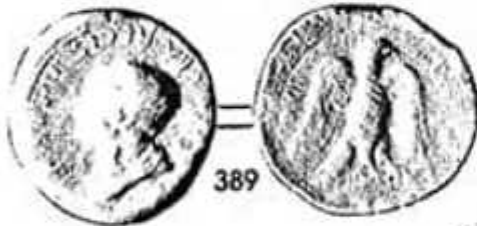
386



387



391



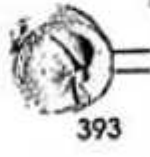
389



389 bis



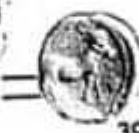
392



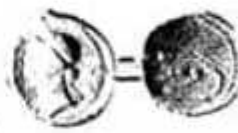
393



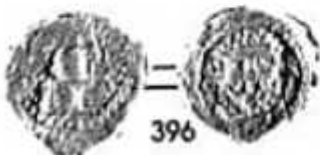
395



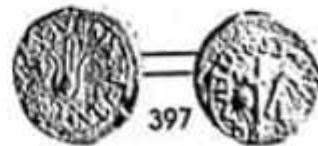
393



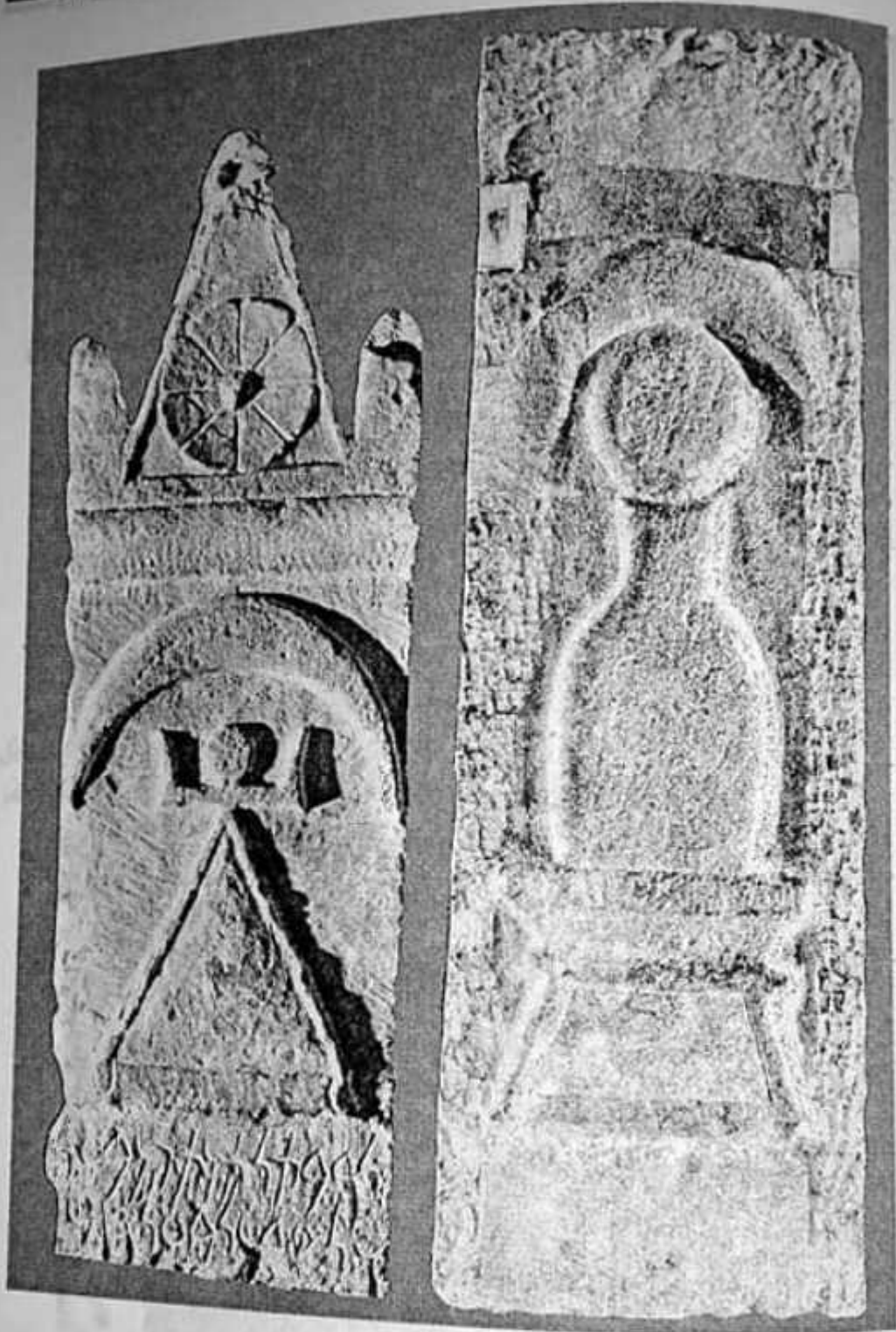
394



396



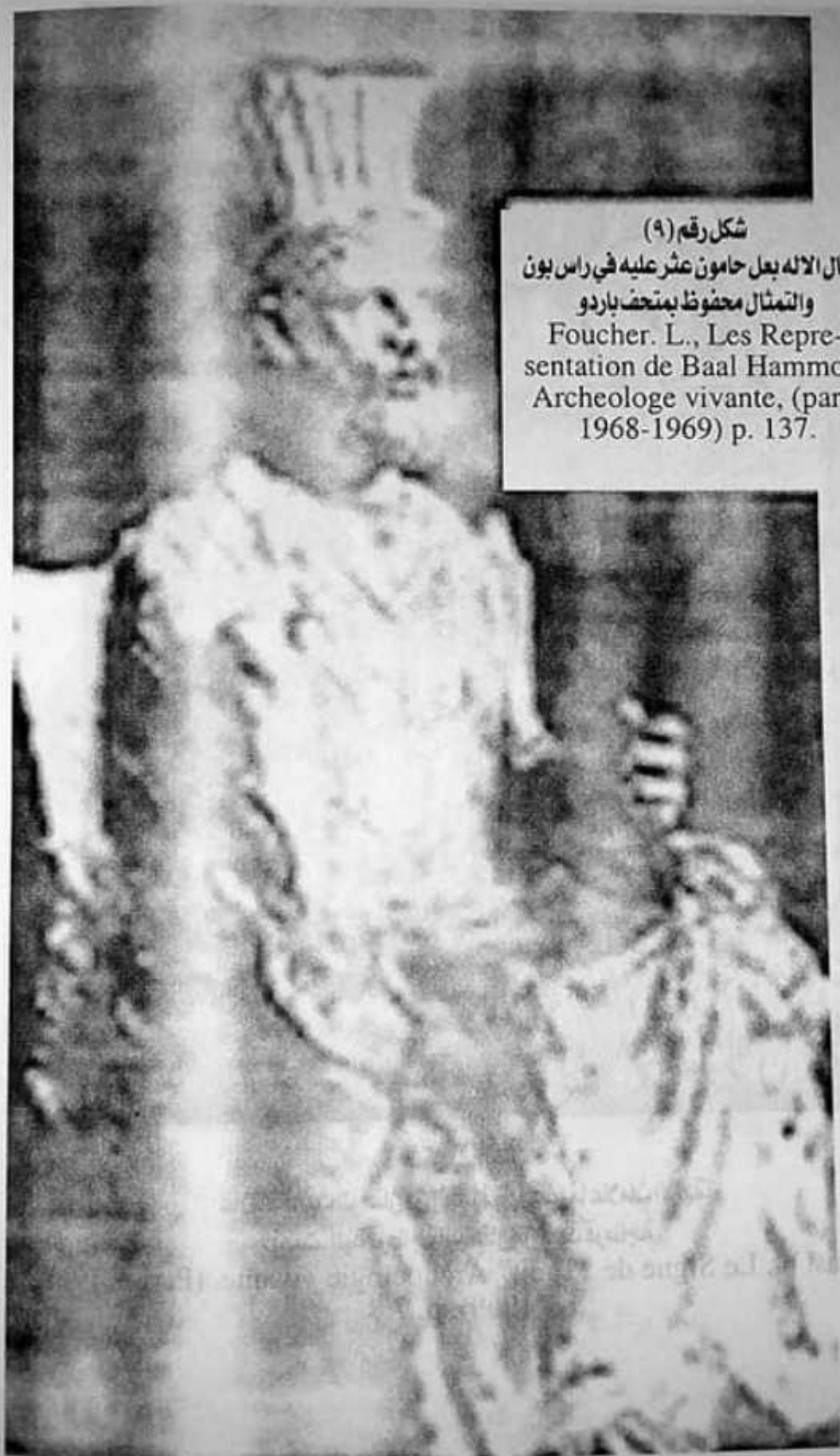
397



شكل رقم (٨)

علامات تانيت، لوحتان من الجمر تظهر عليهما علامات الالهة
تانيت. الهة قرطاجة اللوحتان من معبد قرطاجة

Cintas. p., Le Signe de "Tanit" Archoeologie vivante. (Paris . 1968-
1969). p. 7



شكل رقم (٩)

تمثال الاله بعل هامون عشر عليه في راس بون

والتمثال محفوظ بمتحف باردو

Foucher. L., Les Re-
presentation de Baal Hammon.
Archeologie vivante, (paris
1968-1969) p. 137.



شكل رقم (١٠)

لوحة قرطاجية يظهر عليها كاهن يحمل بيده طفل
لنقله كضحية بشرية، واللوحة مخشوة بمنحرف
باردو

Bisi. A.M., Les Steles Pu-
niques.
Archeologie vivante, (paris
1968-1969) p. 144.



شكل رقم (١١)

لوحة عليها تمثال الاله الروماني ساتورنيوس

Slim. H., Histoire de la Tunisie L'Antiquite? p. 230



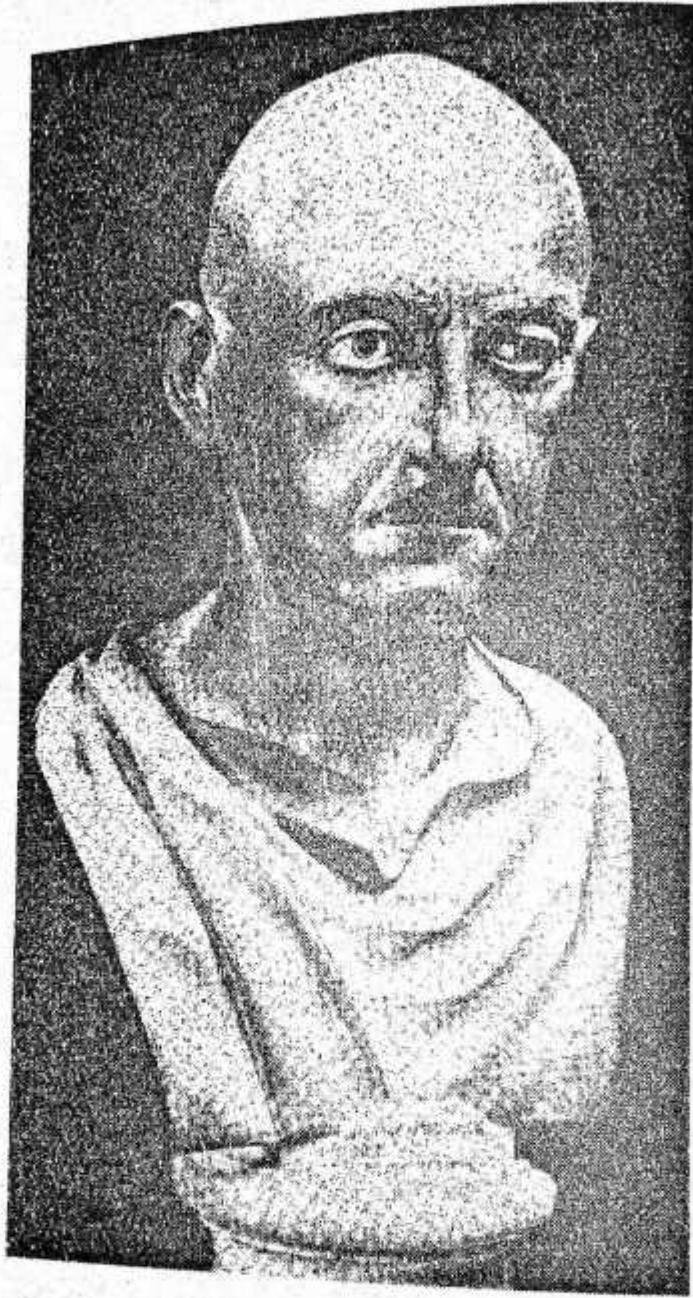
شكل رقم (١٢)

صورة القائد القرطاجي هاميلقاربقة

عن: رشيد الناصوري، المغرب الكبير، الجزء الأول. القاهرة ١٩٦٦. ص ٢٥٦.

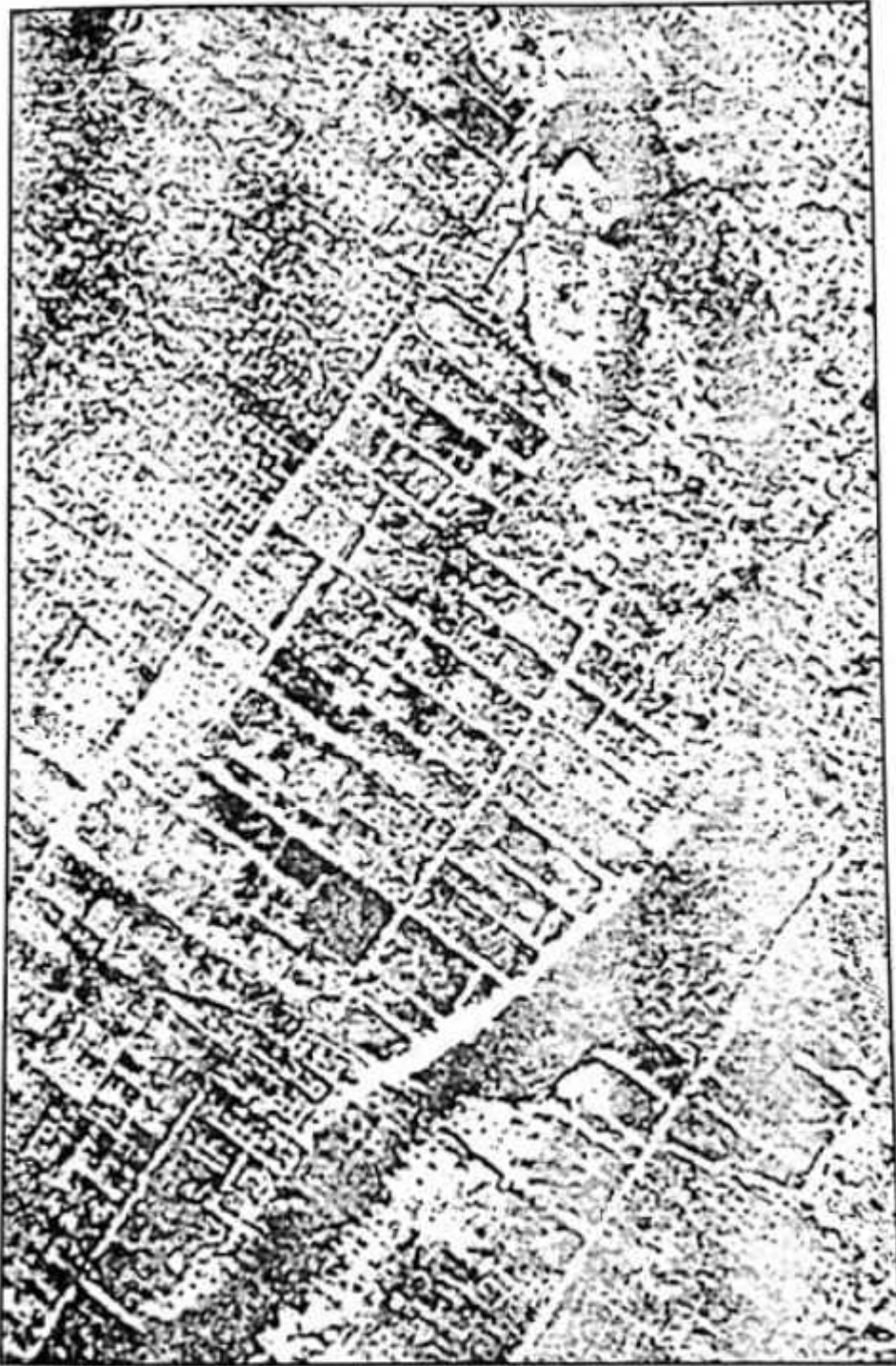


شكل رقم (١٢)
صورة الملك النوميدي ماسينسا
عن: رشيد الناصوري، المرجع السابق، ص ٢٧٠.



شكل رقم (١٤)

تمثال نصفي للقائد الروماني سبينيو الافريقي مصنوع من البرونز، وهذا التمثال محفوظ بمتحف نابولي
 Julien. ch. A., Histoire de L'Afrique du Nord . Paris 1931. p. 75.



شكل (١٥)

صورة فوتوغرافية لوحدة من الوحدات السنتورية في إحدى مدن ولاية أفريقيا الرومانية
Saumagne. C., La Photographie Aerienne au service de L' Archeologie
en Tunisie. Paris 1952. P. 295.



شكل (١٦)

تمثال نصفي لبومبي الكبير

عن: ولز. هج. معالم تاريخ الانسانية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. المجلد الثاني الطبعة الثالثة. القاهرة
١٩٦٩ ص ٥٨٦



شكل رقم (١٧)

تمثال نصفي لقيصر

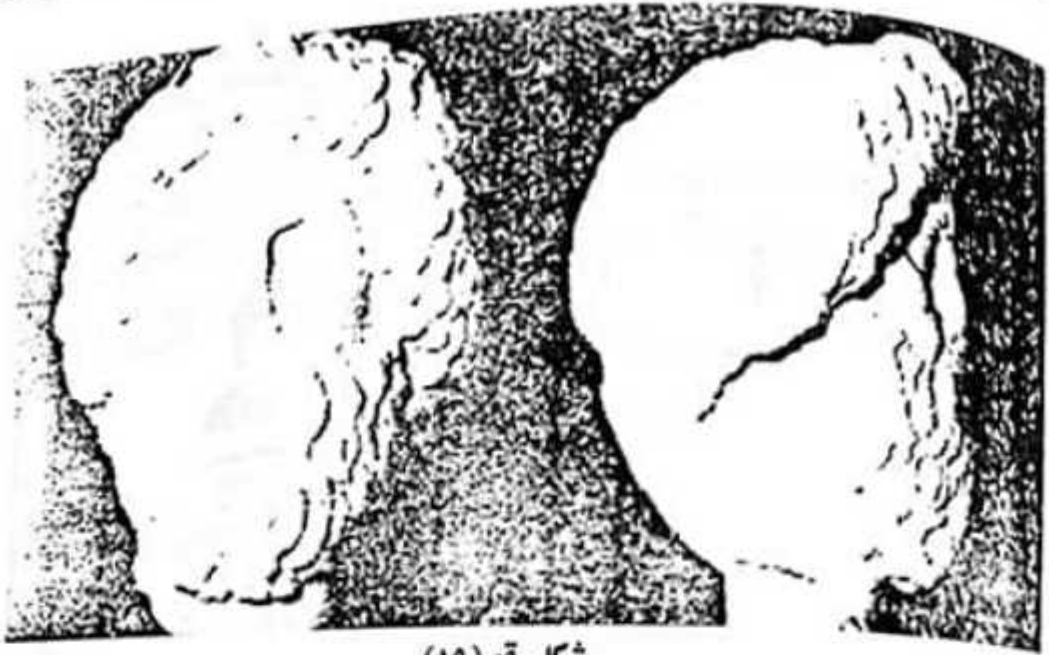
عن: Julien. Ch. A. op. cit. P. 123



شكل رقم (١٨)

تمثال نصفي لكاتوالاوتيكي

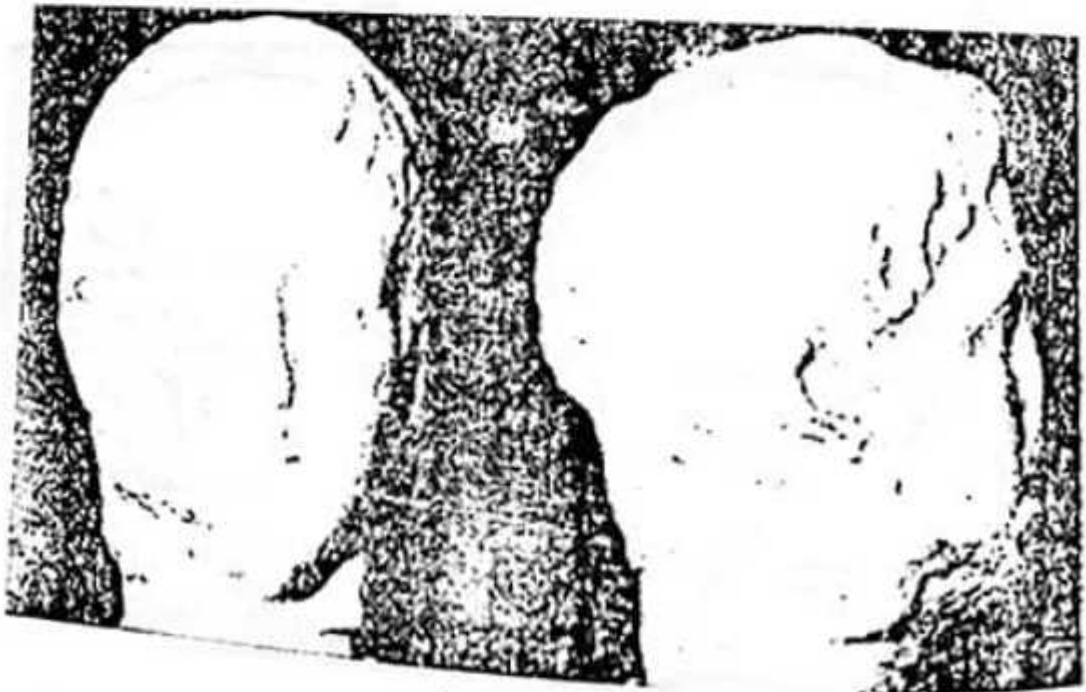
عن: Julien. Ch. A. op. cit. P. 125



شكل رقم (١٩)

تمثال نصفي للملك يوبا الأول محفوظ بمتحف "باردو"

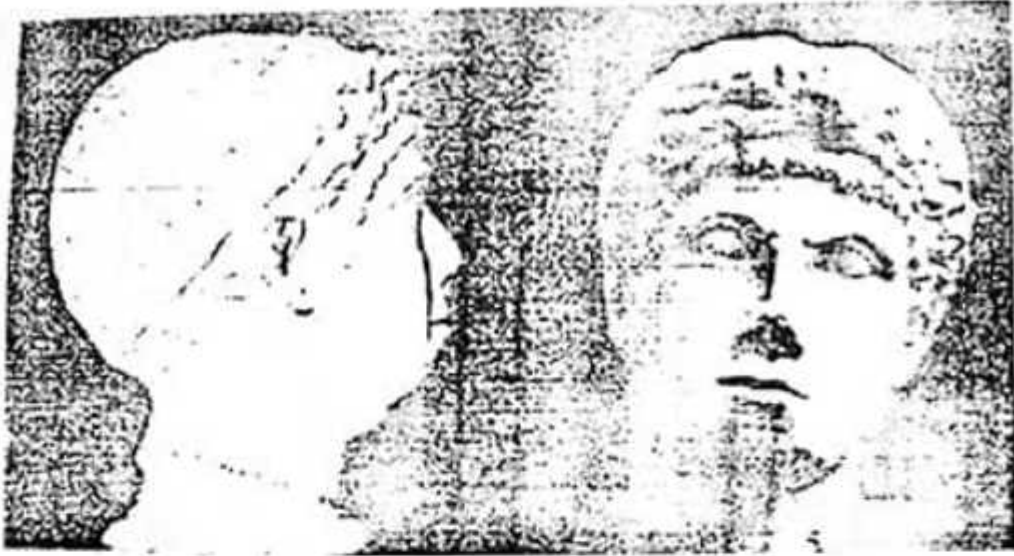
عن: Mazard. J. et Leglay. M., Les portraits antiques du Musée Ste-phane Gsell. (Alger. 1958). p. 15



شكل رقم (٢٠)

تمثال نصفي للملك يوبا الثاني محفوظ بمتحف "باردو"

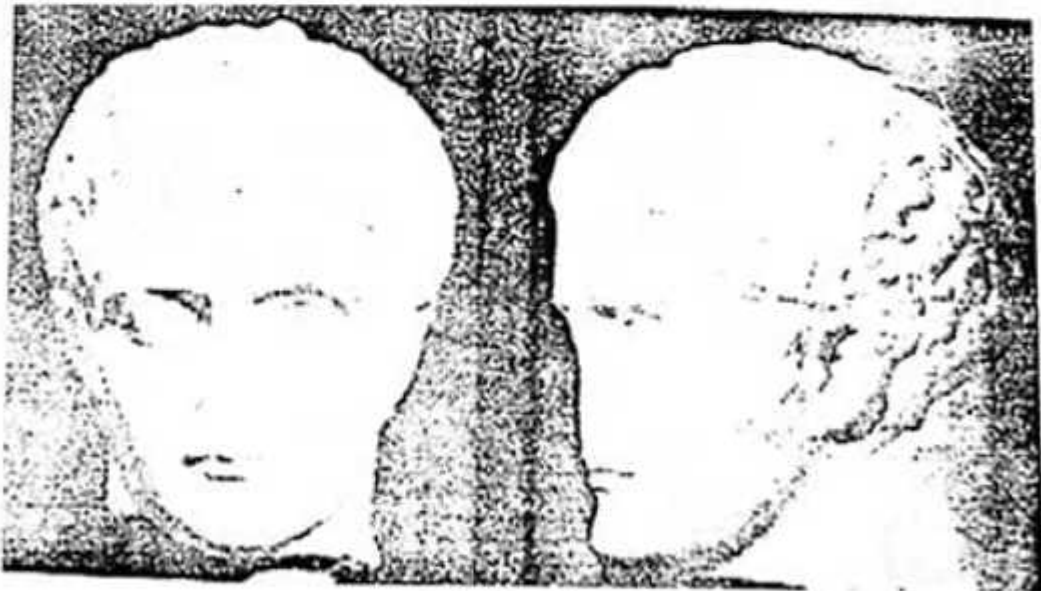
عن: Mazard. J. et Leglay. M., op. cit. p. 18



شكل رقم (٢١)

تمثال نصفي لكليوباترا زوجة الملك يوبا الثاني، التمثال محفوظ بمتحف "باردو"

عن Mazard. J. et Leglay. M., op. cit. p. 20.



شكل رقم (٢٢)

تمثال نصفي للامبراطور أغسطس محفوظ بمتحف "باردو"

عن Mazard. J. et Leglay. M., op. cit. p. 26.

المصادر



المصادر

أولا : المصادر الأصلية :

١- المصادر الأدبية :

The Ancient sources with an English translations

(Loeb classical library);

- Appianus. Romaika.

- Bellum Hispania.

- Bellum Hannibali.

- Bellum Punic.

- Bellum civile.

Translated by white . H . (London 1933.)

- Caesar. Bellum Africum; Translated by- way . A.C. (London 1961.)

- Cicero;

- Lege Agraria. Translated by Freese. J; H. (London. 1956.)

- Philippicae. Translated by Walter. A. C. (London 1951.).

- Dio Cassius. Historia. Translated by Cary. E. (London 1956.).

- Diodorus siculus. Historia, Translated by Russel. M. G. (London 1953.)

- Herodotus. Historia. Translated by Godley. A. D; (London 1950).

- Livius. Abulbe Conditia. Translated by Faster and Frank. (London 1957)

- Plinius. Historia Naturalis. Translated by Jones. W. H. (London 1955) .

- Plutarchus. Vitae .Translated by Frank. (London 1956).

- Polybius. Historia . Translated by Paton. W. R. (London 1960).

- Sallustius. Bellum Jugurthinum. Translated by Rolfe. S. E; (London 1960.).

- Strabo. Geographia. Translated by Horace. (London 1960).

- Suetonius. Historia. Translated by Rolfe. J. C. (London 1959).

٢ - مجموعة النقوش :

- Grenier. A., Vompres rendus.de l'Academie des inscriptions. (Paris. 1947).
- Leschi. L. , Recherches Aerinnes sur Le limes Roman de Numide (Paris 1937).
- , Centenarius quand aqua viva appletatur (Paris 1941).
- Merlin. A. , Divintes indigenes sur un Bas-relief Romain de la Tunisie (Paris 1947).
- Picard. C. , Notice sur la vie et les travaux de Stephane Gsell. (Paris 1947).
- Picard. G. , " Acholla" Comptes Rendus de l'Academie de inscription (Paris 1947).
- Saumagne. C., Zama Regia (Paris 1941),.
- , La photo - glaphie Aerienn : au service de l'Archeologie en Tunisie (Paris 1952).

ثانياً المراجع الحديثة:

١- المراجع العربية:

- ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، جزء أن، الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٧٨).
- _____، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الرابعة (القاهرة ١٩٧٦).
- أيديرس بل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة عبد اللطيف أحمد على (القاهرة ١٩٦٨).
- يورج . ج. دى:، تراث العالم القديم، ترجمة ذكى سوس، الجزء الأول (القاهرة ١٩٦٥).
- رستوفتسزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاقتصادية والاجتماعى، ترجمة، زكى على ومحمد سليم سالم، الجزء الأول (القاهرة ١٩٥٧).
- رشيد الناصورى، المغرب الكبير؛ الجزء الأول (القاهرة ١٩٦٦).
- سارتون. جورج، تاريخ العلم، ترجمة لفيف من العلماء، الجزء الخامس، الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٧٨).
- كنيث والطن، الأراضى الجافة، ترجمة عبد الوهاب شاهين (الاسكندرية ١٩٧٦).
- كونتنو . ج، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة (القاهرة ١٩٤٨).
- عبد اللطيف أحمد على:، مصادر التاريخ الرومانى. (القاهرة ١٩٦٤).
- _____، التاريخ الرومانى عصر الثورة (القاهرة ١٩٦٧).
- عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية (الاسكندرية ١٩٧١).
- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم. (بنغازى ١٩٦٨).
- ولز . ه. ج، معالم تاريخ الانسانية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، المجلد الثانى؛ الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٦٩).

٢- المراجع الأجنبية :

- Bovill. Ew., The Golden Trade of the Moors. (Oxford. 1961)
- Cary.M., History of Rome.(London. 1954.)
- Fage.T. D., The Cambridge History of Africa, vol. 2. (Cambridge. 1973.)
- Gsell, S., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.(Paris. 1972) Tom I. Les Conditions du Developpement historique., les temps primitifs., la colonisations phenicienne et L'empire de Carthage.
- Tom.II, l'Etat Carthaginois.
- Tom. III, Histoire Militaire de Carthage.
- Tom. IV, La civilisation Carthaginoise.
- Tom. V, Les Royaumes indigenes organisation sociale, Politique et economique
- Tom.VI, Les Royaumes indigenes, via Materielle intellectuelle et Morale.
- Tom.VII, la Republique Romaine et les Rois indigenes,
- Tom. VIII, Reimpirisme avec L'autorisation du Ministere de l'Educaton Nationale de la Republique Algerienne Democratique et populaire.
- Julien.Ch.A. Histoire de l'Afrique du Nord.(Paris 1931)
- Mazard.J. Corpus Nummorum Numidiaae Mauretaniaeque. (Paris 1958.)
- Mazard. J. et Leglay; M. Les portraits antiques du Musee stephane Gsell. d Apres les sculptures et les monnaies (Alger 1958.)
- Seignopos. C. History, of Ancient civilization. (London 1906)
- Slim. H, Histoire de la Tunisie l'Antiquite.(Tunis ?)
- Stamp. D. Africa Astudy in tropical development (London 1959)
- Warmington. B.H. Histoire et civilisation de Carthage. (Paris 1961)
- Wells. J. and Barrow. R.H. Short History of the Roman Empir (London. 1950).

٣- الدرويات:

أولا: باللغة العربية:

- فوزى مكوى: الفيل الأفريقى ودوره فى الحروب القديمة.

مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة العدد السادس (القاهرة ١٩٧٧م).

- :المعبودات والعبادات فى قرطاج، مجلة البحث العلمى (الرباط ١٩٧٩).

ثانيا: باللغة الأجنبية:

Bisi; A.M, lies steles puniques, A recheologie vivante. (Paris 1968 - 1969).

Bovill. E.W., The Sahara. (Gloucester. 1929).

-----; The Camal and The Garamantes, (Gloucester 1959).

Cintas.P. , Le signe de Tanit, A recheologie vivant, (Paris 1968 - 1969).

Faucher. L., Les Representations de Baal Hammon A recheologie vivante (Paris 1968 - 1969).

Quoniam. P., Fouilles Recentes. A."Bulla Regia" (Paris 1952),

ترجمة بنفارس عبد السلام (بدون تاريخ)

Roget. R.Index de Topographie Antique de Maroc.

Walsh.P.G."Massinissa". The Journal of Roman Studies.

Vol. Lx. (London 1965).

روما وأفريقيا

يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل العلاقات بين روما وأفريقيا في فترة محددة تبدأ من نهاية الحرب البونية الثانية ٢٠٢ ق.م. حتى عصر الإمبراطور أغسطس ١٤ م. وخلال هذه الفترة شهدت المنطقة سلسلة من العلاقات الدولية المتشابكة اشتركت فيها العديد من الدول الكبرى في ذلك الوقت ، مثل روما التي هزمت قرطاجة وحرمت مملكة مقدونيا من التدخل في هذا الصراع كما أجبرت انطيوخوس ملك سوريا على التفكير في تسليم هانيبعل .

أيقظت روما بتدخلها في شمال غرب أفريقيا روح القومية عند القبائل الليبية لدرجة أن تبدلت العلاقات بين الأطراف المتجاورة والمتعاونة لفترة طويلة من الزمن وانتقلت إلى عدااء صريح بسبب سقوط دولة قرطاجة ولكن روما لم تسمح لزعماء القبائل الليبية أن يأخذوا دور قرطاجة في هذا الصراع ، وظلت تشغل دور المتحكم في الأوضاع السياسية في شمال أفريقيا فترة طويلة من الوقت .

وهذا الكتاب يلقي الضوء على النظم السياسية التي كانت سائدة في منطقة شمال غرب أفريقيا عند قرطاجة ونوميديا وموريتانيا ، هذا إلى جانب التركيز على مجموعة من التنظيمات السياسية الرومانية التي شهدتها المنطقة في القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية .



50200000121 30

مكتبة الأنجلو المصرية

THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP

The World of Words & Thoughts

